دولـــــة لـــــيبيـــا

الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية

كلية العلوم الشرعية . مسلاته

قسم اللغة العربية

الدراسات العليا ـ شعبة الأدبيات

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الإجازة

العالية (الماجستير) في الدراسات البلاغية

بعنوان : ابن أبي الإصبع المصري المتوفّى سنة 654 هـ

وكتابه "بديع القرآن"

" دراسة تاريخية تحليلية فنية "

إعداد الطالب : عبدالعظيم أبوبكر علي فليفلة

إشراف الأستاذ الدكتور: أحمد يوسف أبوحجر

عضو هيئة التدريس بجامعة طرابلس ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية

العام الجامعي : 2010 ـ 2011 م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ

أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

سورة البقرة _ الآية 117

الإهـــداء

إلى أمـي الغـاليـة رحـمـهـا اللّه تعـالى

إلى كـل مَنْ لـه حـق عـلـيَّ

أهـدي هـذا الـبـحـث ...

شكر وتقدير

الشكر والحمد لله أولاً وآخراً فهو صاحب التوفيق والتيسير بأن يسر لي عسير الأمور ، ووفقني في وضع لبنات هذا العمل حتى اكتمل ، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا أستطيع نسيان الشكر والتقدير والاحترام لكل من اهتم وحرص على تعليمي، أهلي وذوو العلم وأحبائي ، فالشكر لكل مَنْ مدَّ لي يد العون والمساعدة الذين لا يكفيني عدهم جميعاً . ثم أتوجه بالشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف جزاه الله عني ألف خير الأستاذ الدكتور **أحمد يوسف أبو حجر** الذي أرشدني وعلمني طرق البحث والعمل خلالها خُطوة حُطوة ، ووقف بجانبي لإنجاز هذا البحث ومتابعة مراحله وإكماله بالشكل الصحيح ، ثم أقدم شكري للأستاذين الفاضلين عضوي لجنة المناقشة :

1ـــ الأســـتاذ الـــدكتور/ رمضـــان ســـعد القمـــاطي / جامعـــة طـــرابلس .

2ـــ الأســـتاذ الـــدكتور / أبـــوبكر محمـــد سويســـي / الجامعـــة الأســـمرية .

على قبولهما رسالتي بغية مراجعتها وإبداء ملاحظاتهما القيمة التي لاشك أنها تدفع بهذا البحث إلى الأمام ، كما أشكر الأستاذ حسن محمد الباكمة على التعديل والتنسيق الإلكتروني فجزاهم الله تعالى خير جزاء ، وبارك الله في الجميع .

مقدمة

حمداً لله الذي فضلنا على كثيرٍ من خلقه تفضيلاً، وأنعم علينا بنِعَمِهِ الكثيرة التي لا تُدرَك ولا تُحصَى، وميزنا عن باقي مخلوقاته بالعقل واللسان، ونوَّرنا بنور القرآن الكريم فتعالى الله عز وجل ، واختار لنا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ الذي شرّفَه ربُّه سبحانه وتعالى بمعجزة القرآن الكريم، الذي أعجز به الألْسُنَ كلها، ورضي الله عن الخلفاء الراشدين أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن الستَّة المُتمِّمِين للعشرة المُبشَّرين بالجنة. **أما بعد** .

فلم يحظ كتاب بمثل ما حظي به القرآن الكريم من عناية واهتمام بكل ما له علاقة به من مختلف العلوم ، ومن تلك العلوم التي نهضت لخدمة كتاب الله العزيز علم البلاغة المبين بديع أسلوبه وبلاغة بيانه الذي أخذ بأفئدة من صدق به ومن أعرض عنه على السواء على مرِّ الأزمنة، ومن تلك الجهود ما قام به أحدُ علماء القرن السابع الهجري ابن أبي الإصبع المصري الذي سخَّر جلَّ اهتمامه وبعض تصانيفه في دراسة أسلوب القرآن الكريم وبيانه ومن جهوده تلك كتابه الموسوم بـ " بديع القرآن " ، ونتيجةً لرغبتي في خوض غمار البحث في موضوعٍ يتصل بكتاب الله تعالى فقد اخترتُ كتاب بديع القرآن لابن أبي الإصبع ليكون موضوعاً لبحثي هذا .

ومن الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع :

1- اختصاص الكتاب بالبحث في بديع القرآن الكريم، لأن بلاغة القرآن الكريم وفصاحته لا مثيل لهما، وهو معجزة للألسُن.

2- قيمة الموضوع البلاغية والأدبية المُستنبَطة من القرآن الكريم ووقعها على النفس، ثم انفراد هذا العمل في تأليفه هذا الفن وارتباطه بموضوع الإعجاز القرآني.

3- شخصية المؤلف ومكانته العلمية المرموقة في ميدان التأليف البلاغي وعده من رجال البديع ، وأديباً من أدباء عصره .

ولهذه الأسباب المُجتمِعة حافز لأن أختار هذا الكتاب موضوعاً لبحثي ، والله ولي التوفيق ، وقد قسَّمتُ البحث إلى : مقدمة وأربعة فصول وخاتمة متخذاً المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي والنقدي .

المقدمة

عرَّفتُ فيها بالموضوع وسبب اختياره وتقسيماته وبيان المنهج الذي سرتُ عليه .

الفصل الأول : التعريف بالمؤلف وكتابه "بديع القرآن"

المبحث الأول: التعريف بابن أبي الإصبع

المبحث الثاني : التعريف بكتابه .

الفصل الثاني: مفهوم علم البديع، نشأته، تطوره، مسيرة التأليف فيه

المبحث الأول : مفهوم علم البديع ونشأته وتطوره إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث

المبحث الثاني : مسيرة التأليف في علم البديع إلى زمن ابن أبي الإصبع

المبحث الثالث : التأليف في بديع القرآن

الفصل الثالث : كتاب بديع القرآن

المبحث الأول : مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع وإسهاماته العلمية في هذا العلم

المبحث الثاني : منهجه في مؤلفات علم البديع من حيث طرحه للمسائل وتناوله للقضايا وترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه

المبحث الثالث : مصادره في مباحث علم البديع في كتابه بديع القرآن، وموازنة بينه والسكاكي والخطيب القزويني(نموذجاً) منهجاً وأسلوباً من حيث التأثير والتأثر .

الفصل الرابع : الشواهد في كتاب بديع القرآن .

المبحث الأول : شواهد ابن أبي الإصبع في كتابه من حيث النوع والعدد .

المبحث الثاني : منهجه في إيراده للشواهد .

المبحث الثالث : الاتباع والتجديد والتكرار في الشواهد وتوثيقها .

المبحث الرابع : الأثر الفني للشواهد في إيصال الفكرة .

ثم **الخاتمة** التي أشرتُ فيها إلى أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ووضعتُ قائمةً للمصادر والمراجع العلمية التي استُخدِمت فيه ، بعدها فهرساً للموضوعات أو المحتويات . ولله الحمد والشكر أن وفقني في إنجاز هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وينفع به طلّاب العلم والدارسين .... آمين .

والله ولي التوفيق .

الباحث

الفصل الأول

التعريف بالمؤلف والكتاب

ويحتوي على مبحثين

المبحث الأول

التعريف بابن أبي الإصبع المصري

المطلب الأول – اسم المؤلف، ومولده، ونشأته، وعصره .

المطلب الثاني – تعليمه، ومشايخه، وتلاميذه، ومعاصروه.

المطلب الثالث – مؤلفاته، ومكانته العلمية، ووفاته .

المبحث الثاني

التعريف بالكتاب " بديع القرآن"

المطلب الأول – مضمون كتاب بديع القرآن .

المطلب الثاني – نسبة الكتاب إلى المؤلف .

المطلب الثالث – قيمة الكتاب العلمية .

المطلب الرابع – زمن تأليف الكتاب .

المطلب الخامس– سبب تأليف الكتاب .

المبحث الأول

التعريف بابن أبي الإصبع

المطلب الأول – اسم المؤلف، ومولده، ونشأته، وعصره

المطلب الثاني – تعليمه، ومشايخه، وتلاميذه، ومعاصروه

المطلب الثالث – مؤلفاته، ومكانته العلمية، ووفاته

التعريف بابن أبي الإصبع

المطلب الأول – اسم المؤلف ومولده، ونشأته، وعصره

أولاً – اسم المؤلف ومولده :

اسمه ورد بصفة "الإمام العلامة: عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر بن الحسن زكي الدين أبو محمد البغدادي ثم المصري المعروف بابن أبي الإصبع"[1]. فتارة يورد اسمه في المراجع التاريخية بكنيته أبي محمد،[2]وتارةً أخرى باسم "زكي الدين"[3] فالروايات تتنوع وتختلف، وأحياناً تلحق اسمه كما ورد في بعض المراجع كلمةُ "العدواني"[4] وأن "العدواني، بالفتح والسكون ترجع إلى عَدْوَان قبيلة من قيس عَيْلان"[5] ولكنني لم أجد ما يربط المؤلف بها ، وحتى لا يكون هناك لبس بين اسم المؤلف واسم شاعر جاهلي معروف ينتمي إلى تلك القبيلة

---

(1) ترجمته في النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بَرْدِي الأتابكي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، القاهرة، بدون سنة نشر، 37/7، وفوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، دار صادر، بيروت لبنان، سنة 1974م، 363/2 ، وفي تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، مصر، ص4 مقدمة المحقق،وفي تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، السيد يعقوب بكر، دار المعارف، مصر، القاهرة ،ط2، 1977م، 342/5 . والأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم الملايين، بيروت لبنان،ط15 ،2002م، 30/4 .وفي الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، عبداللطيف حمزة، دار الفكر العربي،ط1، 1365هـ، ص257 . وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر،ط1، 1369هـ، 1950م، ص126 ،وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين أبي الفرج بن عماد الحنبلي، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار القلم، بيروت، 397/5، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، 585/5 .

(2) ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، للمراغي ، ص126 .

(3) ينظر شذرات الذهب في أحبار من ذهب ،لابن عماد الحنبلي ، 397/5 .

(4) ينظر تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، 342/5 ، والأعلام ، للزركلي ، 30/4 .

(5) لب اللباب في تحرير الأنساب، للعلامة جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أحمد عبدالعزيز، أشرف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1 ، سنة 1411هـ، 1991م، 109/2.

يُدعى "ذو الإصبع العدواني"[1] فقد أحببت أن أوضح ذلك للتمييز بينهما فقط، فالأول عاش في عصر الدولة الأيوبية ، والأخير جاهلي العهد .

وعند الحديث عن مولده فهو من مواليد بلاد النيل . مصر . عاش فيها وترعرع كما ذكرت المراجع التاريخية العربية؛ حيث "ولد . رحمه الله تعالى . سنة 585هـ وقيل: سنة 589هـ كما في النجوم الزاهرة[2]، أما في الأعلام فإن سنة مولده هي 595هـ 1198م بمصر،[3] وعاش معظم حياته في عهد الدولة الأيوبية ، وشطراً من دولة المماليك البحرية"[4] ، فهذه كما نعلم فترة حروب عصيبة بين المسلمين والصليبيين.

ثانياً . نشأته:

ترعرع ابن أبي الإصبع المصري في مصر في بيئة كانت تعج بالاضطرابات والتقلبات السياسية والاستعدادات لخوض الحروب مع الصليبيين، فقد كان عسيراً على الإنسان أن ينمي نفسه ويبرع في هذه الظروف لاسيما في ميدان العلم والمعرفة .

فابن أبي الإصبع المصري "نشأ في هذه الدولة الأيوبية المترامية الأطراف يجول بين رُباها، استوطن القاهرة فكان شاعرها الأول، وشارك أمته في حياتها العقلية والتعليمية"[5]، وقد كانت القاهرة عاصمة للدولة الفاطمية، ثم صارت في يد رجال الدولة الأيوبية الجديدة بعد فترة طويلة من الزمن، ليتم الرجوع بهذه البيئة الشيعية إلى البيئة السنية النيرة، ولذلك بادرت الدولة الأيوبية في تأسيس المدارس الدينية السنية

---

(1) : حُرثان بن حارثة بن مُحرِّث أو حرثان بن الحرث، أو حويرث أو حارثة، وقيل: السموأل بن محرث، ويقال: الحارث بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر وهو عدوان بن عمر بن قيس عَيْلان، وينتهي نسبه إلى يشكر بن عدوان وقيل: إنه أحد حكام العرب في الجاهلية، عاش فارساً وحكيماً وشاعراً، وعاش سبعين ومائة عام، وتوفي سنة 22 ق هـ، 600م، ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ،ط2، 1421هـ- 2001م، 708/2 . و في معجم الشعراء الجاهليين، عزيزة فوال بابتي، دار صادر، بيروت لبنان ،ط1، سنة 1998م، ص134 .

(2) ينظر النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لابن تغري الأتابكي ، 37/7 .

(3) ينظر الأعلام ، للزركلي ، 30/4 .

(4) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، مقدمة المحقق ص4.

(5) المصدر نفسه ، ص5 .

بالقاهرة، بل إن ذلك البناء المخطط له كان هدفاً مقصوداً لهدم البناء الشيعي وليحل محله البناء السني الشريف، وبهذا أصبحت تلك المدارس الدينية منارات علمية يوفد إليها أهل العلم من كل حدب وصوب[1] .

وكانت المدارس التي تم افتتاحها كثيرة جداً، وهي بيئة تغمرها الثقافة والمعرفة وتحثّ على تكريس الوقت لطلبها، فمثل هذه البيئة الخصبة تحفز المرءَ على طلب العلم وتخريج العلماء رغم الظروف المحيطة المكللة بالاضطرابات والحملات الحربية فمجمل ما يقال عن مرحلة نشأته أنه نشأ في بلاد وادي النيل ، إحدى الأمكنة التي عرفت بالعلم ، وأنه كان وسط ظروف ليست بالسهلة في حياته، ولا يخفى على أحد غزارة تلك الساحات العلمية على مر العصور، وازدحامها بالمؤلفين وكثرة المؤلفات في شتى المجالات، وخير دليل على ذلك وصول الكثير من المؤلفات العلمية من تلك الفترة في مختلف المجالات إلى مكتباتنا اليوم إلا أن بعضها قد فُقد .

ثالثاً . عصره :

عاش المؤلف ابن أبي الإصبع المصري في كنف دولتين إسلاميتين ، في نهاية الدولة الأيوبية وبداية دولة المماليك البحرية باعتبارهما حكمتا مصرَ آنذاك، أي أنه عاش بين سنة خمس وثمانين وخمسمائة، وسنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة، وهذه الفترة ما تقارب تسعاً وستين سنة هي العمر الذي عاشه المؤلف تقريباً .

ويمكننا التعرف على العصر السياسي والعلمي والاجتماعي الذي عاشه المؤلف من خلال الآتي :

العصر السياسي: ما إن انتهت الدولة الفاطمية حتى قامت الدولة الأيوبية سنة 567هـ- 1171م، فنقلت عن الدولة السلجوقية الكثير من عاداتها وأنظمتها التركية الشرقية، وطبقتها في مصر والشام لأول مرة [2]. فالمهم أن ذلك العصر لم يكن رائقاً وآمناً بل على العكس كان يعج بالحروب الطاحنة مع الأعداء، وكانت الانتصارات

---

(1) ينظر الحركة الفكرية في مصرفي العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، عبد اللطيف حمزة ، ص158-159 .

(2) ينظر التاريخ الأيوبي المملوكي، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، سنة 2006م، ص34 .

والإنجازات الإسلامية لهذه الدولة في ذلك العصر واضحة المعالم، يسمع بها القاصي والداني، فهذا الشطر من العصر الأيوبي عاشه المؤلف وأصبح جزءاً من حياته ، والشطر الآخر كان مملوكياً نسبةً إلى الدولة . فقد تأسست **دولة المماليك البحرية المصرية** بتملك ملوكها ديار مصر في آخر شوال سنة ثمانٍ وأربعين وستمائة، عندما تغلب ملك الدولة المملوكية بعد هزيمته أمام سلطان الدولة الأيوبية، ساعياً في ذلك لإنشاء دولة الترك المماليك[1]. واستمرت هذه الدولة في بسط سلطانها إلى أن وصل الأمر بها إلى فرض القوة التي يهابها الأعداء.

وقد عاصر المؤلف في فترةٍ من حياته ظهور عدو لدود من قوم التتار"المغول"، هذا العدو المتعجرف الذي شهدت أيامه مواقف كثيرة، فقد حمل الحقد والكراهية ليس للمسلمين فحسب ؛ بل للعالم أجمع، فعندما بلغ أهل مصر خبر قدوم التتار للبلاد، قرر سلاطينها الدخول في معركة حاسمة إزاء هذا العدو، ما يجعل المسلمين مستعدين لهذا اللقاء، فقد تم فتح الكثير من بلاد الشام على يد المماليك حتى أنه ما بقي تحت يد الكفار الأعداء شئ ، وبدأت الحمية تظهر وفتحت الحصون حتى كانت فتوحات مشهورة على أيدي قادة دولة المماليك الذين شاركوا في قتال المغول بكل قوة وشجاعة[2]. فقد عاصر المؤلف ظهور هذا العدو الذي لا يفرق بين رجل وامرأة ولا بين طفل أو شيخ، فقد أفسد ودمر وأحرق الكتب والمكتبات وألقى بها في النهر، حتى انتهت أسطورة المغول بعد وفاة المؤلف ببضع سنوات قليلة، فإنه بذلك عاصر أحداثاً كثيرة حينها .

عصره العلمي والاجتماعي: قبل هذا العصر لم يكن هناك مدارس ولا دور علم كثيرة تذكر في مصر تحديداً، ولكن بعدما ملكت الدولة الأيوبية الديار المصرية افتتحت الكثير من تلك المدارس المختلفة التي زادت من التطور العلمي الذي شهده ذلك

---

(1) ينظر نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، الحسن بن أبي محمد العباسي الصفدي، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري ،المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط1، 1424هـ-2003م، ص145 .

(2) ينظر نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، محمود مقديش ، علي الزواري ، محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 1988م ، 1 /419 .

العصر ، "وهذه النهضة العلمية والأدبية كان لها مراكز حضارية يشع منها نور العلم والمعرفة مثل مجالس الملوك في قصورهم وهو ما يعرف ببلاط الأمير أو السلطان، ومثل ديوان الإنشاء أو ديوان المكاتبات السلطانية الذي لا يعين فيه إلا ذو الكفاءات والثقافة العالية، والصناعة اللفظية"[1]. وعلاوة على ذلك فقد كان السلطان الأيوبي نفسه ذواقاً للشعر ومميزاً بين الجيد منه والرديء، وقد اهتم الوزراء والكتاب والقضاة في ذلك العصر بالعلم والثقافة، وبرز منهم عدد من المؤرخين والشعراء، كذلك من الناحية الدينية فقد تأصل المذهب السني في مدينة الإسكندرية في النصف الثاني من عصر الدولة الفاطمية، وبإذن الله تعالى، استطاع أهل الإسكندرية من مناهضة التشيع ومناصرة السنة النبوية الشريفة، وتعميم نظام تلك المدارس الفقهية، وتبع ذلك النظام باقي ملوك وسلاطين الدولة الأيوبية في مصر[2] .

وإذا ما نظرنا إلى تلك المدارس والدور الذي تلعبه آنذاك نظرة مقارنة وقياس لوجدناها تتناول مختلف مراحل الدراسة والبحث والتي أشبه ما يكون اليوم بالجامعات الأكاديمية العلمية، فقد كان يتولى وظيفة التدريس والتعليم في تلك المدارس أعلام وأئمة كبار من المقرئين والمحدثين والفقهاء الذين كرسوا حياتهم للدعوة والعلم والاجتهاد، إلى جانب ذلك كانت هناك دور أخرى قرآنية تعلم القرآن الكريم وعلومه، من أصول وحديث وإلى جانب ذلك إبراز فنون الإلقاء والخطابة والرواية، ومن العلوم الأخرى مدارس لممارسة علوم الطب والصيدلة والكحالة والهندسة والرياضيات أو "الطبيعيات" والتاريخ والجغرافيا والفلسفة، كذلك حلقات المساجد، فقد لعبت تلك المراكز العلمية دوراً هاماً في تعليم وتثقيف الناس وتنويرهم، وتخريج العلماء، وازدهار ذلك العصر في جميع العلوم والمجالات العلمية والفكرية[3] مع اندماج عصر الحروب

---

(1) التاريخ الأيوبي والمملوكي، أحمد مختار العبادي، ص103 .

(2) ينظر دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، سحر السيد عبدالعزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006م، ص213-218 .

(3) ينظر مدارس دمشق في العصر الأيوبي، حسن شميساني ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان، ط1، 1403هـ ، 1983م ، ص33-34 .

بعصر العلم والثقافات وانتشار مراكزها كانت فرصة البحث عن العلم والتعلم أكبر وهذا ما كان يميز العصر العلمي للمؤلف .

المطلب الثاني . تعليمه ، مشايخه ، تلاميذه ، ومعاصروه .

أولاً – تعليمه:

مما عُرف عن العلماء عبر العصور أنهم تعلموا في بيئات مختلفة، فابن أبي الإصبع المصري هو أحد العلماء الذين عاشوا مثل هذه البيئات العلمية، فإن بيئته هي التي كانت في أحضان العصرين الأيوبي والمملوكي اللّذَينِ زخرا بشتى العلوم والمعارف . ومن جهة أخرى فإنني لم أجد عند بحثي ما يفيد كثيراً عن كيفية تعليم ابن أبي الإصبع المصري ، إلا أن مجالات التوسع التي جرت عهد الدولة الأيوبية لاسيما اهتمام سلاطينها بالعلم والتعليم في شتى مجالاته لزم الأمر فتح المدارس التي أشرف عليها سلطان الدولة الأيوبي فانتشر العلم واتسعت المدارك الثقافية ، وقد شهدت تلك الفترة ازدهاراً واسعاً ومؤثراً في الناس في جميع المجالات العلمية، فمن الطبيعي أن ينشأ المؤلف نشأةً علمية بين العلماء جالساً في حلقاتهم العلمية ومتتبعاً لدروسهم التي اعتادوا عليها ، وينهج منهجهم الفكري والتأليفي ، ويسير على خُطاهم، فهو لم يكن مشاركاً في الحملات السياسية والحروب ، بل واضحاً أنه كان يعيش فترة التأليف والاعتكاف على العلم[1] وقد بقيت فترة تلقيه العلم عن شيوخه وأساتذته مجهولةً لم تخبرنا كتب التاريخ عنها شيئاً على ما بحثتُ .

ثانياً – مشايخه:

لم يذكر لنا ابن أبي الإصبع أسماء شيوخه ممن تلقى عليهم العلم إلا أنه أورد عبارة عامة بالخصوص وهي قوله: "مع كل من لقيته من عقلاء العلماء، وأذكياء الفضلاء، ونبلاء البلغاء في علم البيان، وكل من له عناية بتدبُّرِ القرآن، ونظر ثاقب في نقد جواهر الكلام"[2]. فمن هذا الكلام يُفهم مقصده من عباراته إزاء ملازمته لبعض

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق حفني محمد شرف ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، مصر ، القاهرة ،ط1، 1377هـ ، 1957م ، ص70.68 .

(2) المصدر نفسه ، ص4 من مقدمة المؤلف .

العلماء من عبارة "مع كل من لقيته من عقلاء العلماء" دليل على التقائه بعض العلماء للأخذ منهم، وعبارة "نبلاء البلغاء في علم البيان" تُعرفُ صلته بعلماء علم البيان خصوصاً وله علاقة بالبلاغة، وعبارة "كل من له عناية بتدبر القرآن" أي علماء الفقه والسنة والتفسير واللغة العربية، وقد تتلمذ على كتب بعض علماء علم البديع وأخذ عنهم حيث قال: "جمعته من كتاب وكتابين، منها ما هو منفرد بهذا العلم، ومنها ما هذا العلم داخل في أثنائه"[1] وهذا يشير إلى أن المؤلف ابن أبي الإصبع قد استعان بكتب غيره في جمعه للمعلومات لتأليف كتابه، ولم أجد فيما أطلعت عليه من مراجع ورود لأولئك المشائخ الذين تلقى عليهم ابن أبي الإصبع العلم .

ثالثاً . تلاميذه:

في الواقع لم أعثر على ما يفيد أو يخص تلاميذ ابن أبي الإصبع، ولكن المتأثرين به كثيرون ولم أقصد ذكرهم بهذا الصدد لأن ذلك له مبحثه في الفصل ما قبل الأخير من هذا البحث.

رابعاً – معاصروه:

هناك كثير من رواد البلاغة والمؤلفين والكتّاب الذين عاصروا ابن أبي الإصبع المصري في حياته العلمية ومشاركته مسيرته الحافلة بالعطاء، نعرف ببعضهم وهم:

1- علي بن عثمان الإربلي[2] ت سنة 670هـ:

كان معاصراً لابن أبي الإصبع المصري[3]وهو من الشعراء المشهورين من مدينة الفيوم في مصر. كانت لعلي بن عثمان الإربلي جولات وصولات علمية وفكرية، فقد خاض

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص4 من مقدمة المؤلف .

(2) هو: أمين الدين علي بن عثمان بن علي بن سليمان بن علي بن سليمان بن علي أبوالحسن المعروف بأمين الدين السليماني الصوفي الإربلي، الشاعر المشهور، ولد سنة 602هـ، ومات بمدينة الفيوم بمصر، سنة 670هـ، وهو من أعيان شعراء صلاح الدين الأيوبي . ينظر ترجمته في النجوم الزاهرة، لابن تغري، 236/7، وفوات الوفيات، لمحمد الكتبي ، 57/2، والأعلام ، للزركلي 310/4 .

(3) ينظر في البلاغة العربية علم البديع، عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة 1404هـ-1985م، ص52 .

في البديعيات حتى اشتهر بها، وقبل ذلك شارك في الحياة الجهادية والاجتماعية حتى أصبح من مشاهير عصره .

2- **شرف الدين أحمد بن يوسف التيفاشي المغربي[1] ت 651هـ:** فهو من الأعلام الذين عاشوا زمن ابن أبي الإصبع ويكبره سنًا بالعدد البسيط ،ولهذا يعدان من جيل واحد وفي الوقت نفسه كان الأول من المؤثرين علميا في الثاني فبات ينقل عنه ويتأثر به.

المطلب الثالث : مؤلفاته ، مكانته العلمية ، ووفاته .

أولاً- مؤلفاته:

برز ابن أبي الإصبع المصري في مصر في المجالات العلمية، والفكرية ،فهو من علماء البلاغة المشهورين، وبرز أيضاً في النقد، والأدب، والتفسير، والفقه، وعلى الرغم من أن الأجواء التي عاشها المؤلف والسنوات التي ترعرع فيها، لم تكن تتميز بالهدوء والاستقرار، إلا أنه سار في طريق العلم والمعرفة ، وقد كان مؤلفاً بارعا ً، وشاعراً، وناقداً، ومفسراً، وله عدة مؤلفات وقد اختلف في عددها وسأسرد ما تيسر لي جمعه من عناوين مؤلفاته محاولاً التعريف بها وهي :

أولاً- كتاب "تحرير التحبير":

وهو كتاب "مطبوع" ومُحقق من قبل حفني محمد شرف ، وعنوانه. - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن- . وهو كتاب غزير المعلومات وجدير بالدراسة، يبحث في بديع الكلام شعره ونثره، ومليئ بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة والشواهد الشعرية، وألفه صاحبه ليدرس فيه الألوان البلاغية التي وجدت في عصره، وجمع فيه الأنواع الخاصة بالبديع[2]، يعد كتاب "تحرير التحبير" أول كتب

---

(1) هو: أحمد بن يوسف بن أبي بكر بن حمدون ، شرف الدين التيفاشي ، عالم بالحجارة الكريمة وغزير العلم بالأدب ، وهو من تيفاش بإفريقية ، توفي بالقاهرة 651 هـ. ينظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي1/ 273 ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف سركيس، 1 /651 وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لإسماعيل باشا البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413هـ . 1992م ، 549/1 .

(2) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص54-57 .

المؤلف وقد ذكره محقق كتاب "بديع القرآن" ضمن آثاره العلمية بل هو أولها ترتيباً[1]، وذكره مؤلف الإتقان منسوباً إلى ابن أبي الإصبع [2]،نشره حفني محمد شرف في القاهرة . ونُشر في الموصل ورامبور، وقد انتهى من تأليفه ابن أبي الإصبع سنة 640هـ 1242م [3] ، فهو يعد من أمهات الكتب ، فنال إعجاب المؤلفين والبحاث .

ثانياً- كتاب "**بديع القرآن**":

وهو كتاب مشهور من كتب البلاغة المنشورة، مطبوع، وهو مختصر من "تحرير التحبير"، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة منها: ما حققه حفني محمد شرف وقد أتى الكتاب بما ورد من الألوان البديعية في آيات الذكر الحكيم، بأروع البديع ليقدم برهاناً على أن الأنواع البديعية غير مقصورة على الشعر والنثر فحسب، بل هي موجودة في القرآن الكريم من قبل، وقد طبع بتحقيق علمي جميل في سنة1377هـ-1957م[4]، وهو موضوع هذا البحث .

ثالثاً- كتاب "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح":

هذا الكتاب هو ثالث مؤلفات ابن أبي الإصبع المصري، وهو كتاب مطبوع ومحقق ، حققه حفني محمد شرف سنة 1380هـ 1960م، وقد وقفتُ عليه أثناء البحث في الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، فكان الكتاب بالياً قديماً جداً، فاطلعت عليه لأنقل منه ما يفيد البحث، وبعد إتمام هذا البحث عثرت في الجامعة الأسمرية على نسخ منه مطبوعاً حديثاً ، فإذا بالمؤلف يتكلم فيه عن فواتح سور القرآن الكريم والبدايات التي يبتدئ بها، والحِكَمُ منها وكذلك فوائدها، وعلى نوعيها المعجمة منها والمعربة، ورتب المؤلف ذلك على ثلاثة أركان، كل ركن منها يتكون من بابين؛ فتكلم عن الفواتح المعجمة وتعريفها، وأعدادها، وكشف أسرارها وحكمها، وعن الفواتح المعربة وكشف أسرارها وأشكالها؛ وكذلك عن دلالة الفواتح على الصانع والمصنوعات،

---

(1) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص88 .

(2) ينظر الإتقان في علوم القرآن ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1418هـ ، 1997م ، مج19/1 ، وفي الأعلام ، للزركلي ، ج30/4 .

(3) ينظر تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، 342/5 .

(4) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص50 .

والكليات والجزئيات، البسائط والمركبات، وعن المعجزات والمُعجِّزات للبلغاء في كل زمان ومكان[1]، فدرس فيه تركيب الألفاظ في القرآن الكريم وما تحمله من معاني ، والبحث عن أسرارها لإظهار مواطن الجمال فيها والإعجاز العلمي الذي يعجز البلغاء والفصحاء .

رابعاً- كتاب "الأمثال"[2]:

مع كثرة التأليفات في موضوع الأمثال الذي خاض فيه العلماء إلا أن هذا الكتاب هو من ضمن مؤلفات ابن أبي الإصبع المصري ،الذي سمَّاه "الأمثال" ومعناه متضمناً في مسماه، حيث اختار له هذا الاسم ليدل على فحاوى الأمثال في مختلف مواضعها، فقد ابتدأ فيه بذكر ما وقع في القرآن الكريم، والسنة النبوية من الأمثال، ثم استخرج أمثال أبي تمام والمتنبي من شعرهما، وألحق بها أمثال دواوين الإسلام، وأنه أمضى عزمه وفرغ من كتاب الأمثال بزيادات من الأشعار الستة والحماسة، ثم ختم الجميع بذكر أمثال العامة[3] . وقد ورد ذكر هذا الكتاب في كثير من الكتب التي تُعنى بالتعريف بالمؤلفات حسب تخصصها فهذا يجري ذكره ضمن الأحاديث الخاصة بالأمثال بوجه خاص أو عام .

خامساً- صحاح المدائح[4]:

صحاح المدائح كتاب مفقود وهو أحد مؤلفات ابن أبي الإصبع المصري، المتمثل في قصيدة شعر مدح بها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأهل بيته والخلفاء الراشدين الأربعة، وقد أكد ذلك في كتابه بقوله :" فإن هذا الكتاب لم نذكر فيه من الشعر إلا ما يتعلق به ، وتمس الحاجة إلى ذكره ، والقصيدة مشهورة من أراد الوقوف

---

(1) ينظر الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة لعبد الحميد علي حسين، مصر، سنة 1380هـ-1960م ، ص3 .

(2) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص95 مقدمة المحقق ، وتحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص51 مقدمة المحقق .

(3) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب التمثيل ص219 .

(4) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاقتدار ص291، تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص52 مقدمة المحقق .

عليها بجملتها وجدها في جزء أفردتُه من شعري بمدائحه _ صلى الله عليه وسلم _ ومدائح الخلفاء الراشدين الأربعة من أصحابه ، وقطعٍ في مدائح أهل بيته _ عليهم السلام _ وسميته صحاح المدائح "[1] ووصف في بعض قصائده القرآن الكريم وبلاغته، وحسن تركيبه، وبديع أسلوبه، ويبدو أن ابن أبي الإصبع قد انتقى أجمل وأبلغ المدائح ويظهر ذلك من العنوان، وكذلك أن الشعر فيه كان يحمل بين كلماته الأوصاف البلاغية لأساليب القرآن البيانية الفصيحة وبدائعه المختلفة .

سادساً- كتاب "الكافلة بتأويل تلك عشرة كاملة"[2]:

هذا الكتاب مفقود ومع ذلك استطاع المؤلف أن يوفق بين عدة علوم فها هو من جديد يقدم لنا كتاباً جديداً يُعرف من عنوانه لأول وهلة ، إنه يبحث في معاني القرآن الكريم وأسراره .

فقد تطرق بالحديث فيه متكلماً عن بديع القرآن الكريم في تفسير بعض الآيات القرآنية والبحث في معانيها ومفرداتها وكذلك تخريجها، واجتهد في تفسير بعضها، أيضاً خاض في بحر الأفلاك، وعن خلق السماوات السبع، وعن معرفة العرب لنجومها والهداية بها وأنوائها، ومسألة إنزال الغيث، وعن ظاهرة الرعد والبرق، وتصريف الرياح وأن العرب لا تعرف من الأفلاك إلا المكوكبة فيها، فيقول إنه أورده في مواضع من كتابين أحدهما الكافلة، وربط بين أفكاره المختلفة ربطاً بلاغياً جميلاً[3] ، والمقصود بالكلام مع معاني تلك عشرة كاملة والكلمات الأخيرة مقتبسة من القرآن الكريم ، أي أنه يحاول استنباط المعاني التفسيرية والبدائع منها، ولا يمكن أن يكون الموضوع تكراراً لكتابه بديع القرآن لأنه يبحث في التفسير بالدرجة الأولى ولا يخلو الأمر من إدماج شيء من البديع في الموضوع كجانب بلاغي والله أعلم .

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، ص291 متن الكتاب باب الاقتدار .

(2) المصدر نفسه ، ص254 متن الكتاب باب البسط .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص254 متن الكتاب باب البسط ،ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص52 مقدمة المحقق .

سابعاً– كتاب "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه":

هذا الكتاب مفقود، ونسْبَتُه إلى مؤلفه ذكرها ابن أبي الإصبع في تحريره يقول عنه ضمن كلامه : "وزيادات يفتقر إليها فحررتُ منها ما يجب تحريره ، وأضفتُ إليها ما تتعين إضافته ، وذكرتها في كتابي المنعوت بالميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه" [1]، وينصب معنون هذا الكتاب بالتركيز على النقد ومعرفة ما يلزم في تأليف الشعر، والنثر، وكذلك ركز في جانب منه على الرد على بعض معارضي قدامة أمثال ابن رشيق القيرواني الذي ألف كتاباً وسمَّاه "تزييف نقد قدامة" . وهذا النقد له علاقة وثيقة بالشعر والنصوص النثرية فهذا يتطلب مقدرة جيدة في القراءة والتأليف وربط العلاقات ومناظرتها[2]. وهذا اجتهاد آخر للمؤلف ابن أبي الإصبع فالنقد له أصحابه وكتَّابه ويحتاج إلى نظرة ثاقبة للنصوص وفكر راجح وعمق تفكير، وثقافة واسعة قبل كل ذلك ليتسنى لصاحبها الخوض في الاجتهاد والأداء .

ثامناً– كتاب "الشافية في علم القافية"[3]:

بما أن علم القافية مذكور في عنوانه بل إنه ينصبُّ تركيزه على القافية وما يتعلق بها، فإنه من البديهي أن يتحدث بين طياته عن علمين اثنين هما:

علم القافية[4] والعلم الآخر الذي يهتم بالشعر بالدرجة الأولى وما يتعلق به، وهو علم العروض[5]، اللذين يعنيان بالشعر والأوزان وحركات الروي[6] وقوافي القصائد الشعرية

---

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التهذيب والتأديب ص406 .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص52 مقدمة المحقق .

(3) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص96 مقدمة المحقق ، وهو كتاب مفقود .

(4) القافية هي: من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية على هذا تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمة ومرة كلمتين . كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية ،صيدا ،بيروت، 1424هـ ،2004م 135/1 .

(5) العروض هو: ميزان الشعر، بها يعرف صحيحه من مكسوره ، وهي مؤنثة، وأصل العروض في اللغة: الناحية .كتاب الوافي في العروض والقوافي، صنعه الخطيب التبريزي ، تمهيد عمر يحيى، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الفكر، دمشق، سورية،ط4، سنة 1407هـ–1986م، ص29 .

(6) الروي هو: الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وينسب إليه، فيقال: قصيدة رائية، أو دالية، ويلزم في آخر كل بيت منها . كتاب الوافي في العروض والقوافي، صنعه الخطيب التبريزي، ص200 .

التي تعطي موسيقى جمالية في الصوت والإلقاء الناتجين عن الراوي أو الشاعر أو القارئ، ويشير حفني محمد شرف إشارةً مستدركاً كلامه بأنه **لم** يعثر على هذا الكتاب[1] ويبدو أنه من الكتب التي لم تحظ بمكان في المكتبات، فالتأليف في علمي العروض والقافية المتعلقان بالشعر ومتعلقاته هو نتاج ذوق فطري نابع من فطرة وقادة، ومَلَكة أدبية رائعة، ولها دراية بقول الشعر .

تاسعاً– كتاب "وصيته إلى الكتَّاب والشعراء"[2]:

هذا الكتاب مفقود وتتضمن طيات هذه الوصية نصائحاً يقدمها المؤلف للكتاب والشعراء وأصحاب الرأي والكلمات، فجمع كتابه الوصية من وصايا لبعض الشعراء والبلغاء فنراه يشير إلى اطلاعه على وصية أبي تمام للبحتري التي رآها تحتاج إلى تحرير وتحبير وإيضاح ما أشكل منها وزيادة تفتقر إليها، وأشار بأنه جمع فصولاً يحتاج إليها العامل في البلاغة و الصناعة بعد التنقيح والتحرير ليجعلها خاتمةً لكلامه[3]. وهذا من اهتمامات المؤلف العلمية والأدبية ومراعاته لسلامة الكتابة والتعبير وأوقات التأليف من الأخطاء والزلل، ومن الوقوع في مهاوي الجهل والضلالة، وإظهار المؤلفات بالمظهر الحسن واللائق بالمضمون التي أُلفت لأجله .

عاشراً _ كتاب البرهان في إعجاز القرآن :

يبدو من خلال عنوانه أنه يبحث في موضوع إعجاز القرآن، وهو مفقود فيما أعلم ذكره السيوطي بقوله : أنه تزود بالمعلومات التي استكمل بها مؤلَّفه الذي كان من مجموعة وفيرة من الكتب العلمية، منها كتب نقلية، ومنها كتب القراءات وتعلقات الأداء، وكتب الأحكام وما يتعلق بها، وكتب الإعجاز وفنون البلاغة، ومن هذا أن كتاب البرهان يبحث في الإعجاز وفنون البلاغة للعلامة ابن أبي الإصبع المصري فينسبه إليه باسمه البرهان فقط[4]، كما ذكره صاحب الأعلام في كتابه فينسبه إليه

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص96 مقدمة المحقق .

(2) تحرير التحبير ،لابن أبي الإصبع المصري ، باب التهذيب والتأديب ، بمتن الكتاب ص406 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب التهذيب والتأديب ، بمتن الكتاب ص406 ،ص412 .

(4) ينظر الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، 1/ 19.

بعنوانه "**البرهان في إعجاز القرآن**" [1] وذكره كارل بروكلمان بعنوان "**بيان البرهان في إعجاز القرآن**" لابن أبي الإصبع المصري[2] .

الحادي عشر _ كتاب المختارات :

يقول عنه الزركلي إن هذا الكتاب في الأدب وسماه ابن أبي الإصبع "المختارات" يحكي فيه عن مختارات أدبية وتفرعات جمالية في ميدان الأدب[3]، فقد ذكره الزركلي في كتابه هذا بين عدة مؤلفات لابن أبي الإصبع المصري، فهذا ما استطعتُ جمعه من عناوين كتب ابن أبي الإصبع فيما بحثتُ .

ثانياً – مكانته العلمية:

لكل عَلَم من الأعلام مكانة علمية، وقيمة جوهرية نفيسة بين الأوساط العلمية والفكرية، فقد سطروا بأسمائهم التاريخ وشرفوا مجالس العلماء والأدباء والشعراء بعلمهم ومناهلهم الثقافية البراقة، فكان لهم التأليف النافع، والمجالس الأدبية الشعرية ، ومن بين هؤلاء الرواد ابن أبي الإصبع المصري – رحمه الله – الذي شارك أبناء عصره حياتهم العلمية .

فكتب عنه كثير من البحّاث والمؤرخين مادحين جهده ومكانته العلمية ، فوصفوه بأنه إمام للأدب، والاعتراف بمؤلفاته العديدة [4]، وله التصانيف القيمة في البديع، وعلوم القرآن، فكان ذا ثقافة عالية ومتنوعة، وكان مؤلفاً، وشاعراً، وأديباً، وناقداً حسبما دلت عليه آراؤه .

1- ابن أبي الإصبع الشاعر :

ابن أبي الإصبع المصري كان يمتلك موهبة قول الشعر، وله فيه ضروب وأغراض وساق أهل الطبقات له بعضاً منه، فمن هذه الأغراض الشعرية :

---

(1) ينظر الأعلام ، للزركلي ، 30/4 .

(2) ينظر تاريخ الأدب العربي ، لكارل بروكلمان ، 342/5 .

(3) ينظر الأعلام، للزركلي ، 30/4 .

(4) ينظر الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، عبد اللطيف حمزة ، ص257 .

أ – الوصف والغزل : إنه جاد في الوصف، فلم يصف معركة أو سلطاناً أو بناءً مشيداً بل كان يصف الخيل والطبيعة وعواصفها وكذلك الخمر، وكان له شعر في الغزل منه قوله (الطويل):

أيا عبلة الألحاظ قلبك عنترُ ** ومالي على غاراته في الحشا صبرُ[1]

نعم أنتِ يا حسناءُ خنساءُ عصرنا ** وشاهد قولي أنَّ قلبك لي صخرُ

ومن شعره الرائق الجميل أنه قال في (الطويل) :

تَصَدق بوصل إن دمعي سائل ** وزود فؤادي نظرةً فهو راحل[2].

كذلك من شعره المستجاد من (الطويل) :

تبسم لما أن بكيت من الهجر ** فقلت ترى دمعي فقال ترى ثغرى[3]

فديتك لما أن بكيت تنظمت ** بفيك لآلي الدمع عقداً من الدر

وله في هذا المضمار من الشعر أيضاً نوعاً يسمى "التصدير" الذي سمّاه الأوائل "رد العجز على الصدر" وله في "المدح في معرض الذم"[4]، وبالرغم من أن له كثيراً من الشعر إلا أنه أورد بعضه شواهداً في كتبه .

ب– الهجاء : وله أيضاً في الشعر من الهجاء في معرض المدح الذي يكمن فيه نوع من البديع، فقد هجا ابنُ أبي الإصبع فقهاً بشيء من الشعر نظمه في ثلاثة أبيات "من السريع" يقول:

ابن فلان أكرم الناس لا ** يمنع ذا الحاجة من فلسهِ[5]

وهو فقيه ذو اجتهاد وقد ** نص على التقليد في درسهِ

يستحسن البحث على وجهه ** ويوجب الفعل على نفسهِ

---

(1) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص29 .

(2) فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد شاكر الكتبي، 364/2، وفي كتاب تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص29 .

(3) شذرات الذهب، لابن عماد الحنبلي ، 397/5 .

(4) النجوم الزاهرة، لابن تغري ، 37/7، 38 .

(5) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم بن العباسي ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1367هـ 1947م 39/1 .

فالبيئة التي عاشها المؤلف كانت له بمثابة الأرض الخصبة للنماء والعطاء ، فلم يدخر جهداً في ذلك لا سيما في التأليف، مما شجعه على أن يكون شاعراً . أيضاً فإنه قال شعراً في باب من أبواب البديع عنده وهو باب الاستعانة فوضح فيه أنه أتى بأبيات هجا بها متطبباً يهودياً [1]، [الطويل] :

رأيت أبا الخير اليهوديَّ ممسكـاً ** بقارورةٍ كالورس[2] راقَ حليبُها[3]

وقد رش منها فوق صفحة وجهـه وقال لقد احيا فؤادىَ طيبُها**

ج- المدح : فقد قال المؤلف في المدح لا سيما في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث نظم قصيدةً في مدحه عليه الصلاة والسلام وخصائصه عدتها خمسة عشر وثلاثمائة بيتاً كما أوضح في بديعه باب الاقتدار يقول في مطلعها [الطويل]:

بسُكر الصِّبا أعطافها تتأوَّدُ[4] ** فألحاظها سُكراً علينا تُعْربِدُ[5][6]

هذا ولو بشكل عام دون تفصيل، لنصل إلى أن المؤلف بليغٌ وفصيحٌ في شعره، إلا أنني لم أعثر فيما اطلعتُ عليه من مصادر على وجود ديوان شعر له مجموع .

2- ابن أبي الإصبع الأديب :

ابن أبي الإصبع من المميزين لشغفه بالعلم والتأليف استطاع أن يضع بصمته واضحةً في ساحة التأليف، فعلاوةً على أنه شاعرٌ، فهو مؤلف وصُنف من أصحاب التأليف والكتابة، والواضح من كتبه أن جهوده لم تقف عند الكلام في البديع واستخراجه

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، ص384 باب الاستعانة .

(2) الورس: هو شيء أصفر مثل اللطخ يخرج على الرَّمت بين آخر الصيف، وأول الشتاء إذا أصاب الثوب لونه، والورس صبغ . لسان العرب المحيط ، للعلامة ابن منظور، معجم لغوي علمي، قدم له الشيخ: عبدالله العلايلي، إعداد يوسف خياط ، دار لسان العرب، بيروت،3/ 909 ، مادة ورس .

(3) تحرير التحبير لابن أبي الإصبع، ص 384، باب الاستعانة .

(4) من تأوَّدَ: ربما يكون قصد الشاعر، أصلها أَوِدَ الشيء بالكسر يَأوَدُ أوداً، أي: اعوجَّ . وتأوَّدَ: تعوَّج ، مادة أود. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت،ط3 ، 1404هـ-1984م، 442/2 .

(5) تعربد: والعِرْبدُ: الأرض الخشنة ، العَرْبدة سؤ الخلق، ورجل معربد: يؤذي نديمه في سكره . لسان العرب المحيط، لابن منظور، مادة عربد ، 726/2 .

(6) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص290، باب الاقتدار .

من القرآن الكريم ثم الشعر فحسب ؛ بل إلى التحليل والتعليل، ولا يترك النحويين يخرجون الآيات تخريجاً يوافق قاعدتهم أو لا يوافق، بل يرشدهم إلى المعنى المقصود، وذهب إلى أن ينتقد الشعراء السابقين له، ويناظرهم ويحاورهم بالقواعد العلمية والفطرة الأدبية، فكانت له بصمة في وضع الأسس لصناعة الكلام، فهو ممن تأثر بكثير من الشعراء والنقاد الذين سبقوه، وتكلم عن وصف القرآن الكريم، وكذلك في مدح النبي – صلى الله عليه وسلم – وأن نقله عن قدامة لم يسبقه أحد حتى أنه ألف كتاباً أفرده للدفاع عنه، والمفاضلة بينه وبين خصومه[1] .

برزت مقدرته الفكرية عندما ألف كتابه "الخواطر" فتكلم عن فواتح السور القرآنية المعجمة والمعربة بالتحليل والتفسير، ولكن تناوله لها كان بعقلية البليغ، والفلكي الرياضي، فبين عددها وأقسامها وأصولها من الحروف، واشتمال المعجمة فيها على حروف المعجم في النطق وإن كانت تتضمن أربعة عشر حرفاً في الخط، وبين سبب اختصار الفواتح المعجمة على تسع وعشرين فاتحة رابطاً ذلك بمنازل القمر[2]، وهذا تنوع آخر من التأليفات التي يمتلكها المؤلف، وبذلك يكتسب صفة جديدة إلى صفاته السابقة، وهذا الامتزاج في التأليف من شأنه أن يظهر المواهب الجديدة لتعود لتطفو على السطح حتى يكتشفها صاحبها، وهذا جلي عنده عندما يتبع شعره بشعر الشعراء السابقين فنراه يلعب دور الناقد المحلل الذي يوازن بينه وبين ابن الرومي[3] في بيت تبعه فيه فيقول ابن الرومي من (البسيط):

سَدُّ السَّداد فمِي عَمَّا يريبكم ** لكن فمُ الحالِ منِّي غيرُ مسدودِ[4]

---

(1) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص10 ، 15 ، 49 .

(2) ينظر الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع المصري ، ص44 .

(3) هو: علي بن العباس بن جريج، أو هو وحيس، الرومي، أبو الحسن: شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني عباس، ولد ومات ببغداد مسموماً، توفي سنة 283هـ . ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان 358/3، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبدالرحيم العباسي ، 108/1، والأعلام، للزركلي ، 297/4، وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي ، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط29، سنة 1403هـ-1983م، 2 /451 .

(4) ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3 ، 1423هـ-2002م، 1/ 390 .

وابن أبي الإصبع يقول في (الكامل) :

هبني سكتُّ أمَّا لسانُ ضرورتي ** أهجى لكل مقصِّرِ عن مَنطقي[1]

فالمتمعن في بيت ابن الرومي يلحظ فيه وقوع المحاسن منها أربعة عشر ضرباً، وهي التجنيس في قوله سد السداد، والتفسير في "عما يريبكم" والاستدراك في "لكن" وما بعدها، والاستعارة "فم الحال" والتصدير فيما بين القافية وأول البيت، والتمثيل والمثل والمساواة والإتلاف، والإرداف في "لكن فم الحال" فعبر عن المعنى لسوء حاله بلفظ هو ردفه في قوله: "**لكن فم الحال مني غير مسدود**" فراراً من التصريح بالذم وأشار إلى فن الفخر بوصف نفسه بالسداد، والبيت فيه فن العتاب والإدماج والتعطف والتهذيب في كلمة "فم" ، مصرحاً ابن أبي الإصبع بأنه يتفق في بيته ذلك سبعة عشر ضرباً من البديع، وهي المطابقة في السكون والنطق، واستعارة للسان الضرورة، والمبالغة في "أهجي" والتكميل في "**لكل مقصر**" والتفسير في "**من منطقي**" والتمكين والمساواة في مطابقة البيت لمعناه، والائتلاف في عدم نيابة لفظة مكان أخرى، والإيجاز في التفاصيل، في "هبني سكت" أوجز من قول ابن الرومي "سد السداد فمي" وقوله: "لسان ضرورتي" أوجز من "فم الحال مني"، وكذلك الحال في "أهجى" أوجز من "غير مسدود"، هذا في إيجاز تفاصيل البيت، أما في إيجاز جملته فإن حروف بيت ابن أبي الإصبع اثنان وأربعون حرفاً، وبيت ابن الرومي خمسة وأربعون حرفاً، وأن بيته أوضح وغير متكلف فيه، بعكس بيت ابن الرومي، وفي البيتين المراد الهجاء فالوضوح في الألفاظ عنده كان في "أهجى" أدل من الهجاء الظاهر في "عمَّا يريبكم" وفي هبني سكت" أبلغ في السكون دون اللسان من قوله "سد السداد فمي عما يريبكم"؛ والأخير فيه إسجال النفي على السكوت وهذا غير مراده، فقال: إنه انتخب الوضوح في مفرداته وحسن تركيبه والسهولة، وكلامه كان موصوفاً بحسن البيان ومنعوتاً بالتهذيب، وحسن الاتباع، وقد وقع في بيتي الإبداع، والترشيح للاستعارة، في "لسان ضرورتي" فيها عند أهل الصناعة المذهب الكلامي، ولذلك حصل للبيت تلك الأضرب من البديع[2]

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن الاتباع ، ص483 .

(2) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن الاتباع ، ص483-486 .

فاستخدام الإيجاز والاختصارات دليل على قوة البلاغة وحسن التصرف في الألفاظ والتنوع في الأساليب، مع أن البيتين لشاعرين مختلفين وقد ظهر بينهما الفرق في الصياغة والتأليف .

3- ابن أبي الإصبع بليغ وباحث في الإعجاز القرآني :

شغل موضوع إعجاز القرآن الكريم كثيراً من العلماء على مر العصور وأبدوا آراءهم في مسألة إعجاز القرآن، ومن هؤلاء ابن أبي الإصبع الذي يرى أن إعجاز القرآن الكريم كما يكون بالجمل والعبارات البليغة، يكون بالمفردات أيضاً؛ لأنه ينتظم منها إعجاز يحصل به الاستدلال القاطع كمنازع عند الجدال، وهذا سر الإعجاز فيه؛ لأن العادة جرت أن يكون الإعجاز في الجمل وائتلافها ومعانيها لا في المفردات[1] . وهذه الرؤية العلمية التي قال بها ابن أبي الإصبع، تعطي الباحث لا سيما في الإعجاز القرآني القاعدة الأوسع في النظر إلى الآيات القرآنية نظرة علمية عميقة.

ونرى بعضاً من الحكماء البلغاء الذين درسوا اللغة وترا كيبها ومفاهيمها من ترادف وتضاد، فاهتموا بالنظم والأسلوب وتركيب العبارات ونظروا إلى القرآن الكريم نظرةً علمية مليئة بالتأمل، ووجدوه أنه محكم اللغة والأسلوب، وكامل التراكيب والتناسقات اللفظية؛ لأنه كلام الله سبحانه وتعالى، أن كلماته ومعانيها متناسقة من حيث التقارب الشديد والتماثل والتقابل بين ألفاظه ، حتى أنها لا تكاد تفترق عن بعضها البعض مثل: الصلاة والزكاة، والجوع، والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين، والأنصار، والجن والإنس، فمثل هذه الكلمات فطن لها المؤلفون والبحّاث[2] .

والإعجاز البياني تكلم فيه بل خاض فيه كثير من العلماء والمؤلفين حتى إن منهم من ألف شيئاً في ذلك فسمّاه صاحبه كتاب "إعجاز القرآن" عندما تكلم عن الصور البلاغية في القرآن الكريم ودراسة الألفاظ والأسلوب ومضمون الكلام ومن أقواله في نظم القرآن الكريم: "فأما منهج القرآن ونظمه ورصفه، فإن العقول تتيه في جهته،

---

(1) ينظر الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع المصري ، ص63 .

(2) ينظر البيان والتبيين، للجاحظ ، 21/1.

وتحار في بحره، وتضل دون وصفه، ونحن نذكر لك في تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض، وتستولي به على الأمد، وتصل به إلى المقصد، وتتصور إعجازه كما تتصور الشمس، وتتيقن تناهي بلاغته كما تتيقن الفجر، وأقرب عليك الغامض، وأسهل لك العسير"[1]. وحري بنا في هذا الصدد أن نقف برهة لمعرفة الإعجاز عند الذين اجتهدوا حديثاً وهذا واحد منهم يرجع الإعجاز إلى شيئين اثنين هما: "ضعف المقدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على مر الزمن وتقدمه"[2]. هذا حال كلمة الإعجاز فقط فما بالك بكلمتين تحملان الإعجاز والقرآن معاً، فهذا الذي خاض فيه الخائضون ، وغاص فيه الماهرون.

وأما من جهة ما يؤول من ألفاظ القرآن الكريم وما أشكل من ذلك على المتلقي ففيه بحث ودراسة من قبل بعض العلماء الورعين، فنرى ابن قتيبة يعرض أنواعاً بديعية أو بلاغية في القرآن الكريم ويرد على الطاعنين والملحدين والذين اتبعوا التشابه والتأويل وأرادوا الفتنة لغياب العلم والإيمان، ويقدم لنا بعض الأنواع البديعية في كتابه، ونراه يصرح بالسبب الذي دفعه إلى تأليف كتابه بقوله: "فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مُطِّلع على لغات العرب، لأُرِيَ به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل"[3]. وكأنه يوضح لنا أن أمر الطاعنين والمشككين الذين اتبعوا طريق الفتنة كثر في ذلك الزمن .

وهناك دراسات أخرى تكمن في الردود على أصحاب الجدال، فقد تعرض علماؤنا إلى موضوعات أخرى شائكة وصعبة من بينها متشابه القرآن الذي قام الأئمة

---

(1) إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة 1963م ، ص79 .

(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر، سنة 1346هـ، ص139 .

(3) تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر ،ط2 ، سنة 1427هـ-2006م، ص82 .

بالاهتمام به ، وتخصيص مؤلفات له، والتي توضح مسائل عدة منها: مسألة كيفية الاستدلال بالقرآن الكريم على ما يدل عليه، وكذلك مسألة مفادها لسائل يسأل عن المحكم من القرآن الكريم له مزية على المتشابه فيما يدل عليه أولا مزية له، وكذلك توضيح آخر لمسألة أخرى لسائل إن كان المحكم في اللغة العربية كالمتشابه[1]، وغيرها من المسائل العديدة التي أثارت النقاش والحوار اللذين ينبعثان من الذين يجهلون الإجابة عنها، ويطالبون بالحجة الثابتة في القرآن الكريم، والرد على مثل هذه الأمثلة والتساؤلات تحتاج إلى عقل راجع وعلم وافر وعالم مناظر يقنع بأسلوبه المحاورين .

وأما موقف ابن أبي الإصبع العلمي من الإعجاز القرآني البياني فهو يرى أن القرآن الكريم معجز بألفاظه وأسلوبه وتركيباته اللغوية والمعنوية، ففي مقدمة كتابه البديع يقول إن كتاب بديع القرآن هو تتمة للإعجاز المترجم ببيان البرهان أفرده من كتاب هو وظيفة عمره ،ثم سرد كثيراً من كتب الإعجاز منها: النكت في الإعجاز للرماني، وإعجاز ابن الطيب الباقلاني، ودلائل الإعجاز للجرجاني، وإعجاز ابن الخطيب، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى، وبعض التفاسير، ثم ينبه عند إتمامه كتاب بيان البرهان أنه لابد له من تتمة فكان كتاب بديع القرآن، فالرجل تركيزه كان شديداً على مسألة الإعجاز والبرهان والبيان، وهذا يخص بالدرجة الأولى موضوع الإعجاز القرآني[2] .

فعرف عنه أنه رقيق الحس، قوي الشعور بالجمال، فقد اطلع على آراء العلماء وزاد عليها، والناظر إلى الآثار العلمية لابن أبي الإصبع يعي بلاغته ولمساته العلمية، ثم دراسته التحليلية لبعض أنواع البديع ، حيث يأتي بالشاهد ويفسره ويحدد روابطه

---

(1) ينظر متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني، تحقيق: عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، سنة 1969م ،1 /1-8 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص15 وماقبلها من مقدمة المؤلف .

باستخراج الأوجه البلاغية منه لاسيما البديع وأنواعه بتحليل الغامض وتبسيط المعقد لإيصال الفكرة [1] .

تأثر ابن أبي الإصبع بمن سبقه من العلماء الذين كتبوا في البلاغة لا سيما من كتب في البديع وصار من رجاله، حيث نقل عنهم وأخذ بآرائهم في العلم، وأنه قابل بعضهم مثل التيفاشي وناقشه في البديع الذي درسه ابن أبي الإصبع وفصل وزاد فيه، وغيّر حتى من مسميات بعض الأنواع البديعية التي سماها غيره، مثال ذلك:"التسبيغ"، عند بعض أهل البلاغة، سماه ابن أبي الإصبع "بتشابه الأطراف"، و"التشريع"، عندهم، سماه هو "التوأم" وكتابه بديع القرآن خير دليل على فصاحته، وبلاغته، ومقدرته العلمية الفريدة على استخراج أنواع البديع من القرآن الكريم، ودرسه دراسةً وافية، وانصبّ تفكيره على البديع في القرآن الكريم[2]. ونراه يخبر عن نفسه في حديثه عن بذل جهده في "بديع القرآن" عندما قال إن هذا الكتاب هو وظيفة عمري، وثمرة اشتغالي في إبان شبيبتي وزاد على ذلك معبراً بأن مباحثته في أوان شيخوخته، وكذلك مع كل من لقى من الفضلاء العلماء، ونبلاء البلغاء في علم البيان، وكل من له عناية في تدبر القرآن الكريم، وله نقد عميق لجواهر الكلام[3]. فهو ضمن هؤلاء الذين عرفوا بالبلاغة والفصاحة وخوضهم بحور علم البيان ،وأنه ملأ مكانه باقتدار وسط زحام المواهب والملكات، ويعدّ من رجال البلاغة العربية من خلال عرض مؤلفاته والتعرف عليها لاسيما كتابه – بديع القرآن – والاهتمام بمعاني القرآن الكريم، وتفسيراته، وجواهره، واضعاً نصب عينيه الأنواع البديعية وأمثلتها في القرآن الكريم، فكلام الله سبحانه وتعالى قد أعجز الألسن والعقول ولا زال كذلك إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها .

ثالثاً . وفاته:

وفاة ابن أبي الإصبع المصري، بمصر في ثالث وعشرين شوال سنة أربع وخمسين وستمائة . رحمه الله تعالى . كما ورد في وفاة ابن أبي الإصبع في كثير من المصادر

---

(1) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص5 . 7 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص70 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص4 من مقدمة المؤلف .

العلمية التي عنت بتدوين ما يخص الأعلام المشهورين من معلومات كسنة الميلاد ومؤلفاتهم وعن وفاتهم [1]، وكان عمر المؤلف عند وفاته نحو خمس وستين سنة[2] . تلك كانت سنة وفاة ابن أبي الإصبع المصري، أحد أعلام البلاغة واللغة والأدب، الذي عاش حياته حاملاً شعار طلب العلم، والتأليف حتى ترك مؤلفاته للأجيال .

(1) فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي ، 364/2 ، وفي النجوم الزاهرة ، لابن تغري، 37/7 ، وفي الأعلام ، للزركلي ، 30/4 ، وفي شذرات الذهب ، لابن عماد الحنبلي ، 397/5 .

(2) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر ،القاهرة ، الناشر محمد مصطفى زادة ، 1355 هـ، 1936 م ، 1 / 401 .

المبحث الثاني

التعريف بكتاب " بديع القرآن"

المطلــب الأول – مضمون كتاب بديع القرآن

المطلــب الثاني – نسبة الكتاب إلى المؤلف

المطلــب الثالــث – قيمة الكتاب العلميــة

المطلب الرابــع – زمن تأليف الكتاب

المطلب الخامــس – سبب تأليف الكتــاب .

المطلب الأول : مضمون كتاب " بديع القرآن "

سبق وإن أشرتُ إلى كتاب بديع القرآن عند الحديث عن مؤلفات ابن أبي الإصبع في المبحث الأول ضمن مؤلفاته، أما موضوع هذا الكتاب مبني على كتاب آخر وهو كتابه بيان البرهان في إعجاز القرآن كما قال عنه ابن أبي الإصبع :" كتاب بديع القرآن الذي هو تتمة للإعجاز المترجم (ببيان البرهان) أفردتُه من كتاب هو وظيفة عمري وثمرة اشتغالي في إبان شبيبتي "[1]، وقد ورد هذا الكتاب كثيراً في كتب التراجم مع نسبته إلى المؤلف، فهناك من قال إن أشهر مؤلفاته "بديع القرآن" الذي اعتمد في جمعه على كتابي نقد الشعر والنثر لقدامة بن جعفر، وبديع عبدالله بن المعتز، اللذين أسهما إسهاماً فعالاً في نشأة هذا الفن ومن "حلية المحاضرة"، للحاتمي[2]، وجعله تتمة لكتابه الذي سماه "بيان البرهان في إعجاز القرآن"، ورتبه على مائة وثمانية أبواب، وقد عبر عنه بأنه وظيفة عمره وثمرة اشتغاله، فدل هذا على علاقة الكتاب بصاحبه[3]، وفكرة البديع عند ابن أبي الإصبع كانت سابقة، فقد ألف كتابه "تحرير التحبير" في بديع الشعر والنثر وكان في البديع عموماً، ولكن بعد تمحيصه وتحليله جيداً اهتدى إلى أن يستخلص البديع ويجمعه من القرآن الكريم فقط، فقد بلور أفكاره في أن يجمع كتابه "بديع القرآن" من كتاب "تحرير التحبير" الذي يسبقه في التأليف، ويجمع مادته منه، ليدل على أن الأنواع البديعية ليست مقصورةً على الشعر والنثر فحسب، بل هي موجودة في القرآن الكريم من قبل ذلك وأسبق[4] .

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، ص4 من مقدمة المؤلف .

(2) هو: محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي، أديب ناقد، من أهل بغداد، نسبته إلى جد له اسمه "حاتم"، له "الرسالة الحاتمية" و"حلية المحاضرة"، توفي سنة 388هـ . ينظر ترجمته في معجم الأدباء أوإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لأبي عبدالله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1، 1991م، 313/5 ، وشذرات الذهب، للحنبلي، 258/3، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، 362/4، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس730/1 الأعلام، للزركلي ، 82/6، .

(3) ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي ص126 ، وفي الأعلام ، للزركلي 30/4.

(4) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص50 مقدمة المحقق، وقد تم الحصول على هذا الكتاب "بديع القرآن كان في الأصل مخطوطاً " تم تحقيقه وطبعه سنة 1377هـ- 1957م .

وكل كتاب بطبيعة الدراسة يكون مقسماً تقسيماً منهجياً وعلمياً فأبوابه كانت كما يلي :

تقسيم كتاب "بديع القرآن": على غلافه عنوانه "بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري" 585 –654 هـ، ثم مقدمة تحدث فيها عن كتابه وأنه تتمة لكتاب آخر له وهو وظيفة عمره ، ثم سرد فيها مصادر الكتب التي نقل منها ، ومؤلفيها، وهي كثيرة، ثم وضح كيفية تحريره ما يمكن تحريره، والتنقيح، والتعديل، ووضع كل شاهد في موضعه كما يقول، وأحياناً يبقي اسم الباب وأحياناً يغيره، وذلك في أبواب أصولاً وفروعاً يقصد بتحرير التحبير، ثم علم إنه لابد له من تتمة فكان بديع القرآن بمائة وثمانية أبواب، أي أنه قسم كتابه إلى أبواب، بدأه بالباب الأول وهو باب الاستعارة وانتهى بباب حسن الخاتمة، وفي كل باب يعرّف موضوعه، ويأتي بآراء أنصاره وأوجه الخلاف بينهم إن وجدت، وأوجه الاتفاق أحياناً، ثم يأتي بالشواهد وهنا شواهده تختلف، أحياناً يبدأ بالشواهد القرآنية، وأحياناً بالشعرية، وفي بعض الأحيان بالأحاديث، وفي أغلب الأبواب تجتمع أنواع الشواهد كلها ويأتي بالتوضيح والتفسير لها في كل باب ، ثم يختم بتمام كتابه بديع القرآن المجيد ، وعدة أبوابه ، بتمام كتاب البرهان في إعجاز القرآن[1] .

ومحور الموضوع هو "القرآن والبديع" كمضمونٍ للكتاب، فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل، المعجز والغاية في الفصاحة والبلاغة والأسلوب، بل إن اللغة والفصاحة والبلاغة في القرآن الكريم لا حدود لها ولا يعلم بغاياتها إلا الله سبحانه وتعالى، الذي حفظها في كتابه العزيز في لوح محفوظ ومن ذلك يتجلى البديع في القرآن الكريم .

ولأن الموضوع متعلق بالقرآن الكريم فإن الباحث ربما يقع في أمور لا تحمد عقباها، كالبحث في المعاني الدقيقة والخوض في مسائل تتعلق بمتشابه القرآن الكريم، فقد يغيب على الإنسان أمرُ الألفاظ والمعاني ومقاصدها ، أي أنه لا ينبغي عليه أن يبحث في أشياء تصعب عليه فيكون في منأى منها ومعانيها، كما أن هناك آيات تتشابه في أكثر من موضع في الكتاب العزيز مما يوجب البحث في المعنى، والحكمة من تشابهها، ومعرفة أسباب نزولها ، وتفسيرها وتأصيل الاستدلالات بها، فالبحث في

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ملخص من مقدمة المؤلف ص3 وبقية الأبواب .

المعاني له علاقة بالبديع وضروبه، والربط ما بين الألفاظ والمعاني من حيث المتشابه والتركيب ، وكذلك أمر أدلة العقول؛ ولهذا يراعى موضوع المتشابهات من الآيات القرآنية والتنبيه عليها[1]. وهذا تنبيه علمي نتعلم منه التفريق بين التقارب في الألفاظ والمعاني، وإشارة إلى خطورة الوقوع في مثل تلك المغالطات العلمية وعلى غراره فإننا عندما نتأمل كتاب الله عز وجل، يمكن الحصول على جديد بديعي من أول وهلة ودونما تعمق .

ولهذا رأى بعض العلماء إنه من الضروري معرفة أمر في غاية الأهمية، وهو النظائر في ألفاظ القرآن الكريم، فحثوا على "جمع معاني الكلمة الواحدة في القرآن الكريم مفرقة على الآيات واقتصر على إيراد الكلمة المرادة وسط جملة مفيدة، مشيراً أحياناً إلى موضع الآية في السورة" [2] .

ومن جهة أخرى فإن ألفاظ القرآن الكريم مع ذلك التقارب والاختلاف اللفظي والمعنوي بين الألفاظ، وإيجاد وجوه المحسنات البديعية فيها وحسن تركيبها وبلاغتها إلا أنها تعكس جوانب جمالية أخرى تلحق علوم البلاغة الثلاثة البيان والمعاني والبديع وهي استنباط كثير من الحكم والأمثال في القرآن الكريم وهي وفيرةٌ جداً إلا أن دراستها تتطلب براعة استخراج وتصنيف؛ لأنها غالباً ما تكون مضمنة ومجوهرة وأحياناً أخرى تكون ظاهرة وواضحة المعالم، كما أن حياة الإنسان من ناحية أخرى لا تكاد تخلو من وجود تلك الحكم والأمثال، فهو خلاصة تجاربه مهما اختلفت العصور والأجيال، والثقافات، وينتج عن ذلك اتخاذ الأساليب في التعبير عنها ومن ثم تكون براعة لغوية وقدرة على الإيجاز والدهشة، وهذا كله لا يخلو من البلاغة والإبداع[3]، وقد تعمدتُ

---

(1) ينظر متشابه القرآن، للقاضي عبدالجبار الهمذاني ، تحقيق عدنان زرزور، 37/1.

(2) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للفقيه المفسر، الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1983م، ص8 .

(3) ينظر مختصر كتاب مجمع الأمثال، للميداني، اختصار وتقديم: أحمد سويلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م، ص15 .

الخوض في موضوع المتشابهات في الألفاظ لأنه يضفي نوعاً من الجمال في التركيب اللفظي ومعانيه، التي تشكل مع بعضها كماً من الألوان البديعية .

أما من الناحيتين التاريخية والعلمية فإن هذا المصطلح الذي درسه ابن أبي الإصبع قد أطلق عليه لفظ إطلاقاً شاملاً مستنبطاً من القرآن الكريم، الشواهد والمعاني والبيان والبديع مختلطة[1] . وهذا كان سابقاً عند الأوائل القدامى، ولكن بعد المضي في هذا المضمار أصبح السير فيه مختلفاً تماماً فمن المجتهدين في هذا العلم بعض المفسرين العلماء الذين كان لهم تنمية البلاغة والكشف عن أسرارها، فمن تلك التفسيرات لغوية ومنها تأويلية، فمن الذين تعرضوا لدراسة بلاغة القرآن الكريم العلامة المفسر الفرَّاء[2] المتوفى سنة 207هـ، وأمثاله كثر ولكن كمثال فقط، فكتابه المعاني الذي يبحث في التراكيب والمعاني والإعراب، مع ذلك يبحث في الأسلوب، لاسيما في الجانب النحوي منه، ومن ناحية الدراسات البيانية فقد تكلم عن كثير من الأنواع البديعية في القرآن الكريم مع ذكر الأمثلة من الآيات القرآنية لها[3]، والمراد من ذلك كله هو التنبيه عما في الآيات القرآنية من بديع يتجلى في ألفاظه ومعانيه .

ومن جهة أخرى فإن البلاغة الخاصة بالقرآن الكريم وبديعه انتقلت من مرحلة دراسة لغوية إلى دراسة بلاغية على يد بعض المفسرين والأدباء وذلك مع تحديدها بحدود بيان الألفاظ وسلامة التركيب، ثم زادت نطاقات الدراسة إلى التخصيص بالنظم والأسلوب، والمعاني، ثم الأثر في النفوس والقلوب، حتى وصلوا إلى تحديد أو حتى ذكرت بعض الأنواع البديعية وبيانها في القرآن الكريم، ومحاولة دراسة الأمثلة لها في القرآن الكريم، وفي هذا كله كان الغرض الأساسي من الدراسة هو الكشف عن إعجاز

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص33 مقدمة المحقق .

(2) هو: يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي ، مولى بني أسد (أو بني منقر)، أبوزكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، توفي سنة 207هـ . ينظر: ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان، 176/6، وشذرات الذهب، للحنبلي 98/2، ومعجم الأدباء، للحموي 619/5 ، وفي الأعلام، للزركلي ، 145/8 .

(3) ينظر معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى الفرَّاء ، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط3 ، 1403هـ-1983م، 91/3 .

القرآن الكريم[1] . وهذا الأثر العلمي يتناول بالدرس علماً مهماً من علوم البلاغة وهو "علم البديع" ويبين فيه أنواع البديع في القرآن الكريم التي اهتدى إليها الإنسان بمحدوديته العقلية؛ لأن كلام الله أكبر وأعظم من أن يحدد، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2].

ومما لاشك فيه أن ألفاظ القرآن الكريم ساحةٌ للعلم والدراسات لا سيما ما نحن في صدده من علوم البلاغة وهو البديع الذي أصبح محض دراسة للعلماء والبلاغيين وبعض المفسرين، فإذا جُمعت آراء المفسرين والأدباء والنقاد نستطيع أن تقف على قاعدة علمية للخوض في البديع وأساليبه وضروبه المختلفة كما وضحه ابن أبي الإصبع المصري في كتابه "بديع القرآن " ، والبديع عموماً كتبَ عنه الكثيرُ من الكتاب والمؤلفين، حتى صار له كتبٌ كثيرة ولكن أن يدرس البديع منفرداً وخصوصاً للذي وجد في القرآن الكريم من البديع فهذا لب الكلام ومقصوده ، وهذا الجديد في التأليف لكتب البلاغة .

هذا إيجازٌ مبسط لمعرفة الكتاب والتعريف به، كمدخل للدخول فيه والغوص في سبره وأعماقه، ومعرفة ما قيل عنه من آراء العلماء والباحثين، فهو يعد نتاج تجربة وخبرة علمية استخرجها صاحبها بفكرة الانفراد والجديد في التأليف ليأخذ طابع التميز وعدم التكرار، وليكون بجديده قد قدم شيئاً للعلم...

المطلب الثاني : نسبة الكتاب إلى المؤلف .

عندما ألف ابن أبي الإصبع كتابه "تحرير التحبير" لم يذكر فيه بعض أنواع البديع ولكن استدركها في كتابه "بديع القرآن" ووجد لها أمثلة وهذا يدل على أن الكتابين مرتبطان ببعضهما البعض، وكذلك تسميته في "تحرير التحبير" لنوعين من البديع باسمين ثم غيرهما بعد ذلك في "بديع القرآن" وقبل ذلك ذكر المحقق الأثر الثاني من الآثار العلمية للمؤلف وهو "بديع القرآن"[3] وذكر أيضاً في مقدمته للكتاب الذي حققه

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص56 مقدمة المحقق .

(2) سورة الإسراء، الآية 85 .

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص91–93 مقدمة المحقق .

وهو "تحرير التحبير" فقال بعبارة صريحة أثناء الكلام: " تحرير التحبير الذي يعد أصلاً لكتابه بديع القرآن" [1]. وقال أيضاً: " الكتابان يمثلان جهد ابن أبي الإصبع في الجانب البياني الخطير"[2]، وكل من كتبوا عنه أو ترجموا له ينسبون هذا الكتاب إليه ومنهم على سبيل المثال :

1- كارل بروكلمان الذي ينسب كتاب "بديع القرآن" لابن أبي الإصبع المصري ضمن بعض الكتب الأخرى وذكر حتى أماكن وجوده في مدينة القاهرة بمصر، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ومكان طبعه في حيدر آباد وهو في الأصل مكمل لكتاب "بيان البرهان في إعجاز القرآن" [3] وعلاقته به .

2- السيوطي ذكر الكتاب بعنوان " بدائع القرآن" لابن أبي الإصبع أثناء سرده للكتب التي اعتمد عليها لجمع كتابه الإتقان [4] .

3- صاحب كشف الظنون الذي ذكر بعض البدائع ومنها كتاب ابن أبي الإصبع الذي ذكر بصفة الجمع "بدائع القرآن" ونسبه إليه ذاكراً اسمه كاملاً وسنة وفاته[5] .

4- الزركلي نسب كتاب بديع القرآن إلى ابن أبي الإصبع في كتابه [6] .

5- المراغي ذكر في كتابه أن كتاب بديع القرآن منسوب إلى صاحبه ابن أبي الإصبع[7] ، ولم أجد من أنكر نسبة هذا الكتاب إليه أو نسبه إلى غيره .

المطلب الثالث : قيمة الكتاب العلمية .

من الطبيعي أن تختلف قيم الكتب عن بعضها، فمنها ما هي ذات قيمة عالية جداً، ومنها ما هي دون ذلك؛ لأن ذلك يرجع إلى جوهر الكتاب، والموضوع الذي

---

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص1 من مقدمة المحقق .

(2) المصدر نفسه ، ص2 من مقدمة المحقق .

(3) ينظر تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، 342/5 .

(4) ينظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ج19/1 .

(5) ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة المولى مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1413هـ-1992م، ج230/1

(6) ينظر الأعلام ، للزركلي ، ج30/4 .

(7) ينظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، لأحمد المراغي ، ص126، 127.

يدرسه، ومهما اختلفت هذه القيم فمكانة الكتاب وقيمته تبقى مصانة ومحفوظة، فالكتاب حصيلة أفكار وبنياتها ودبيب الأقلام ومدادها.

وقيمة كتاب بديع القرآن ترجع إلى أنه أول مؤلف تناول البديع في القرآن الكريم حيث إن الكتاب اقتصر على دراسة فن البديع في كتاب الله تعالى .

كما أن صاحبه نزه القرآن الكريم عن بعض أنواع البديع من مثل :الهزل الذي يراد به الجد ، والتشطير والتجزئة والتطريز وبعض الأنواع الأخرى ، ورأى أنها لا تليق بالقرآن الكريم وأساليبه ومعانيه السامية الفاضلة ، وحاول ابن أبي الإصبع من خلال كتابه أن يثبت الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بما حواه من فنون البديع .

المطلب الرابع : زمن تأليف الكتاب .

لم يذكر المؤلف تاريخ تأليفه لكتابه بديع القرآن ولم تكن هناك أية إشارات استدل بها على تلك الفترة ؛ إلا أنني استنتج ذلك استنتاجاً من الوقائع التاريخية والعصر الذي عاشه المؤلف .

فمن خلال تاريخ ميلاده ووفاته، وعندما دخلت سنة سبع عشرة وستمائة كان قد وصل خبر خروج التتر إلى بلاد الإسلام، تلك الفاجعة والمصيبة الكبرى التي ابتليت بها الأمة الإسلامية [1] وفي ذلك الوقت كانت مصر تحت حكم الأيوبيين وهي سنة إحدى وعشرين وستمائة"[2] فخلال تلك الفترة قضى المؤلف حياته العلمية والفكرية ، واشتهر هذا الزمن بانتشار الحروب واتساع رقعة العلوم ومجالاته المختلفة، فأخذ العلم ينتشر سريعاً حيث مراكزه التعليمية وتخريج الطلبة والعلماء الذين فقدوا أدوات التعليم ولم يرتقوا منابر العلم و يجلسوا حلقاته، والحمد لله الذي أنعم علينا نعمة نور العلم

---

(1) ينظر الكامل في التاريخ، لأبي الحسن عبدالكريم الشيباني ابن الأثير الجزري ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ط3، 1998م، 257/10 .

(2) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري ، 257/6 .

وبصيرته على يد العلماء وأهله، وظهر في هذا الزمن كثير من العلماء والمؤلفين المعروفين[1] .

فهذا زمن اضطرابات سياسية وحربية، ومع ذلك فإن الأجواء كانت مشبعة بأرائج العلوم والمعرفة مع كثرة المؤلفات في شتى العلوم، فمؤلفنا كان من الذين عاشوا في هذا العصر مما ساعده على التأليف وطلب العلم وقوف السلاطين الأيوبيين بأنفسهم عندما أسسوا المدارس العلمية ودور العلم، والريادة في الشعر والنقد وبزوغ البلاغة العربية وتطورها، كذلك كثرت مظاهر الجوع والمرض والنهب والسلب التي خلفتها الحروب والظروف الصعبة[2] . وكل ذلك قامت به الدولة الأيوبية بعدما سعت في القضاء على الدولة الفاطمية وآثارها السياسية والتغلب على الفرنج، وتم تأليف الجيوش الحربية، فقد استغرقت تلك الحروب حياة الدولة الأيوبية أو معظمها[3]. تحليلياً فإن ذلك الزمن كان قد بدأ بمبدأ سياسي وحربي خلال الفترة الزمنية التي عاشتها الدولتان الأيوبية والمماليك البحرية بين سنة 585 للهجرة – 654 للهجرة هي فترة حياة المؤلف ابن أبي الإصبع المصري .

المطلب الخامس : سبب تأليف الكتاب .

بعد الاطلاع على كتاب "بديع القرآن" اتضح أنه ليس من اليسير تحديد أسباب كثيرة ومباشرة دعت إلى ذلك العمل، بحكم أن المؤلف لم يبين ذلك ، ويمكنني تحديدها في نقاط مختصرة وهي :

1- إن المؤلف بعد ما فرغ من تأليف كتابه الجامع لبديع جميع الكلام الموسوم "بتحرير التحبير" وبعد انتهائه من كتابه المسمى "ببيان البرهان في إعجاز القرآن" وجد نفسه أنه يقف على عمل ليس بكامل وأنه ينقصه تكملة الفكرة التي تكمن في خاطره فبلور فكرته في استنباط عمل علمي فاهتدى إلى القول: " إنه لا بد له من تتمة

(1) ينظر البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت، ط1 ، 1966م ، 135/13 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص62 .

(3) ينظر الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، عبد اللطيف حمزة ، ص45.

تتضمن ما في الكتاب العزيز من أبواب البديع، فأفردتُ ما يختص بالقرآن الكريم، فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب"[1]

2- لاحظ المؤلف أن الأنواع البديعية عنده التي صنفها ودرسها ليست موجودة في الشعر والنثر وكلام البشر فقط ؛ بل هي موجودة في القرآن الكريم من قبل، فرأى المؤلف إنه من الأصلح استخلاصها ووضعها مستقلة في كتاب يعنيها ويسميه "بديع القرآن" ، ثم الانتباه إلى ما تحويه ألفاظ ومعاني آيات القرآن الكريم .

3- المساهمة العلمية وإضافة الجديد من المؤلفات إلى المكتبات الإسلامية العربية، ليفيد منها طلبة العلم والعلماء شيء يطمح إليه كل إنسان وإن لم يصرح به فالأمر بات بديهياً ومعروفاً في الأوساط العلمية، ولعل ابن أبي الإصبع المصري من الذين رغبوا في خدمة العلم وأهله ، وساهموا فيه .

_ ونخلص في نهاية الفصل إلى أن :

1- شخصية ابن أبي الإصبع العلمية ذات مكانة عالية ومرموقة بين علماء البلاغة، واتضح ذلك من خلال دراسة شخصيته وكتابه" بديع القرآن" وعلاقته بكتابه وبعلم البلاغة ، وأنه من علماء القرن السابع الهجري الذين عاشوا بمصر تاركين آثارهم العلمية .

2 - إن ابن أبي الإصبع كان من أصحاب المؤلفات وصل عددها إلى أحد عشر مؤلفاً ومن أبرزها كتابه " بديع القرآن" وكتابه " تحرير التحبير" وللأسف أن أغلبها قد فُقد ضمن ما فُقد من آثار علمائنا في جميع العلوم .

3 - بما أن كتاب " بديع القرآن" هو موضوع الدراسة فقد تم التعريف بالكتاب وتأكيد نسبته إلى صاحبه وهو ابن أبي الإصبع المصري ، وأن كتابه كان مخطوطاً في الأصل وحُقق سنة 1957 م ، وأنه يهدف إلى دراسة البديع في القرآن الكريم ، وأنه بلغ فيه صاحبه بعدد المحسنات البديعية نحو مائة باب وثمانية أبواب ومن ثم معرفة مضمونه بأنه من أهم كتب البلاغة .

---

(1) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص15 مقدمة المؤلف .

4 – كذلك تم الوقوف على عدة نقاط جوهرية في كتابه مثل معرفة أن كلمة البديع وردت في القرآن الكريم مرتين : مرةً في سورة البقرة ، ومرةً في سورة الأنعام ، كذلك انفراده في تأليفه له ، أيضاً معرفة قيمة ذلك الكتاب العلمية وأثرها في علم البلاغة ، وما مدى استفادة أهل العلم منه ، ومعرفة زمن تأليفه ثم دراسة سبب تأليفه وحين ألَّف كتابَ التحرير رأى أنه لابد له من تتمة فألَّف كتابَه "بديع القرآن" .

الفصـــــــل الثانـــــي

مفهوم علـم البديــع ونشأته وتطوره ومسيرة التأليف فيه

المبحــث الأول
مفهوم علـم البديـع ونشأته وتطوره إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث

المبحــث الثاني
مسيرة التأليف في علم البديع إلى زمن ابن أبي الإصبع

المبحــث الثــالــث

التأليــف في بديــع القــرآن

المبحـــث الأول

مفهوم علـم البديــع ونشأته وتطوره إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث

المطلب الأول :

مفهــوم علـم البديـــع

المطلب الثاني :

نشأة علم البديع بين علوم البلاغة

المطلب الثالث :

تطور علم البديع إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث

المطلب الأول

مفهوم علم البديع

_ **البديع لُغةً** : "أبدعتُ الشيء: اخترعته لا على مثال؛ والبديع: المبتدِعُ، والبديع: المبتدَعُ أيضاً، والبديع: الزِّقُّ، وأبدعَ الشاعر: جاء بالبديع"[1] والفرق بين اللفظتين(المبتدِعُ والمبتدَعُ) واضح من الناحية الصرفية .

وفي اللسان:" بَدَعَ الشيء ببدعه بدعاً وابتدعه: أنشأه وبدأه. وبدع الركية: استنبطها وأحدثها، وركي بديع، حديثة الحفر، والبديع والبدع: الشيء الذي يكون أولاً، والبدعة: الحدث، وما ابتُدِعَ من الدين بعد الإكمال، واستبدعه : عده بديعاً، والبديع: المحدث العجيب، والبديع: المبدعُ، وأبدعتُ الشيء: اخترعته لا على مثال، والبديع: من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إيَّاها وهو البديع الأول قبل كل شيء"[2]. فورود كلمة بديع في اللغة كثير جداً، واختلافها بسيط بل اتفاقها أكثر.

و"الإبداع: إتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع، وإن كثر وتكرر صار الاختراع للمعنى والإبداع للفظ"[3].

ومن اللغة إلى المجاز ؛ لنعرف مجاز هذه الكلمة التي نحن بصدد البحث عنها، ومجازاً: "أبْدَعَتْ حُجتُّكَ إذا ضعُفَتْ، وأبدع بي فلانٌ إذا لم يكن عند ظنِّكَ به في أمرٍ وثَقْتَ به في كفايته وإصلاحه"[4]. وهذا المعنى أقرب ما يكون للمعنى البلاغي الذي يبحث في علاقة المعنى باللفظ والتركيب والتأثير لأن معجم أساس البلاغة مختص بالمعاني المجازية والاستعمال المجازي للكلمة أكثر من المعنى اللغوي ، ولذلك سماه مؤلفه أساس البلاغة .

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري ، مادة : بدع ، 1183/3.

(2) لسان العرب المحيط ، لابن منظور، مادة : بدع ، 174/1.

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، 230/1 .

(4) أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1 ، سنة 1422هـ-2001م، ص36. مادة : بدع .

- والبديع اصطلاحاً :

من التعريفات الاصطلاحية لعلم البديع ما ذكره القزويني بقوله : "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة " [1] : أنه "علم أي: ملكة[2] تحصل من ممارسة مسائله أو قواعده المقررة، لأن كلاً منها يتوصل به إلى معرفة أي: جزئ من جزئياته أي: يعرف بواسطة تقرر الملكة أو القواعد في النفس"[3]. وعرفه ابن المعتز في كتابه بقوله: " إنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيء قد عُرف بها"[4]. ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [5]، أيضاً في المثل القائل: "الفكرة مخ العمل فلو كان قال لُبُّ العمل لم يكن بديعاً"[6]، وعرفه معجم البلاغة العربية بقوله: " علم تُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ومن البلاغيين من يسمي علوم البلاغة الثلاثة " المعاني والبيان والبديع " علم البديع ، ويعللون هذا الإطلاق بأن البديع هو الشئ الذي يُستحسن لطرفته وغرابته ، وعدم وجود مثاله من جنسه "[7]، ولابن خلدون[8] تعريف

---

(1) الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، اعتنى به وراجعه: محمد عبدالقادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ، لبنان، 1424هـ- 2004م، ص333 .

(2) الملكة: مَلَكَتُهُ: أي رِقُّهُ، ويقال إنه حسن المِلْكَة، وأقر بالملكة والملوكية أي الملك، ويقال: فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصُّنع إلى مماليكه، وفي الحديث: حُسنُ الملكة نماء هو من ذلك ، لسان العرب المحيط ، للعلامة ابن منظور ، مادة : ملك ، 528/3.

(3) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد بن محمد المغربي، تحقيق خليل إبراهيم خليل ، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 2003م، 1424هـ 2/ 483.

(4) كتاب البديع، لعبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس، اعنا طيوس كرا تشقوفسكي ، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط3 ، سنة 1402هـ-1982م، ص2.

(5) سورة الزخرف، الآية 4 .

(6) كتاب البديع، لعبد الله بن المعتز ، ص2.

(7) معجم البلاغة العربية ، بدوي طبانة ، منشورات جامعة طرابلس ، لبنان، ط1 ، 1395هـ_ 1975م ، 72/1.

(8) هو : عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة ، أصله من إشبيلية ، ومولده ومنشأه بتونس، اشتهر بكتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" في سبعة مجلدات ، أولها " المقدمة " ولد 732هـ وتوفي فجأة في القاهرة 808هـ . ينظر ترجمته في العبر في خبر من غبر، لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، حققه أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول، دار الكتب=

للبديع يقول فيه: "هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق إما بسجع يفصله أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع يقع أوزانه أو تورية عن المعنى المقصود بإبهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما وأمثال ذلك"[1].

وهذا تعريف يضيف إلينا معانٍ من التنميق والاشتراك وكذلك المعاني غير الظاهرة المزينة بالألفاظ الرائعة . كما عرفه صاحب بغية الإيضاح بالتعريف ذاته[2]، وفي جواهر البلاغة عُرّف بأنه: "علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوةً وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقة لمقتضى الحال ووضوح دلالته على المراد"[3]. وهذا التحسين يزيد من مزايا الكلام، وجماله طلاوةً، ويتألق قبولاً بالرأي ، فالتعريفات الاصطلاحية لعلم البديع تعطي التركيز على أمرين هما: اللفظ والمعنى ضمن الكلام ، وهذا يكون منصبّاً على موضوع الحسن فيهما ، مما دفع البحّاث للاهتمام به ويضعونه تحت مباحث الدراسة والتطبيق .

=العلمية، بيروت ، 379/7 ،و في الأعلام ، للزركلي ، 330/3 وفي مقدمة ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي المغربي ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، ص2 .

(1) مقدمة ابن خلدون، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ص407.

(2) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، لعبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر ،ط17 ، 1426هـ-2005م، 4/ 298.

(3) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، لبنان، سنة 1428هـ-2007م، ص298.

المطلب الثاني

نشأة علم البديع

لكل علمٍ من العلوم منشأ وتاريخ وآثار علمية تدل عليه، ولكل علم منها أصول وفروع ؛ لذا فلا مناص من التنقيب لإخراج هذه الذخائر النفيسة التي لم يظهر منها إلا القليل ، وسنتعرض – بإذن الله تعالى– في هذا الصدد إلى منشأ علم البديع الذي أصله اللغة العربية، وهذه الأخيرة التي أصلها كلام الله عز وجل وهو القرآن الكريم الذي حفظها من الزلل والنسيان واللحن[1]، فكتاب الله عز وجل هو منبع اللغة العربية والعلوم جميعاً على الإطلاق ، فنشأة البديع والمقصود منه هنا هو الدراسة التاريخية من حيث الزمن لهذه النشأة ، أوالنظر إليها من ناحية مسألة اكتشاف البديع في الكلام وعلى يد مَنْ كانت معرفته؟ ثم سرد الكلام تسلسلاً منطقياً، ومن خلاله يمكن كشف معرفة هذا المصطلح من عدمها عندهم .

كان مصطلح البديع يطلق على علوم البلاغة جميعاً، ثم تميزت علوم البلاغة بعضها عن بعض متأخراً في العصر العباسي بحيث تكونت البلاغة من العلوم الثلاثة البيان والمعاني والبديع . ولم يُعرف علم البديع كمصطلح له مدلوله الخاص إلا متأخراً في العصر العباسي ، أما استعمالاً في أساليب الكلام المختلفة أي تطبيقاً منذ عُرف في كلام العرب عموماً شعراءً وكُتّاباً ، فمنذ العصر الجاهلي نجد أن شعرهم يحتوي على علوم البلاغة جميعها إلا أنهم لم يعرفوا استخدامه مصطلحاً بلاغياً وإن كان قد وردت مفردة البديع في بعض الأشعار لاسيما في الشعر الجاهلي .

أولاً– البديع ونشأته في العصر الجاهلي . شاع ظهور البديع لفظاً ومعنى في شعر شعراء الجاهلية ، ذلك لأنهم شعراء بالفطرة وعُرفوا به منذ أمد ، ولكنهم لم يَعْرِفُوه كما هو اليوم بل عَرَفُوهُ لفظاً وما يعنيه ذلك اللفظ ولكنهم عَنَوا به الجديد والطريف في شعرهم والدليل على ذلك أنهم ذكروه في شعرهم ، فمن هؤلاء الشعراء الجاهليين الذين

---

(1) اللّحن: من الأصوات المصنوعة الموضوعة، وجمعه ألحان ولحون، وَلَحَّنَ في قراءته إذا غرَّد وطرَّب فيها بألحان، ورجل لاحن ولحَّان ولحانة ولحُنة: يخطئ، واللحنة الذي يلحن، والتلحين: التخطئة، ويلحن لحناً: تكلم بلغته، مادة : لحن ، لسان العرب المحيط ، لابن منظور، 3/ 352 .

قالوا البديع في شعرهم مزيناً بجمال الألفاظ ومحسناتها ، الشاعر الأحوص[1] من طبقة شعراء الجاهلية وردت كلمة البديع في شعره ، (الخفيف) :

فخـــرتُ فانتمـــت فقلـــت انظرينـــي ** لـــيس جهـــلٌ أتيتـــه ببـــديع[2]

كذلك الشاعر امرئ القيس[3] قال شعراً من (الطويل) فيه بديع:

وقـد أغتـدي والطيـر فـي وُكَنَاتهـا[4] ** بمنُجردٍ[5] قَيْد الأَوابد[6] هيكلُ[7][8]

والمعنـى أن الشـاعر أراد أن يـأتي بلفظ واستعمله فـي غيـر موضـعه ومعنـاه الأصـليين، وقولـه "قيـد الأوابـد" هـي مـن الاسـتعارة لأنهـا غريبـة فـي لفظهـا ومعناهـا عنـد الأوائـل فنعتوها بأنها بديع، أي أن استعمالها حسن وممتع، أي أن الفارس إذا أرسل فرسه بغية الصيد ومطاردة الضواري في البرية، فمن جودته وسرعته يجعل من الصيد فقيد الحركة

---

(1) هو: الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وعاصم بن ثابت الأنصاري، ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 518/1، وفي العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 86/2، وفي الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، القاهرة ، 40/4، وفي الأعلام، للزركلي، 116/4.

(2) ديوان الأحوص الأنصاري، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي ، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ط1، 1422،2001 م، ص202.

(3) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، اشتهر بلقبه وقيل اسمه حُندج وقيل مليكة وقيل عدي، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، خاله المهلهل، توفي سنة 80 ق.هـ. ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة، 105/1، وفي جمهرة أنساب العرب لأبي حزم الأندلسي، ص139، و معجم المطبوعات العربية والمعربة، 471/1، والأعلام، للزركلي، 11/2 وفي جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي ، 347/2.

(4) وُكُنات: الوُكنة: موقع الطير حيثما وقعت، والجمع وُكنات، ووُكنات ووُكنُ، وتقول: وَكَنَ الطائر بيضه أي: حضنه . مادة : وكن . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، 2215/6.

(5) منجرد: الأجرد من الخيل والدواب كلها: القصير من الشعر حتى يقال إنه لأجرد القوائم، وفرس أجرد: قصير الشعر، مادة : جرد . لسان العرب المحيط، لابن منظور ، 433/1.

(6) أوابد: الوحوش، والتأبيد: التوحش، وجاء فلان بأبدة: أي بداهية يبقى ذكرها، ويقال للشوارد من القوافي: أوابد، وأبِدَ الرجل: غضب، وأبِدَ: توحش فهو أبد . مادة : أبد . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، 439/2.

(7) هيكل: الفرس الطويل الضخم . مادة : هكل . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري 1851/5.

(8) ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه، مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، منشورات محمد علي بيضون ، سنة 1423هـ-2002م، ص118.

تحت القيد، وسرعة في إحضاره، حتى اقتدى به الناس واتبعه الشعراء فقيل "قيد النواظر" و"قيد الكلام، وقيد الألحاظ"، فقد اختلفت الألفاظ واستعمالاتها في الأشعار[1]. وقد تكرر هذا الاتباع والتقليد في هذا الاستخدام للفظ وهذا البديع ظهر كثيراً في الأشعار العربية .

شاعر آخر يقول بديعاً في شعره وهو الأفوه الأودي[2] كذلك هو من شعراء الجاهلية يقول من(البسيط):

البيت لا يبتنى إلا له عمـــــــــد * ولا عماد إذا لم تُرس أوتـــــاد [3]

وإن تُجمَّع أوتـــــــــاد وأعمدة * وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم ســـــادوا

ولا ننسى شاعراً فحلاً من شعراء الجاهلية صاحب المعلقة في شعره بديع وهو عمرو بن كلثوم[4] يقول من (الطويل):

ألا أبلـــغ النعمـــان عنـــي رســـالةً ** فمـــدحك حَـــوْليّ وذمـــك قـــارحُ[5]

---

(1) ينظر إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر ، ص70.

(2) هو: الأفوه الأودي صلاءةُ بن عمرو، بن مذمج، ويُكنى أبا ربيعة، ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، 223/1. وفي معجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة فوال بابتي ، ص191، وفي جمهرة أنساب العرب، لأبي حزم الأندلسي ، ص411 ، وفي الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني ، 41/11، وفي معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن العباس ، 107/4، وفي الأعلام، للزركلي ، 206/3.

(3) الأبيات وردت في الحماسة البصرية ، لصدر الدين بن الحسن البصري ، تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب، ط3، 1403، 1983م، 2 / 69 .

(4) هو: عمرو بن كلثوم بن مالك بن عقاب بن سعد بن زهير بن بكر بن حُبيبَ. ترجمته في جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ، ص304، وفي الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 234/1، وفي العقد الفريد، لابن عبد ربه ، 270/5، وفي الأغاني، للأصفهاني ، 175/9، وفي جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي ،356/2، وفي الأعلام، للزركلي ، 84/5، وفي معجم الشعراء الجاهليين، عزيزة فوال بابتي ، ص264.

(5) ديوان عمرو بن كلثوم ، جمعه وحققه وشرحه اميل بديع يعقوب ، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت ، ط2، 1416 هـ، 1996 م ، ص32 .

وكذلك الشاعر الشماخ[1] بن ضرار الشاعر المخضرم، في شعره ورود لكلمة البديع بشكل صريح كما في بيته في الوافر :

أطـــار عقيقـــه عنـــهُ نُســـالاً ** وأُدْمِـــجَ دمـــج ذي شـــطن بـــديعِ[2]

فقد ذكرت كلمة "بديع" صراحةً في هذا البيت وهذا دليل على كثرة استخدام الشعراء الجاهليين لهذه الكلمة.

وشاعر ماهر آخر من أشهرهم وأبدعهم وهو الشاعر زهير بن أبي سُلمى[3]، الذي في حياته ربما أدرك الإسلام، فقد قال شعراً وفير المعاني جميل الألفاظ وفيه ضروب من البديع من (الوافر) منه:

فَجَـــاوَرَ مُكْرَمـــاً، حتـــى إذا مـــا ** دَعـــاهُ الصـــيفُ وانقطَـــعَ الشـــتاءُ[4]

ضَـــمِنتُم مالَـــهُ وَغَـــدا جَميعـــاً ** علـــيكم نَقصُـــهُ ولـــه النَّمـــاءُ

ساق الشاعر في شعره نوعاً من البديع وهو التضاد في لفظتي "الصيف والشتاء"، والنقصان والنماء أي: الزيادة .

---

(1) هو: الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، ومنهم من قال اسمه: معقل بن ضرار توفي 22هـ. ترجمته في الأغاني ، للأصفهاني ، 97/8، وفي الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 316/1، وفي الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، 49/1، وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس ، 1141/1 ، والأعلام، للزركلي ، 175/3 .

(2) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه صلاح الدين هادي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، سنة 1388 ، 1968 ، ص233 . وفي كتاب العمدة ، لابن رشيق القيرواني ورد في الشطر الثاني لفظ " ذي شطر"، 1 / 219 .

(3) هو: زهير بن أبي سُلمى بن ربيعة بن رباح بن قرط بن مازن من قبيلة مزينة من مضر، أقام بنجد من بلاد غطفان من أسرة كلها شعراء، شهد حرب عبس وذبيان، وحرب داحس والغبراء، عرف بصاحب الحوليات، توفي سنة 13 ق.هـ. ترجمته ، في الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 137/1، وفي العقد الفريد، لابن عبد ربه ، 77/2، وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف سركيس ، 980/1، وفي الأعلام، للزركلي ، 52/3 ، في معجم الشعراء الجاهليين، عزيزة بابتي ، ص154 .

(4) ديوان زهير بن أبي سُلْمَى، كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان ، ص13.

ويقول الشاعر المخضرم أبو ذؤيب الهذلي[1] بديعاً في شعره: (من الكامل) وهو من شعراء العصرين الجاهلي والإسلامي.

وإذا المنيـــــة أنشـــــبت أظفارهـــــا ** ألفيـــت كُـــلَّ تميمـــة لا تنفـــعُ[2]

في كلامه بديع متمثل في الاستعارة، يشبه المنية بالحيوان المفترس وذلك بجامع ظهور الأظافر في كل منهما وهي القرينة في الكلام .

ولا ننسى أشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة[3]، الذي جاء البديع في خطبه، لاسيما في خطبته المشهورة التي قالها في سوق عُكاظ فسمعه النبي ﷺ فأثنى عليه، وهذا جزء من خطبته التي قال فيها: "أيها الناس اسمعوا وعوا، مَنْ عاش مات، ومَنْ مات فات؛ وكل ما هو آتٍ آتٍ... إلى آخر الخطبة"[4] فكان فيها التكرار والسجع والجناس والطباق، والاستعارات والتشبيهات فهي من أبلغ ما قيل بين العرب، علاوةً على ذلك انفراده بالأسلوب عندما استعمل كلمة "أما بعد"، واتكائه على العصا أو السيف، وصعوده الصخرة، ولذلك أثنى عليه الرسول ﷺ عندما سمعه قبيل البعثة لحسن ما قال ولبلاغة وفصاحة ما نطق في ذلك السوق.

---

(1) هو: خويلد بن خالد، جاهلي إسلامي، راوية لساعدة بن جؤية الهذلي، وخرج مع عبد الله بن الزبير في مغزىً نحو المغرب، فمات. ينظر ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 653/2، وفي الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ، 56/6، في الكامل في التاريخ ، لابن الأثير، 35/3، في الأعلام ، للزركلي، 325/2.

(2) كتاب شرح أشعار الهذليين ، صنعة أبي سعيد الحسن بن السكري ، حققه عبد الستار أحمد فراج ،راجعه محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، 1 / 8 .

(3) هو: قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية، توفي نحو 23 ق.هـ . ترجمته في البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 42/1 ، وفي الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، 280/1 ، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 254/2 ، في الأعلام ، للزركلي ، 196/5 ومعجم الشعراء الجاهليين ، عزيزة بابتي ، ص293 .

(4) ينظر جواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي ، 336/2.

ثانياً: البديع في القرآن الكريم:

إذا ما نظرنا إلى الفرق في المراد من كلمة "البديع" بين ما جاء في التفاسير من معنى لتلك الكلمة في الآيتين الكريمتين ، وبين وجودها في شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين ، فقد وردت كلمة "بديع" في القرآن الكريم مرتين في سورتي البقرة والأنعام "[1]، فالآية الأولى في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [2]، ومعنى الآية هو: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ موجدهما لا على مثال سابق (وإذا قضى) أراد (أمراً) أي إيجاده [3]، وقدرة الخلق والإيجاد هي من قدرة الله عز وجل فهو القادر على كل شيء المتصف بصفات الكمال والألوهية، وانفراده بإيجاد الشيء الذي لا مثيل ولا سابق له .

والآية الثانية قول الله تعالى:﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٗۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[4] .

ومعنى الآية الكريمة هو: (بديع السموات والأرض) أي مبدعها وخالقها ومنشؤها ومحدثها على غير مثال سابق[5]، وتتجلى قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه للكون وإحداثه وإنشائه للخلق . إذاً فالمعنى للكلمة من التفاسير في الآيتين هو الإيجاد والإنشاء والإبداع على غير مثال سابق . أما بالنسبة لمعنى الكلمة في الشعر كما مرّ بنا فإنه الجديد والطريف .

---

(1) معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط2 ، 1390هـ-1970م، 1 / ص85 .

(2) سورة البقرة، الآية 117 .

(3) ينظر تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني، للعلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي والشيخ المتبحر جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، بمصر، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، بعناية لجنة التصحيح بها، 1342هـ، 1 / 17 .

(4) سورة الأنعام، الآية 101 .

(5) ينظر تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء بن كثير الدمشقي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل ، دار القلم للتراث ، مصر ، القاهرة ، 194/2 .

ومثال ذلك ما قاله الشماخ بن ضرار الشاعر المخضرم، عندما استخدم في شعره كلمة البديع كما في بيته في الوافر :

أطـــار عقيقـــه عنـــهُ نُســـالاً ** وأُدْمِـــجَ دمـــج ذي شـــطن بـــديعِ[1]

فقد ذكرها الشاعر صراحةً في هذا البيت وهذا دليل على استخدامها في الشعر، ومعنى كلمة " بديع" عند ابن منظور سيما في شرحه لهذا البيت، فالبديع بمعنى السقاء، وحبل بديع: جديد . والبديع من الحبال: الذي ابتُدِئ فتله ولم يكن حبلاً فنكث ثم غُزل وأُعيد فتلُه ، ثم نقل شعر الشماخ هذا ثم وضح معنى البديع بأنه : الجديد [2]. إذاً المعنى في الحالين: أن في الآيتين الكريمتين بمعنى الإيجاد والإنشاء لا على مثال سابق ، وفي الشعر قد يكون بمعنى الجديد أحياناً . فالإيجاد لا على مثال سابق أنه لا يوجد ما يماثله ولا يشابهه على الإطلاق .

فالبديع ارتدى زياً جميلاً من خلال الآيات القرآنية وتجلى فيها كثيراً، فهناك ما هو في اللفظ وهناك ما هو في المعنى وفي اللفظ والمعنى معاً وبأوجهٍ كثيرة جداً دونما حصر، وأذكر بعضاً من الأمثلة القرآنية على سبيل المثال لا الحصر للإلمام بأوجه البديع فقط، في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[3].

والمعنى أنه "جعل اللين ذلاً واستعار له جناحاً ثم رشَّح هذا المجاز بأن أمر بخفضه"[4]، وهذا النوع من البديع يكمن في الاستعارة فالذل والخفض يتساويان في المعنى، ولكن اللفظ ظاهره أنه مستعار استعارة لتقوية المعنى وهذان من البلاغة والبديع، ومثال ثانٍ على نوع من البديع الذي يكمن في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[5] وفي المعنى أن النبي زكرياء عليه السلام، عندما تقدم به

---

(1) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، حققه وشرحه صلاح الدين هادي ، ص233 .

(2) ينظر لسان العرب ، لابن منظور ، 175/1 ، مادة : بدع .

(3) سورة الإسراء، الآية 24.

(4) البحر المحيط في التفسير، لمحمد أبي حيان الأندلسي الغرناطي ، طبعة جديدة ومنقحة ، للشيخ زهير جعيد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1412هـ 1992م ، 38/7.

(5) سورة مريم، الآية 4 .

السن وظهر الشيب بكثرة في شعر رأسه، حيث تم التشبيه، تشبيه الشيب بشواظ النار في بياضه وانتشاره في الشعر، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، حيث أسند الاشتعال المذكور بصفة الفعل ووضعه مكان الشعر ومنبته وهو الرأس، وقام بإخراج الشيب، وهنا فَصُحت الجملة وبلغت، واشتعال الرأس استعارة المحسوس للمحسوس إذاً المستعار منه النار والمستعار له الشيب، والرابط بينهما في الآية الكريمة هو الانتشار[1].

ومن هذا المعنى يظهر واضحاً الوجه البلاغي الذي يصور البديع من خلال الاستعارة والألفاظ المتقابلة وهذه أنواع بديعية في ألفاظ ومعاني الآية الكريمة، كما أن تذوق تلك المعاني وربطها بالألفاظ يكمن الإعجاز البلاغي والتأثير في النفس والعقل من خلال تقديم الإشارات البلاغية كالاختصارات والإيجاز المحملة بالمعاني وهذا مما يجعل النظر إليها يختلف من شخص لآخر ومنه يكون الاختلاف في الحكم وإبداء الرأي إزاء قضية الألفاظ وعلاقتها بالمعاني.

ويقول أبو منصور الثعالبي[2]: "من أراد أن يعرف جوامع الكلم، ويتنبه على فضل الإعجاز والاختصار، ويحيط ببلاغة الإيماء، ويفطن لكناية الإيجاز، فليتدبر القرآن، وليتأمل عُلُوَّه على سائر الكلام"[3] ، وفي فضل الإعجاز والاختصار هو الإيجاز من البديع وهو وجه من وجوه البديع ، ومثال ذلك من القرآن الكريم قوله

---

(1) ينظر البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي ، 239/7.

(2) هو: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي، من أئمة اللغة والأدب، من أهل نيسابور، كان فرَّاءً يخيط جلود الثعالب، ينسب إلى صناعته، واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبع وصنف الكتب الكثيرة، توفي سنة 429هـ. ينظر ترجمته في شذرات الذهب، للحنبلي 407/3. وفي الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتيني، تحقيق سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1419هـ-1998م، 301/4 ، وفي وفيات الأعيان ، لابن خلكان، 178/3، و وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس، 656/1 في الأعلام، للزركلي ، 163/4، .

(3) الإعجاز والإيجاز، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، تحقيق إبراهيم صالح ، دار البشائر، دمشق، سوريا ، ط1 ، 1422هـ-2001م، ص22.

تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[1] ، فالآيات القرآنية مليئة بمعاني البديع من حيث أنواعه وهذا المقام لا يسع لحصرها، إنما القصد المثال والاستدلال فحسب .

ثالثاً- البديع في كلام الرسول ﷺ .

يتميز كلام الرسول ﷺ وأسلوبه ، بأنه فصيح وبليغ، وغير مطول في مضمونه "فخير الكلام ما قل ودل"، وفيه من البيان الوفير والوافي من البديع ما هو واضح وجلي، فقد وهبه الله سبحانه وتعالى حلاوةً في الكلام وجمالاً في الألفاظ وأصالة في اللغة، فمن كلامه ﷺ فعن أبي هريرة[2] رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده)[3]. والمعنى البلاغي لهذا الحديث الشريف هو أن الجزء من الحديث "خفيفتان على اللسان" فيه استعارة حيث شبه سهولة الجري على اللسان بخفة المحمول من الأمتعة والدليل اشتقاق كلمة "خفيفتان" وذلك بسهولة الجري على اللسان وقلة الحروف في الكلمة، "والميزان" هو الجسم المحسوس ذو اللسان والكفتين، وهنا يوجد مقابلة وموازنة في السجع بمقابلة الخفة والثقل، وكذا الموازنة في كلمتي حبيبتان إلى الرحمن والخفة والثقل والمحبة هي صفات للكلمتين[4]. وهذا الجانب البلاغي من الحديث، أما الجانب الآخر فهو لغوي صرفي فشاهده ليس مقامه، ويمكنني أن أتي بحديث آخر كمثال على كلام سيد المرسلين ﷺ، فأحاديثه في البلاغة كثيرة جداً، فعن

---

(1) سورة الحجر، الآية 94.

(2) هو: اختلف في اسمه، أرجحها: عبد الرحمن بن صخر وقيل: ابن غنم، وقيل: كان اسمه عبد شمس، وقيل: عبد الله، وقيل: عامر، وقيل: عمرو، وقيل: سعيد، ويقال: كان في الجاهلية اسمه: عبد شمس، أبو الأسود، فسمَّاه الرسول ﷺ، عبد الله وكناه: أبا هريرة. ترجمته في سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق: محب الدين العمروي، دار القلم، بيروت ، 175/4، وفي العقد الفريد، لابن عبد ربه ، 9/1، وفي وفيات الأعيان ، لابن خلكان، 242/2، وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 366/3.

(3) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه وشرح ألفاظه ورقمه، وخرج أحاديثه ووضع فهارسه، مصطفى ديب البغا، مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، لبنان، سنة 1401هـ-1981م، 2352/5.

(4) ينظر المنهل الحديث في شرح الحديث، عبد العال أحمد عبد العال، موسى شاهين لاشين، مراجعة وضبط سعيد محمد اللحَّام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، سنة 1421هـ-2001م، 788/4.

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من خير معاش الناس لهم، رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعةً أو فزعةً طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّهُ، أو رجل في غُنيمة في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَفِ، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير)[1].

ومعنى الحديث هو أن المعاش هو العيش أي الحياة، وممسك عنان فرسه، أي متأهب ومنتظر وواقف بنفسه على الجهاد في سبيل الله، يطير على متنه أي يسرع على ظهره كأنه يطير، والهيعة هي الصوت عند حضور العدو، والفزع هو النهوض إلى العدو، يبتغي الموت أي يطلبه من مواطنه لشدة الرغبة في الشهادة، غنيمة أي قطعة منها، وشعفة أي أعلى الجبل[2]، وهذا وجه آخر من البديع من كلام الرسول ﷺ، حيث يظهر فيه التشبيه والكناية ، ويفحم السامعين بروعة الألفاظ وجمال المعاني، والتنسيق والسجع والترتيب في الكلام .

أيضاً في الحديث الشريف وردت كلمة "البديع" بلفظ "بدعة"، عندما صلى رسولُ الله ﷺ بالصحابة صلاة الصبح... في آخر الحديث، وضمن ما وصَّاهم به الرسول ﷺ في الحديث: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[3]، فوردت كلمة "بدعة" في الحديث دالة على معناها.

أيضاً وردت بمعنى الجدة عندما سأل رجلٌ الرسولَ ﷺ عندما حدث معه أمر أنه قال: (كيف أصنعُ بما أبْدِعَ عليَّ منها)[4]. والحديث طويل أيضاً، وقد استشهدتُّ بجزءٍ منه لسؤال الرجل الرسول ﷺ، عن شيءٍ حدث معه كما في معنى الحديث فأجابه

---

(1) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، خادم الكتاب والسنة، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط1 ، 1996م ، 1503/3 .

(2) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(3) جزء من حديث طويل من كتاب المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة 1408هـ، الرقم 329، 174/1.

(4) جزء من حديث طويل أيضاً، صحيح مسلم، محمد فؤاد عبد الباقي، رقم الحديث 377، الباب 66 ، 962/2.

الرسول ﷺ، وعلمه كيف يصنع بذاك الأمر المحدث معه. وكما ورد في الشعر العربي والحديث الشريف نجد أن مصطلح البديع لم يكن معروفاً كمصطلح فني ؛ بل من ناحية تطبيق علم البديع وروده مطبقاً فقد جاء في الشعر العربي ، والقرآن الكريم ، وحديث الرسول ﷺ .

رابعاً- البديع من كلام وخطب بعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين .

إن صحابة رسول الله ﷺ رضوان الله عنهم كانوا بارعين في الخطابة والإلقاء والحديث ، فكلامهم قليل اللفظ كثير المعاني منسق وشامل للبلاغة والفصاحة، ففيه البيان والبديع، وكيف لا يكونوا كذلك وهم عرب فصحاء تعلموا واتبعوا منهج الرسول ﷺ، حيث الأخلاق والأدب والعلم والدعوة .

ومن أولئك الرجال: أبوبكر الصديق[1]رضي الله عنه ، خليفة رسول الله ﷺ عندما قال للمسلمين: "واعلموا أن أَكْيَسَ الكَيْسِ الثقي، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وأن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق"[2]. وعمر بن الخطاب[3] رضي الله عنه ، قال: "تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا

---

(1) هو: عبد الله بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر، وأمه أم الخير، اسمها سلمى بنت صخر، وقيل له عتيق وقيل: إن الرسول ﷺ قال له: أنت عتيق من النار، وقيل كانوا إخوة ثلاثة بني أبي قحافة عتيق ومعتق وعُتيق. ينظر ترجمته في تاريخ الطبري ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار ، دار الفكر،ط1 ، 1418هـ 1998م ، 76/4 . وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام أبي نعيم أحمد الأصفهاني الشافعي ، تحقيق مصطفى عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط2، 1423هـ 2002م ، 62/1 . والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 21/1 ، والأعلام ، للزركلي ، 102/4 .

(2) عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، محمد عبد القادر حاتم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر، القاهرة، 1383هـ-1963م، 234/2.

(3) هو: عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص : ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل الشجاع صاحب الفتوحات، ويضرب بعدله المثل، من أبطال العرب المسلمين، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وتوفي رضي الله عنه سنة 23هـ. ترجمته في تاريخ الطبري، للطبري، 187/1، وفي حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصفهاني 73/1، وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 19/3، في الأعلام، للزركلي، 45/5، وفي صفة الصفوة، لأبي الفرج بن الجوزي، حققه وعلق عليه محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد رَوَّاس خلقه جي، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م، 101/1، وفي مناقب أمير=

لمن تعلمون وتواضعوا لمن تعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم"[1]. وعلي بن أبي طالب[2] رضي الله عنه ، فمن أقواله: "لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه"[3] . وخالد بن الوليد[4]، رضي الله عنه، كتابه إلى مرازبة فارس فقال: "أما بعد فالحمد لله الذي فضَّ خَدَمَتَكُم[5] وفرَّق كلمتكم"[6] .

ونصل إلى أحد أبرز فصحاء عهده ، الحجاج بن يوسف الثقفي[7]، الذي قال مخاطباً الناس يوماً: "دلوني على رجل سمين الأمانة"[8]، وله خطبٌ كثيرة .

=المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، سنة 1421هـ-2000م، ص9.

(1) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج بن الجوزي ، ص138.

(2) هو: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن: أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم الرسول ﷺ وصهره، وأول الناس إسلاماً، وهو من الشجعان الأبطال ومن الخطباء والعلماء، ولد بمكة، وتوفي سنة 40هـ. ترجمته في تاريخ الطبري ، للطبري ، 83/6، وفي حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني ، 100/1، وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 262/3، والأعلام، للزركلي ، 295/4 .

(3) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، سنة 1978م، ج573/4.

(4) هو: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن غالب بن القرشي كنيته أبو سليمان، من المهاجرين سماه الرسول ﷺ بسيف الله، ترجمته في تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، لابن حبان البُستي، تحقيق بوران الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1 ، 1408هـ 1988م ، ص85، وفي صفة الصفوة، لابن الجوزي ، 268/1، وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 424/2، وفي الأعلام، للزركلي ، 300/2.

(5) الخدمة: السير الغليظ المحكم مثل الحلقة يشد في رُسغ البعير، وقد تسمى حلقة القوم خدمة. وفي قول خالد بن الوليد رضي الله عنه "فض خدمتكم" أي: فرق جماعتكم. مادة : خدم . في لسان العرب المحيط ، لابن منظور ، 800/1.

(6) كتاب البديع، لابن المعتز ، ص5.

(7) هو: أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عُقيل بن مسعود بن عامر معتب بن مالك وهو من ثقيف، ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان ، 29/2، وفي العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، 13/5، وفي مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط5، 1983م ، 132/3، وفي الكامل في التاريخ، لابن الأثير، 283/4، وفي الأعلام، للزركلي، 168/2.

(8) كتاب البديع، لابن المعتز ، ص6.

وبمراجعة نماذج من خطبهم ، نجد أن علم البديع مطبقاً في خطبهم وأقوالهم، رغم أنهم لم يعرفوه مصطلحاً بلاغياً متميزاً عن غيره من معاني مفردة بديع .

واستعمل الشاعر المخضرم حسان بن ثابت الأنصاري[1] الذي عاش فترتي الجاهلية والإسلام ، استعمل لفظ البديع في شعره بقوله:

سـجيةٌ تلـك فـيهم غيـر مُحدثـةٍ ** إنَّ الخلائق فاعلم شرها البدَعُ[2]

قد يعني بذلك أن القوم عند خروجهم إلى الحرب فإنهم يبلون بلاءً حسناً في القتال، وإذا أرادوا النفع ولو محاولة في أهلهم وأنصارهم وذويهم حتماً فإن النفع لهم أولى، وإن ذلك ليس غريباً عنهم، فهي سجية في صفاتهم وغير "محدثة" أي غير مخترعة ولا جديدة عندهم، وأن شر الخلائق البدع والجديد الذي يطرأ عليهم حسب رأيه .

فهذا قبس من كلام الصحابة رضوان الله عنهم أجمعين، وغيرهم كثير، تميز عصرهم بهذه الفطنة واللباقة في الحديث والرقي في الحوار للنمط الوعظي القصصي البديع.

خامساً- البديع في أقوال وشعر بعض حكماء الأعراب .

من الأقوال المأثورة عن الحكماء والشعراء ، التي وُصفت بالحكمة في ذم الدنيا قالوا: "الدنيا دارٌ غُرست فيها الأحزان وسكنها الشيطان وذمها الرحمن، وعُوقب بها الإنسان"[3]. والمعنى أن هذه الدنيا ذميمة، ولا تحتاج الاهتمام، فقد غرست فيها أشجار الكوارث والمشاكل، وهنا استعارة وتشبيه الدنيا بالدار والتربة وأتى بتشبيه الأحزان بالأشجار وأتى بالقرينة بينهما وهي الغرس؛ وهذا بديع ظاهر، وكان فيها ضمن سكانها مع الإنس "الشيطان"، والعياذ بالله . وقد ذمها الرحمن في مواضع عدة في القرآن

---

(1) هو: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد، الصحابي، شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام، وتوفي سنة 54هـ ، ينظر ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 305/1، وفي الأغاني، للأصفهاني ، 134/4 ، وفي معاهد التنصيص، عبد الرحيم بن العباس ، 209/1، الأعلام، للزركلي ، 175/2 وفي جواهر الأدب، لأحمد الهاشمي ، 399/2، وفي معجم المطبوعات العربية والعربة، ليوسف سركيس ، 752/1.

(2) حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي ، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سوريا ،ط2، سنة 1419هـ-1998م، ص121.

(3) كتاب البديع، لابن المعتز ، ص6.

الكريم، وقد أهبط آدم إليها حتى دخل في محك الصراعات بين الخير والشر . بديع آخر نستدل به على كلام الحكماء من الأعراب فقد قيل لأعرابي: "إنك لحسن الكدنة[1]، قال: ذاك عنوان نعمة الله عندي"[2]. أراد هذا الأعرابي الرد بأسلوب لطيف وبليغ عندما قيل له: إنك كثير الشحم واللحم أي أنه "سمين أو بدين"، فأراد أن يقول: أن هذا ليس من قدرة الإنسان ولكنه عطاء الله سبحانه وتعالى ونعمة من نعمه فقال لهم: ذاك عنوان نعمة الله عندي حيث أوجز في الحديث، أيضاً في ذلك الكلام استعمال للألفاظ في غير معناها الأصلي وأدخل فيه الاختصار. ومن أقوال الأعراب التي تحوي البديع، قول أكثم بن صيفي[3]: "الحلم دعابة العقل، وسئل عن البلاغة فقال: دنوّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير"[4]. والبديع في ذلك الإيجاز الواضح. وحسن التقسيم، وتنوع المعاني . وقيل لرؤبة[5]: كيف تركت ما وراك، قال: "التراب يابس، والمال عابس"[6]. فعندما سأل السائل عن شيء أجاب رؤبة إجابة تمويهية فيها الإيجاز والاقتصار في الكلام ، ويبدو أنه قصد الإجابة بهذه الطريقة.

---

(1) الكدنة: السَّنام، بعير كدن: عظيم السنام، والكدنة: القوة، والكِدْنة والكُدْنَةَ جميعاً: كثرة الشحم واللحم، وامرأة ذات كدنة: أي ذات لحم ورجل ذو كدنة: أي إذا كان سميناً غليظاً، ويقال إنه لحسن الكدنة: ذو لحم وشحم، مادة : كدن. في لسان العرب المحيط، لابن منظور ، 231/3 .

(2) كتاب البديع، لابن المعتز ، ص6.

(3) هو: أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين عاش زمناً طويلاً، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق، ولم ير النبي ﷺ. وأسلم من بلغ من أصحابه المدينة، توفي سنة 9هـ. ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 74/1، وفي جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ، ص210، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 95/1، الأعلام، للزركلي ، 6/2 ، في جواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي ، 337/2.

(4) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق وضبط النص، مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط2، سنة 1404هـ-1984م ، ص307.

(5) هو: أبو محمد رؤبة بن العجاج، والعجاج لقب، واسمه: أبو الشعثاء عبد الله بن رؤبة البصري التميمي السَّعدي، وهو أبوه راجزان مشهوران ولكل منهما ديوان رجز، ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان ، 303/2، وفي الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، 594/2، في العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 317/1، الأغاني، للأصفهاني ، 122/18، في جمهرة أنساب العرب، لابن حزم الأندلسي ، ص215، الأعلام، للزركلي ، 86/4.

(6) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري ، ص307.

ومن البديع في الكلام المحاور فيه ما حدث مع أحد العلماء وجارية له قد تميزت بالبلاغة وحسن الفهم والنطق، فقال لها يوماً وهي تصغي إليه: "كيف تجدين كلامي؟ قالت: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده، قال: إنما أردده ليفهمه من لم يفهمه: قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه مله من قد فهمه"[1]. فكلام الجارية ونقدها البناء كان غايةً في التنسيق والإيجاز والبلاغة، فقد أصغت أولاً ثم علقت وأبدت رأيها بشيء من حسن اللفظ وجمال التعبير وترتيب الأفكار، لتضفي على السامع نكهة الإقناع .

ثم جاء الفرزدق[2] ليدلي بدلوه شعراً فيه لفظ البديع صراحةً قائلاً:

أبـــت نـــاقتي إلا زيـــاداً ورغبتـــي ** ومـــا الجـــود مـــن أخلاقـــه ببـــديع[3]

فهذا البيت جاء فيه لفظ البديع بصفة صريحة فدل ذلك على استخدام البديع في الشعر.

سادساً- البديع في العصر العباسي .

ازدهرت العلوم في العصر العباسي وتفرعت ، وكان فهم القرآن الكريم وتفسيره ومعرفة أحكامه دافعاً لنشؤ كثير من العلوم وتميزها من ضمن هذه العلوم التي سخرها أصحابها لخدمة القرآن الكريم خصوصاً واللغة العربية عامة النحو والصرف والبلاغة وغيرها فكل هذه العلوم وغيرها كانت "خدمة النص القرآني، ومن هنا ظهر المعنى الاصطلاحي للفظة ، حيث انتقلت لتدل على هذا العلم المخصوص" [4]، وظهرت

---

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، للراغب الأصبهاني ، هذبه واختصره إبراهيم زيدان ، دار الجبل، بيروت ، لبنان،ط2 ، 1406 هـ 1986 م ، ص26

(2) هو: همام بن غالب بن صعصعة التميمي، أبو فراس صاحب جرير، وكان أبوه غالب وكنيته أبو الأخطل، وهو شاعر أيضاً، فالفرزدق مسلم وأبوه وجده صعصعة صحابي رضي الله عنه، توفي سنة عشرة ومائة للهجرة، ينظر ترجمته في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن العباسي ، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1367هـ 1947م ، 45/1، والشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 471/1، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 36/1، ووفيات الأعيان، لابن خلكان ، 86/6، الأعلام، للزركلي ، 93/8، جواهر الأدب ، للسيد أحمد الهاشمي ، 405/2.

(3) ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1986م، ص343.

(4) علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ ، عبدالرزاق أبو زيد زيدان ، مطبعة الأنجلو المصرية ، 1977 م ، ص14 .

مؤلفات خدمت كثيراً هذا الفن ، بل وظهرت مؤلفات تحمل هذا الاسم كمصطلح من أشهرها كتاب البديع لابن المعتز . وذكر ابن أبي الإصبع شيئاً بخصوص محاسن الكلام فقال : " فأضاف الناس المحاسن إلى البديع ، وفرعوا من الجميع أبواباً أخرى ، وركبوا منها تراكيب شتّى ، واستنبطوا غيرها بالاستقراء من الكلام والشعر حتى كثرت الفوائد "[1]، ظهر استخدام مصطلح البديع في العصر العباسي وأشتهر لأنه كثُر في شعرهم ، وكان شعراؤه يعنون به بالمعنى الشامل لفنون البلاغة الثلاثة، وليس بالمعنى أو المفهوم المعروف في العصر الحديث .

ومن الشعراء الذين أكثروا من استعمال هذا الفن في شعرهم ونتاجهم الأدبي الشاعر **بشار بن برد**[2] الذي تألق في شعره بتجسيده لبعض أضرب البديع.

كـأن مثـار النقـع[3] فـوق رؤوسـهم ** وأسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه[4]

والشاعر **مسلم بن الوليد الأنصاري**[5] ،المتوفى 208هـ: " هو أول من سمَّى هذا النوع بالبديع واللطيف واستعمله في شعره وتبعه طائفة من الشعراء"[6]، وكان يقول شعره في المديح وفي بديع الافتنان ، فهما اشتهرا بهذا الفن في نتاجهم ، فأسهما

---

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص87 .

(2) هو: أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ العُقيلي بالولاء الضرير الشاعر المشهور، وهو بصري قدم من بغداد، وكان يلقب بالمرعَّث، وأصله من طنحارستان من سبي المهلب من أبي صفرة، ويقال إنه ولد على الرق؛ واعتقته امرأة عُقيلية فنسب إليها، أكمه ولد أعمى جحظ الحدقتين، وشكله ضخم. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان ، 271/1، والشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 757/2، ومعاهد التنصيص، عبد الرحيم بن العباسي ، 97/1، والأغاني، للأصبهاني ، 129/3، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 264/1، الأعلام، للزركلي، 52/2.

(3) النقع: الغبار، مادة : نقع . في لسان العرب المحيط، لابن منظور ، 708/3.

(4) ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل، محمد الطاهر بن عاشور، والجزء الأول علق عليه ووقف على طبعه، محمد رفعت فتح الله، محمد شوقي أمين، القاهرة، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1369 هـ ، 1950 م، 1/ 318.

(5) هو : مسلم بن الوليد ، من أبناء الأنصار ، وكان مدّاحاً محسناً ، يعرف بصريع الغواني ، توفي سنة 208 هـ . ينظر ترجمته في الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، 832/2 ، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 181/2 ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري ، 186/2 ، والأعلام ، للزركلي ، 223/7 ، وجواهر الأدب ، للسيد أحمد الهاشمي ، 446/2 .

(6) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص12 .

مساهمة كبيرة في وضع أوليات البديع، ومصطلحات بعض هذه الصور البديعية والبيانية الرائعة .

ومن الشخصيات التي كتبت في علم البديع **الجاحظ**[1] المتوفى 255هـ : من الذين ساهموا في بناء أساسات مهمة في علم البديع، وكان واحداً من القلة النادرة التي استوعبت معارف عصرها، وفتح مجال التأليف والكتابة، والجاحظ كشاهد لا تنقصه الكفاءة ولا الموضوعية، فقد مكنته الطريقة الحرة التي آثر أن يعيش بها من أن يرى ويدون ويستخلص[2]. ويظهر ذلك جلياً في مؤلفاته لاسيما "البيان والتبيين" الذي شرح فيه بعض الذي يخص موضوع البديع الذي كان موضع اهتمام ذوي المعرفة، فقال بالبلاغة وأقسام البيان والفصاحة وإشارته إلى البديع في كتابه هذا، عندما ذكر شيئاً عن البديع عند نقده وشرحه في شعر الأشهب بن رميلة[3] عندما قال:

هم ساعد الدهر الذي يتقَّى به ** وما خير كفٍ لا تنوء يساعد[4]

فقال الجاحظ: قول الشاعر: " (هم ساعد الدهر) إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة البديع"[5]، ثم أشار الجاحظ إلى أن البديع لا يوجد عند الناس كلهم، بل قال " والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل

---

(1) هو: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، كبير أئمة الأدب، ورئيس فرقة الجاحظية من المعتزلة، مولده ووفاته بالبصرة، فُلِج آخر عمره، وله تصانيف كثيرة أشهرها "البيان والتبيين، وتوفي سنة 255 للهجرة. ينظر ترجمته في طبقات الشعراء ، لابن المعتز ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، مصر ، 1375هـ ، 1956م ، ص135 ، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 250/1 ، وفي وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 470/3 ، وفي العبر ، للذهبي ، 456/1 ، الأعلام ، للزركلي ، 74/5 وقي تاريخ علوم البلاغة ، للمراغي ، ص66 .

(2) ينظر دراسات نقدية في الأدب الحديث والتراث العربي، أنس داود، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، ص208.

(3) هو: الأشهب بن ثور بن أبي حارثة النهشلي الدرامي التميمي: شاعر نجدي، ولد في الجاهلية، وأسلم، ولم يجتمع بالنبي ﷺ، وعاش إلى العصر الأموي، توفي سنة 86هـ. ينظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي ، 333/1، وفي البيان والتبيين، للجاحظ ، 66/3.

(4) البيت منسوب إلى الأشهب و مذكور في البيان والتبيين، للجاحظ ، 55/4.

(5) البيان والتبيين، للجاحظ ، 55/4.

لسان والراعي كثير البديع في شعره" [1].أما عن الفنون البديعية التي أشار إليها الجاحظ وركز عليها ولكن دون أن يطلق عليها هذه الألفاظ المعروفة الآن لأنه لم يوضحها توضيحاً علمياً دقيقاً ولم يضع لها تعريفات أو مصطلحات إلا أنه " أطلق البديع على فنون البلاغة المختلفة على وجه الشمول "[2] ، وقد اكتفى بالأمثلة لها من أقوال الحكماء والبلغاء واستخرج من كلامهم البديع وشرحه، فقدم الأمثلة والتنبيهات التوضيحية لها، وقال الجاحظ من البديع المستحسن منه قول حجر بن خالد بن مرثد[3]:

سمعتُ بفعل الفاعلين فلم أجد ** كفعل أبي قابوس حزماً ونائلاً[4]

يُساق الغمام الغر من كل بلدةٍ ** إليك قاضي حول بيتك نازلا[5]

فقد استنبط الجاحظ من هذا الكلام قطعاً من البديع المستحسن كما عبر عنه، فقد سبق الجاحظ بكلامه هذا التعبير والاستخدام، وعده من أنواع المحسنات البديعية بمفهومها الحديث، ثم إنَّ كلامه فيه تنبيه على وجود البديع في ذلك العهد .

ومن الشعراء الذين أكثروا من هذا الفن في شعرهم **الشاعر أبي تمام**[6] يستخدم الاستعارات والتشبيهات في شعره فقال:

---

(1) البيان والتبيين، للجاحظ ، 55/4.

(2) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، 380/1 .

(3) هو: حُجر بن خالد بن عمرو بن مرثد بن قيس بن ثعلبة، شاعر جاهلي كان معاصراً لعمرو بن كلثوم، ينظر ترجمته في كتاب الحيوان، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي بمصر ،ط2، سنة 1385هـ-1965م، 58/3.

(4) نائلاً : من النوال : العطاء ، والنائل مثله ، يقال : نلتُ له بالعطية أنول نولاً ، ونلته العطية ، مادة : نول . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري ، 5 / 1836 .

(5) البيتان منسوبان إلى حجر بن مرثد في كتاب الحيوان، للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، 58/3. وفي شرح ديوان الحماسة لأبي تمام ، شرح الإمام زكرياء يحيى التبريزي الشهير بالخطيب ، عالم الكتب ، بيروت ، 4 / 89 ، والبيت الثاني بهذه الرواية : فساق الهى الغيث من كل بلدة ... إليك فاضحى حول بيتك نازلاً.

(6) هو : أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من طيء ، مولده ومنشؤه في قرية يقال لها "جاسم" . ينظر ترجمته في الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، 383/16 ، والأعلام ، للزركلي ، 165/2 ، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان =

تـرى حبلــه غرثــان[1] مــن كــل عــذرةٍ ** إذا نُصـبتْ تحـت الحبـال الحبائـل[2]

حيث استعار لفظ "الغرثان" للحبل وذلك لخلو الجوف من الطعام وذهب بقصده إلـى الجـائع المحتـاج إلـى الطعـام[3]. **ثـم الشـاعر البُحتُـري**[4] المتـوفى 284هـ : الـذي وردت كلمة البديع في أحد أبياته من قصيدته وهو:

ومــن البــديع أن انتأيــتَ ولــم يُــرحْ ** جزعـي علـى الأحشـاء وهـو بـديع[5]

وســينزع العشــاق عــن أحبــابهم ** جلــداً ومــالي عــن نــداك نــزوعُ

فالبحتري ذكر كلمة البديع مرتين في بيت واحد وقصد به الطريف أو الجديد .

ومن أشهر رجال البديع في **القرنين الرابع والخامس الهجريين: الباقلاني**[6] **، المتوفى سـنة 403هـ:** تميـز البـاقلاني بظهـوره فـي القـرن الخـامس كرجـل مـن رجـال البـديع خصوصـاً، والبلاغـة عمومـاً بمسـاهمته فـي ذكـر الأنـواع البديعيـة فإنـه عددها بالترتيب التالي: التشبيه، ثم الاستعارة مع الشرح ، وتحدث عن الغلو والإفراط في الصفة، وذكر أيضاً من البديع "المماثلة"، وقال بأنها ضرب من الاستعارة، والمطابقة، أيضاً التجنيس

= 11/2 ، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 72/2 ، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن العباسي ، 38/1 .

(1) غرثان: جائع، والتغريث: التجويع . مادة : غرث . لسان العرب المحيط ، لابن منظور، 970/2.

(2) ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، بمصر، سنة 1957م، 126/3.

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) هو: الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري: شاعر يقال لشعره "سلاسل الذهب" وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي وأبو تمام والبحتري، وولد بمنيح (بين حلب والفرات) وتوفي بها في 284هـ. ينظر ترجمته في طبقات الشعراء، لابن المعتز ، ص394، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 42/1، ومعاهد التنصيص ، عبد الرحيم بن العباسي، 234/1، في الأعلام، للزركلي ، 12/8وجواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي ، 450/2.

(5) ديوان البحتري، عنى بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، سنة 1963م، 1315/2.

(6) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاضي، من كبار علماء الكلام، ولد بالبصرة، وسكن بغداد فتوفى فيها سنة 403 للهجرة، من كتبه "إعجاز القرآن". ينظر ترجمته في وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 269/4، وفي النجوم الزاهرة ، لابن تغري ، 234/4، وإيضاح المكنون للبغدادي ، 691/4، وفي شذرات الذهب ، للحنبلي ، 310/3 ، وفي الأعلام ، للزركلي، 176/6 .

وكذلك منه المقابلة، ثم الموازنة، ثم المساواة وعد من البديع الإشارة، "والمبالغة والغلو" ثم الإيغال، والترشيح، وما يسمى برد عجز الكلام على صدره، وصحة التقسيم، ثم صحة التفسير، والتكميل والتتميم والترصيع، ثم الترصيع مع التجنيس، ثم ضرب من الترصيع يسمى المضارعة، والتكافؤ، وكذلك تحدث عن التعطف، والسلب والإيجاب، والكناية والتعريض، والعكس والتبديل، ثم الالتفات، ثم التذييل، وهو ضرب من التأكيد، وذكر أيضاً الاستطراد، ثم ساق من البديع التكرار، والاستثناء، ثم يوضح الباقلاني بأن وجوه البديع كثيرة جداً، وقد تعمد الاقتصار على ذكر بعضها ولم يقصد التعداد كله للبديع خشية التطويل[1]. إذاً فالباقلاني كانت له اجتهاداته في البديع ونشأته، وحصره للأنواع البديعية التي أوصلها إلى ستة عشر نوعاً منها ومع ذلك لم يطل الشرح والتعداد فيها عمداً[2]، وأنه في كلامه عن البديع قد يخالف رأي ابن أبي الإصبع حيث يؤكد أن البديع يقصد به أنواع البلاغة من طرق الإعجاز في القرآن الكريم، وهذا على خلاف ما يراه ابن أبي الإصبع، ومع ذلك نراه يدعو إلى النظر في أسلوب القرآن الكريم، وبلاغته[3]. أي أن الباقلاني فصل في موضوع البديع وأنواعه، ونشأته، وعلى ما يبدو أنه يدعم موقفه العلمي بنظرته لمفهوم البديع أنه في الغالب يراه في فنون البلاغة المختلفة سيما الإعجاز، وحصر بعض أنواع البديع .

كذلك **عبد القاهر الجرجاني[4]، المتوفى سنة 471هـ:** من كتابيه "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز"، نستنتج أن شخصية الجرجاني في كتاب الأسرار تنم على أنه رجل معانٍ وبيان بالدرجة الأولى، وأن دوره في نشأة البديع ضئيل جداً، ومع ذلك فقد تكلم

---

(1) ينظر إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة 1963م ، للباقلاني ، ص66-107.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص52.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص51.

(4) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أبوبكر الجرجاني النحوي المشهور ، كان من كبار أئمة العربية ، صنف كثيراً من المؤلفات ، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والمغني في شرح الإيضاح ، توفي سنة 471هـ، ينظر ترجمته في فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي ، 369/2 ، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري ، 108/5 ،وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، سنة 1399هـ ، 1979م، 106/2 ، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 33/4 ، والأعلام ، للزركلي ، 48/4 .

عن بعض أنواع البديع، فمن تصريحاته في الألفاظ عندما قال: "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب"[1]. ومع ذلك يفهم من كتاب الجرجاني أنه لايعد البديع شاملاً لفنون البلاغة المختلفة ، بل هو جزء منها. وهذه إشارة إلى أنه يميل إلى البيان والمعاني ويضعف دور الألفاظ ويصفها بالحشو وعدم التأثير، وفي المقابل يعطي التأثير في النفس والعقل للمعاني.

ويمضي الجرجاني في اجتهاده حتى كان من أعماله النظم وتراكيب الكلام المنثور، وسمى نظريته "بنظرية النظم" الداخل في الأساليب والعبارات والمعاني، ونلتمس ذلك في كتابه دلائل الإعجاز حيث ختم كتابه بخاتمة لغوية فيها الأساليب والبلاغة واللغة، فقال: "إعلم أنك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النظم، وذلك أنه ما من أحدٍ له أدنى معرفة إلا وهو يعلم أن همنا نظماً أحسن من نظم...!"[2]. وهذا تأييد منه للمعاني والأساليب وإهماله للألفاظ، إلا أن مساهمته في الكلام عن أنواع البديع في كتابه "أسرار البلاغة" وهي: الجناس وأحياناً يسميه التجنيس[3]، والسجع[4]، وحسن التعليل[5]، والمبالغة والاستعارة[6]، والتطبيق[7] ثم تطرق الجرجاني إلى المجازات والتشبيهات بشيء من التعريض ثم تحدث عن السرقات

(1) أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه: السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، بدون طبعة، ولا سنة نشر ولا مكان، ص12.

(2) دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام عبد القاهر الجرجاني، صحح الأصل، الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، تصحيح وتعليق الحواشي، الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ص418.

(3) أسرار البلاغة، للجرجاني ، ص14.

(4) أسرار البلاغة ، للجرجاني ، ص16.

(5) المصدر نفسه ، ص252.

(6) المصدر نفسه ، ص214.

(7) المصدر نفسه ، ص24.

الشعرية[1] . فهذا بإيجاز عمَّا يمكن قوله عن مساهمة الجرجاني في نشأة البديع وفنونه ومحسناته البديعية، ومحدودية مجهوده فيه .

وأشهر رجال البديع في **القرن السادس الهجري ،الزمخشري[2] المتوفى سنة 538هـ:** اهتم بعلم البلاغة، ولاسيما بعلم البيان، وفي تفسيره "الكشاف" لم يتعرض كثيراً للبديع إلا الشيء القليل، لأن البديع عنده ليس علماً مستقلاً من علوم البلاغة، لهذا فالزمخشري بين علماء البلاغة يعد من رجال البيان لا البديع[3]. فكان في كشافه يركز اهتمامه على البيان والمعاني، وأما البديع وفنونه لم تكن من اهتماماته البلاغية، إلا إذا تعرض لشيء منه تعرضاً، وهذا في حد ذاته يعد مؤشراً على مفهومه للبديع وموقفه العلمي منه .

ومن أشهر رجال البديع في **القرن السابع الهجري: الرازي[4] المتوفى سنة 606هـ:** هو من رجال البديع الذين اعتنوا بفنونه، وظهر ذلك جلياً في تأليف كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" الذي كان الأسلوب فيه رائعاً ومبسطاً، وكانت فيه دقة الوصف والتحليل لاستنتاجات علمية لكتابي "أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز" للجرجاني، حيث النظم والتركيب واللغة والشواهد النقلية، والدقائق العجيبة، وأساليب الكتابة والسرد الجميل، وإشارات الألفاظ مع المعاني، فقد أوضح الرازي ترتيبه للقسمين: الدلالة اللفظية والدلالة المعنوية في بيان حالات الألفاظ في دلالاتها الوضعية

---

(1) المصدر نفسه ، ص287.

(2) هو: محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي، ولد بزمخشر، وتوفي بجرجانية خوارزم توفي 538هـ . ينظر ترجمته في : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، يوسف سركيس، 973/1، والأعلام ، للزركلي ،178/7، ووفيات الأعيان، لابن خلكان 168/5، وتاريخ الأدب العربي، لبروكلمان 215/5، وهدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادي 402/6، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي ، ص102 .

(3) ينظر في البلاغة العربية، علم البديع، عبد العزيز عتيق ، ص33.

(4) هو : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي، الإمام المفسر، قرشي النسب. أصله من طبرستان، رحل إلى خوارزم. وتوفي في هراة سنة 606هـ، له مصنفات منها: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . ينظر ترجمته في النجوم الزاهرة ، لابن تغري ، 197/6، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 92/5، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف سركيس ، 915/1، في الأعلام، للزركلي ، 313/6 ، وتاريخ علوم البلاغة، للمراغي ، ص107.

ودلالاتها المعنوية ، وقد كان يوافق الجرجاني أحياناً ويخالفه أحياناً أخرى وينتقده، وفي الوقت نفسه يأخذ من أمثلته المستشهد بها في الدراسة، وينطلق منها في دراسته بشيء من التبسيط والتسهيل مع التعليل بالأمثلة[1]. فجهده في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" كان واضحاً عندما شرح في مقدمته اهتمامه الشديد بعلم البيان فقال ضمن حديثه عن العلم عموماً : " لاسيما العلم الذي هو أرسخ العلوم أصلاً ، وأسبقها فرعاً وفصلاً ،وأكرمها نتاجاً، وأنورها سراجاً . وهو علم البيان الذي لولاه لم نر لساناً يحرك الوشى، ويصوغ الحلى، ويلفظ الدر، وينفث السحر " [2]، ثم ركز الرازي في ترتيب أفكاره لتحرير فنون البديع في كتابه فتحدث عن ثلاثة عشر نوعاً من البديع وهي : التجنيس، والاشتقاق، ورد العجز على الصدر، والقلب، والسجع، والازدواج، والترصيع، والمجاز، والتشبيه، والتمثيل، والاستعارة، والكناية، والإضمار، والإيجاز[3]، فعمل الرازي في دراسته لكتابي الجرجاني، لا يعدو كونه واصفاً وموجزاً لما وصل إليه، أما عن مساهمته ومجهوداته في البديع وأنواعه، فإنني أخلص إلى أنه لا جهد للرازي في ابتكاراته للبديع، إلا النقل، فقد نقل لنا نقلاً جميلاً ومبسطاً لأنواعٍ عديدةٍ للفنون البديعية. وهو أيضاً قصد بمفهوم البديع فنون البلاغة المختلفة ولا يعد البديع علماً مستقلاً عنده لأنه من أنصار البيان . ومن رجال البديع في هذا القرن **ضياء الدين بن الأثير**[4] **المتوفى 637هـ:** لم يكن ابن الأثير ليجعل من البديع علماً مستقلاً إنما توسع في بحثه وفهم علم البيان حتى جعله يشتمل ضمنياً مباحث علم المعاني والبديع، أي أن ابن الأثير يُعد رجل بيان لا بديع من ظاهر الكلام، ولكنه ركز في دراسته على

---

(1) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، المكتب الثقافي، القاهرة، مصر ، 1412هـ-1992م، ص6-11.

(2) المصدر نفسه ، ص50 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص87 وما بعدها .

(4) هو: نصر الله بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب، وأحد وزراء العلماء والكتاب ، له من المصنفات: "المثل السائر"، ولد سنة 558هـ، وتوفي سنة 637هـ . ينظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي، 31/8، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف اليان سركيس ، 35/1، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان، 389/5، وشذرات الذهب ، للحنبلي، 304/5، والنجوم الزاهرة ، لابن تغري، 318/6، وتاريخ علوم البلاغة ، للمراغي، ص122 .

أمرين اثنين هما: المحسنات البديعية اللفظية وسماها الصناعة اللفظية، والأخرى الصناعة المعنوية والمتمثلة في المحسنات البديعية المعنوية، أما عن صناعة تأليف الألفاظ التي أوردها ابن الأثير في كتابه "المثل السائر"، فهي ثمانية أنواع وهي: السجع، والتصريع، والتجنيس، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، والموازنة، واختلاف صيغ الألفاظ، وتكرير الحروف[1]. أما عن مقالته في الصناعة المعنوية، أي الخاصة بركن المعاني، فقد جره انسجامه في الحديث عنها ذاكراً المحسنات البديعية المعنوية على النحو التالي: التجريد[2]، ثم تحدث عن محسن بديعي آخر وهو"الالتفات"[3]، ثم التفسير بعد الإبهام[4]، والاستدراج[5]، والاعتراض[6]، والأحاجي أو الألغاز[7]، والتناسب بين المعاني[8] وهو أقسام الطباق وصحة التقسيم، والترتيب الذي يشمل اللف والنشر، والطباق يشمل: المقابلة والمشاكلة، والمؤاخاة بين المعاني، وتكلم عن الاقتصار[9]، والتفريط والإفراط[10]، وتكلم عن الاشتقاق[11] وَعَدَّهُ نوعاً من الجناس، وعن التضمين[12]، وهو قسمان عنده: الأول _الاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والثاني _ هو الذي يجري في الشعر والنثر، ثم تكلم عن الإرصاد[13]ومنه

(1) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1416هـ-1995م 195/1.

(2) المثل السائر، لابن الأثير ، ج405/1.

(3) المثل السائر، لابن الأثير ، 3/2.

(4) المصدر نفسه ، 24/2.

(5) المصدر نفسه ، 64/2.

(6) المصدر نفسه ، 172/2.

(7) المصدر نفسه ، 211/2.

(8) ينظر المصدر نفسه ، 264/2.

(9) المصدر نفسه ، 298/2.

(10) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(11) المصدر نفسه ، 319/2.

(12) المصدر نفسه ، 323/2.

(13) المصدر نفسه ، 329/2.

التوشيح[1] فقد تنقل ابن الأثير بين هذه الأنواع متعرضاً لبعضها بالتعريف والتوضيح تارةً، وبالتقسيم والتحديد تارةً أخرى، وعلى هذا فابن الأثير أشار في كلامه إلى مفهوم البديع بأنه مضمناً في علم البيان ، واكتفى بذلك من الأنواع للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية معاً، فهذا إيجاز إيمائي لمجهوده . كذلك **علي بن عثمان الإربلي المتوفى سنة 670هـ:** الذي ظهر في ساحة البديع فأخذ وجهاً آخراً ولوناً جديداً يدور معناه حول البديع ويعود إليه وهو "البديعيات. أما عمله في البديعيات، فإن العلماء اختلفوا في أولية من نظم بديعية، فذهب كل فريق في ترشيح شاعره، حتى انتهى الأمر بأن فريقاً قال بأولية الإربلي في ذلك، ولكن سرعان ما وجد هذا الفريق الرد بالمعارضة والحجة، مع ذلك فقد أُعتُرف له بتمهيده لفكرة إنشاء البديعيات في عصره، وأن قصيدته تضمنت كل بيت من أبياتها لوناً من ألوان البديع[2]. من خلال التنبيهات المشار إليها أنه ما إن يُترك عهد ابن أبي الإصبع في الخلف حتى يوجد علي بن عثمان الإربلي يبذل قصارى جهده في نظم قصيدة مديح لبعض معاصريه حيث تميزت بأن كل بيت منها محسناً من محسنات البديع، ومن غير المعلوم ما إذا كان الإربلي قد عد فيها جميع المحسنات المعروفة آنذاك في عصرهم أو أنه اكتفى بذكر بعضٍ منها، فإن المؤرخين لم يذكروا من قصيدته سوى ستة وثلاثين بيتاً، وبهذا يكون الإربلي أول ناظم لمثل هذه القصائد التي أودع فيها كل بيت محسناً بديعياً، وقد نظم قصيدته بتقديمه المحسنات البديعية الرائعة[3].

فهذا التصارع على الأولويات في النظم والشعر، من شأنه أن يجعلنا نرى بتمعن أعمال الشعراء في المساهمات الشعرية التي أثرت في نشأة البديع وتطوره، تضمين الأنواع البديعية في أبيات شعرية قد تغيرت أسماؤها ومصطلحاتها، ومع اختلاف الآراء حولها ، إلا أن الأمر لا يخرج عن كونه مساهمة من الشعراء في مجال الجديد من الفنون البديعية التي شغلت كثيراً من الباحثين والكتَّاب إلى وقتنا الحاضر.

---

(1) المصدر نفسه ، 340/2.

(2) ينظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، بكري شيخ أمين ، 18/3.

(3) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر،ط3 ، 1965 م ، ص360.

المطلب الثالث

تطور علم البديع إلى ما بات يعرف به

في العصر الحديث .

في الواقع وقبل الحديث عن تطور علم البديع رأيتُ أنه لا مفر من التعريج على مرحلة استقرار البديع أو بالأحرى القرن الذي استقر فيه ، ومن ثَمَّ مرحلة تطوره .

فعندما نشأ البديع بداية عمره لم يكن منشأهُ علماً مستقلاً، بل كان منثوراً بمعنى أنه كان لفظاً وأحياناً معنىً ولكن لم تعرف هويته مع وجوده القديم كما في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر، وخطب البلغاء وغيرها... حتى وصل كيفما وصل وعلى ضروب متنوعة، إذ أن البديع لم يعرف الاستقرار إلا بعدما أُدخلت عليه مرحلة جديدة وهي مرحلة التأليف في فنون البلاغة، وعند تتبع ذلك اتضح أنه كان للبديع فترة استقرار وانفصال أيضاً إذ "لم يستقل علم البديع بذاته إلا في القرن السابع الهجري بعد أن فتح ابن المعتز للناس باب التأليف البلاغي إذ هو أول من ألف كتاباً في فنون البديع خاصةً والبلاغة عامةً في كتابه المعروف باسم "البديع" الذي جمع فيه الفنون البلاغية الثلاثة"[1]. وهذا يدل على أن للبلاغة عدة فنون وهو تقسيم علمي دل على معرفة أقسام البلاغة في عصر مضى لم يكن معروفاً، بل إن هذه المسائل كانت تختلط بعضها ببعض، فمثلاً كانت كلمة البيان تطلق أحياناً على المسائل المعروفة عندنا بعلمي المعاني والبيان، بينما كانت مفاهيمنا للموضوعات التي نعدها اليوم من علم البيان تندرج تحت أبواب البديع، أما كلمة المعاني للدلالة على أية طائفة من مسائل البلاغة يومئذٍ لم يُعْثر على استخدامها ككلمة في مواضعها المقصودة، ولم تحدد في ذلك الوقت مسائل كل علمٍ هذا التحديد الذي وصل إلينا الآن[2]. أي أن

---

(1) كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة، للإمام أبي جعفر شهاب الدين الرعيني الغرناطي، شرح الحُلة السيرا في مدح خير الورى، لشمس الدين بن جابر الأندلسي، تحقيق رجاء السيد الجوهري ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ، مصر، 1410هـ ، 1990م ،ص17 .

(2) ينظر البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ ، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، حامد عبدالمجيد، ومراجعة إبراهيم مصطفى، الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، 1380هـ-1960م ص3.

العلماء درسوا البلاغة كعلم دون تقسيم ولكن المجتهدين الذين دخلوا هذا المضمار عند دراستهم قد فُتح لهم باب التأليف لاسيما في فنون البلاغة ومن أمثلتهم على سبيل المثال لا الحصر قدامة بن جعفر، وكذلك من ألف في هذا العلم –البديع– أبو هلال العسكري ، وجاء بعده ابن رشيق القيرواني الأمر كان في عصر ابن المعتز الذي وضع أساسات هذا العلم وترسيخه والذي يسير عهداً مع هؤلاء المؤلفين الأفداد الذين خلفوا الأثر الهام والتأثير الأكبر في ساحة الفنون البلاغية[1] ، فكان العهد بعلم البديع أن يسير قدماً نحو مسألة الاستقرار، والاستقلال، المسألة العلمية تلك هي ترتكز على عامل الزمن الذي هو ليس بقصير. أما رجال البديع في **القرن الثامن الهجري** : بدأت مرحلة التطور بتلك الخُطوة المتميزة في تاريخ علم البديع ورائد هذه المرحلة هو: **الخطيب القزويني[2]: المتوفى سنة 739هـ:** فهو من الذين اهتموا وكتبوا عن البديع وتوسعوا فيه. فكان قد ألف في البديع متضمناً كتابين هما "التلخيص، والإيضاح"، فكان جهده واضحاً عندما فصل البديع فصلاً تاماً عن البلاغة التي جعلها تنحصر في "المعاني" و"البيان" ومن تم جعل "البديع" جزأين: أحدهما يرجع إلى المعنى، والآخر يرجع إلى اللفظ، حتى صارت البلاغة منذ ذلك الحين على يديه كما هي الآن[3].

أما من ناحية عمله في البديع وبعد فصله عن البلاغة تماماً، ذكر من محسناته البديعية المعنوية تسعةً وعشرين نوعاً[4]، مشروحةً، واللفظية لم يذكر منها إلا سبعةً فقط[5]، كذلك الحال في كتابه "الإيضاح" الذي خصص في الحديث منه عن

---

(1) ينظر تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين، كتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان،ط1 ، سنة 1423هـ–2002م، ص173.

(2) هو: جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالكريم بن دلف القزويني، ثم الدمشقي الشافعي، مولده بالموصل سنة 666هـ، ولي الخطابة بدمشق، ثم القضاء بها، وله "تلخيص المفتاح" ثم شرحه الإيضاح، وتوفي بدمشق سنة 739هـ . ينظر ترجمته في شذرات الذهب، للحنبلي ، 279/6، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي ، ص134، والبداية والنهاية، لابن كثير ، 185/14، والنجوم الزاهرة، لابن تغري ، 318/9 ، وبغية الوعاة ،للسيوطي ،156/1، والأعلام ، للزركلي ،192/6 .

(3) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي ، 130/1.

(4) ينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني ، ص175.

(5) ينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني ، ص198.

البديع، الذي ذكر فيه محسناته البديعية بنوعيها المعنوية واللفظية، فالمعنوية ذكر منها ستةً وعشرين نوعاً، واللفظية ذكر منها خمسةَ أنواع فقط[1]. ومع ذلك فهناك اختلاف بين كتابي القزويني من حيث ذكره للأنواع البديعية فيهما فقد ذكر في التلخيص خمسةَ عشر نوعاً لم يذكرها في الإيضاح[2] ، وذكر في الإيضاح ثلاثةَ أنواعٍ لم يذكرها في التلخيص[3]، فقد اجتهد القزويني في تعداده للأنواع البديعية، حتى جعل البديع مستقلاً، وبهذا تكون بصمته راسخةً بين أقوال العلماء وكتاباتهم، فيكون قد أسهم في تميز علم البديع عن علمي البلاغة الآخرين . ثم **صفي الدين عبد العزيز الحلي المتوفى سنة 750هـ**[4] : هو من أصحاب قصائد البديعيات، نظم شعره ثم قدم شرحاً طويلاً جمعه في كتاب سماه "شرح الكافية البديعية"، وفيه يوضح تأكيده على نظمه مائة وخمسة وأربعين بيتاً في بحر البسيط واشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعاً محسناً وجعل لكل بيتٍ مثالاً شاهداً لذلك النوع، وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام النظم، ثم قال: أخليتها من الأنواع التي اخترعتها واقتصرت على نظم الجملة التي جمعتها لأسلم من شقاق جاهل حاسدٍ أو عالم معاند، ثم صرح بأنه لم يلزم نفسه التكلف والتعسف، وأخذ بالرقة والسهولة والوضوح[5].

---

(1) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني ، ص333 وما بعدها .

(2) ينظر التلخيص ، للقزويني ، ص178 وما بعدها .

(3) ينظر الإيضاح ، للقزويني ، ص343 وما بعدها .

(4) هو: عبدالعزيز بن سرايا بن علي أبو القاسم بن سرايا الطائي الحلي صفي الدين، ولد سنة 677هـ، وله في الأدب، البيان والمعاني وفي المدح، واشتهر ببديعيته، ينظر ترجمته في الدرر الكامنة في أبناء المائة الثامنة ، لشهاب الدين بن حجر العسقلاني ، تحقيق وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط1 ، 1418هـ ، 1997م ، 225/2 ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس، 788/1، وكشف الظنون للحاجي خليفة 233/1، وخزانة الأدب وغاية الأرب ، لأبي بكر بن علي بن حجة الحموي، دراسة وتحقيق كوكب دياب ، دار صادر ، بيروت،ط1 ، 1421هـ ، 2001م ، 190/1، والأعلام ، للزركلي ، 17/4 ، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، للمراغي، ص139.

(5) ينظر شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، لصفى الدين الحلي، تحقيق نسيب نشاوي ، دار صادر، بيروت، لبنان،ط2 ، 1412هـ-1992م، ص54.

ومن خلال كلامه عن بديعياته ومضمونها فإنه لم يلزم نفسه التكلف والتعسف في كل بيت واكتفى بالتعريف به من خلال تقديمه للبيت الواحد مثالاً للنوع عنده، والرغبة في عملية الوضوح والإيضاح بالشعر، وابتعد عن التعقيد اللفظي والمعنوي وبهذا يعطي الحلي لوناً مميزاً عن غيره من الشعراء، حتى لعب الحلي دوراً مهماً في النظم والمحافظة على الأسلوب المتبع لإنشاء القصائد البديعية التي بدورها لعبت دوراً في تطور البديع ، وجعله علماً منفصلاً عن علمي البلاغة الآخرين . ثم **ابن جابر الأندلسي[1] المتوفى سنة 780هـ:** نظم بديعيته التي قيل إنه اتبع فيها صفى الدين الحلي وكانت على طرازها ويظهر أنه متأثر بها وهي طويلة تقع في مائة وسبعة وعشرين بيتاً، وسمَّاها " الحلة السيرا في مدح خير الورى " وتم شرحها من قبل مَنْ تعقبه من الشعراء والنقاد زمناً، وهو أبو جعفر الرعيني الذي يصرح بأن ابن جابر الأندلسي قد اتبع في سرد المحسنات البديعية الخطيب القزويني، في كتابيه التلخيص والإيضاح وقد اكتفى بعدِّ المحسنات البديعية التي وصلت إلى ستين محسناً بتقديم المحسنات اللفظية على المحسنات المعنوية[2]. مما سبق يتبين أنه قد اتبع الحلي في نظمه وأسلوبه، فالمهم في ذلك أنه وضع بصمته العلمية في نشأة البديع وتطوره، وقصيدته خير دليل على ذلك حينما كانت نادرة الفن والصياغة فأصبح بها مشاركاً لا مشاهداً. ومن رجال البديع في **القرنين التاسع والعاشر الهجريين: ابن حجة الحموي[3] المتوفى سنة 837هـ:** الحموي من شهود أعيان العصر المملوكي الذي

---

(1) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر شمس الدين الأندلسي الهواري الضرير المالكي، توفي سنة 780هـ. ينظر ترجمته في شذرات الذهب، للحنبلي ، 6/7 ، وخزانة الأدب، لابن حجة الحموي، 191/1، في الدرر الكامنة، لشهاب الدين بن حجر العسقلاني، 429/3، وكشف الظنون ، للحاجي خليفة ، 234/1، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس، 60/1 ، في تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي ، ص147.

(2) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص361.

(3) هو: تقي الدين أبوبكر بن علي بن محمد بن حجة القادري الحنفي المعروف بابن حجة الحموي، منشئ دواوين الإنشاء بالديار المصرية، ولد بحماه ونشأ فيها، إماماً عارفاً بفنون الأدب، سافر إلى القاهرة، وله ديوان جنى الجنتين، دفن بحماه سنة 837هـ. ينظر ترجمته في معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس ، 76/1، وشذرات الذهب 353/7، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين محمد السخاوي ، ضبط وتصحيح عبداللطيف حسن عبد الرحمن ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2003 م 1424 هـ، مج 6 ج48/11،=

عاشه، وله بديعية تقديم أبي بكر، والذي قدم لها شرحاً سمَّاه "خزانة الأدب" وفيه بنى شرحه على أساس مغالاة الموصلي[1] وثقل ألفاظ أبيات قصيدته _ أي مبالغته في التفسير واستخدام الألفاظ غير السهلة _ وقد هدم بشعره ما نحته الموصلي، وجارى في ذلك صفي الدين مقيداً بتسمية النوع، أيضاً برقة السحر الحلال، وما ينبغي عليه النظم أن يكون في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، واجتهد ابن حجة في استبعاد كل المآخذ التي أخذت على كلٍ منهما، حيث نظم بيته الشعري على بحر البسيط متضمناً النوع البديعي واسمه، وإكثاره من الشواهد في شرحه، فأخذ من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النبوية، ثم من الشعر، وصقل النظم بسعة ثقافته ومعلوماته[2].

أما من ناحية الاختراع فلا يظهر ذلك واضحاً ، ولكنه كان مساهماً في جمع مجهودات سابقيه من أهل البديع من حيث إنه اتخذ طابع التجميع والبحث، في تنويع الفن البديعي وتطوره، والتسمية العلمية لبعض الأنواع البديعية . وكذلك **عبد الرحمن الأخضري[3] المتوفى سنة 983هـ:** جاء بعض الشارحين بعد الأخضري وقدموا لكتابه "**الجوهر المكنون**" الشروحات والحواشي، من هذه الحواشي حاشية تشتمل على معانٍ ومفاهيم نظمِ الأخضري، هذا النظم المسمى بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع الذي يشتمل على غالب قواعد التلخيص وبديعة التخليص، وهذا الجوهر لم يمكث مكنوناً طويلاً فقد ظهر من يزيل غموضه وإبهامه بالشرح وحسن التحرير فهذه

=وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ، للمراغي ، ص162، وخزانة الأدب ، لابن حجة الحموي، 193/1، والأعلام ، للزركلي ، 67/2.

(1) هو: علي بن الحسين بن علي بن أبي بكر العلامة عز الدين الموصلي، الشاعر المشهور نزيل دمشق مهر في النظم، وله ديوان شعر، وله البديعية المشهورة قصيدة نبوية، توفي سنة 789هـ . ينظر ترجمته في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للإمام شهاب الدين العسقلاني ، مج2/ج26/3، وفي خزانة الأدب، لابن حجة الحموي ، 191/1، وفي كشف الظنون ، للحاجي خليفة ،234/1، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي، ص150، والأعلام ، للزركلي ، 280/4 .

(2) ينظر خزانة الأدب، لابن حجة الحموي ، ج304/1.

(3) هو: عبد الرحمن بن محمد الأخضري، صاحب متن "السلم" وهو من أهل بسكرة في الجزائر، ولد سنة 918هـ، وله "الجوهر المكنون" وتوفي سنة 983هـ. ينظر ترجمته في هدية العارفين ، لإسماعيل باشا البغدادي، 546/5 ، وفي الأعلام ، للزركلي، 331/3 ، وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس ، 406/1 .

الحاشية فيها مديحٌ لمكانة ومنزلة مؤلفه ، وبغاية حسنه من المتأملين[1]. وقد قيل بعض الشعر بين كلماته لفظ البديع بشيءٍ من الوصف الجميل، وبالمناسبة نقلتُ منه هذا البيت من البسيط :

درٌّ بـــديع تَنـــاهىَ فـــي محاســـنهِ ** يميـــل نـــاظرُهُ مـــن حســـنهِ طَربـــاً[2]

هذا شيء من حاشية الشيخ مخلوف التي قدمها من قواعد ومضامين لمتن الجوهر المكنون للأخضري الذي يخص بالحديث عن الفنون الثلاثة التي ما يعنينا منها هنا سوى الجزء الثالث والأخير منها ألا وهو "البديع" ، فالأخضري من جيل البديع الأواخر الذين تميزوا بالإيجاز، وتقوية المعاني بالألفاظ .

ومن رجال البديع في **العصر الحديث : الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي**[3] **المتوفى سنة 1143هـ:** هو من الذين أُغرِموا بفنون البديع، ويعد من أصحاب البديعيات، وقد قال في نظم القصائد بديعيتين أولاهما التي سار فيها على مثال بديعية صفى الدين الحلي ، وهي التي لا تتضمن أسماء المحسنات البديعية، أما الثانية فكانت على طراز بديعية عز الدين الموصلي وابن حجة الحموي، ولكن أبياتها تتضمن أسماء المحسنات البديعية، وقد عرض في شرحه للبديعيتين مسألة النظم وذكر اسم النوع البديعي، وقد كان رأيه في ذلك إنما تُكسب ذلك تنافراً للكلمات، وغرابة المباني والمعاني، وعند الفهم تعرف المحسنات بأسمائها على حد قوله. ثم صرح بأن كل بديعية تحوي مائة وخمسين بيتاً، وهما تشتملان على مائة وخمسة وخمسين محسناً

---

(1) ينظر حاشية العالم الشيخ مخلوف المنياوي على شرح العلامة الشيخ أحمد الدمنهوري، لمتن الإمام الأخضري، طبع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى لصاحبها مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1315هـ، ص1.

(2) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(3) هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي الصالحي الإمام الشهير صاحب الأسرار والأنوار ولد سنة 1050هـ، وله بديعيتان، وتوفي سنة 1143هـ. ينظر ترجمته في تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي، للشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، ضبط وتصحيح ووضع الحواشي: إبراهيم شمس الدين ، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 1417هـ-1997م، 165/1، وفي هدية العارفين لإسماعيل باشا، 768/5، وفي خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، 197/1، وفي الأعلام ، للزركلي ، 32/4.

بديعياً وذلك بعد زيادة أنواع لطيفة، وفنون ظريفة، وإشارة في كلامه بأنها لا توجد في البديعيات التي سبقته، وإن شرحه كان وسطاً بين الإيجاز والإطناب، وذلك لتفادي السآمة والملل على القارئ[1].هذا بالنسبة لنظمه لقصائد البديعيات، وشرحه للمحسنات البديعية، أما من حيث الأسلوب وتركيب العبارات واختيار الألفاظ، فإنه كان متميزاً ويظهر ذلك واضحاً بالشكل والمضمون في أسلوب نظم البديعيات . فهو لم يكن شاعراً وناظماً للبديعيات فحسب؛ بل كان ناقداً ومحللاً ومحاوراً أيضاً، فقد استطاع أن يجمع بين وظائف علمية عديدة، إلى جانب ذلك كان مساهماً في تعداد الأنواع البديعية وشرحها، ولم يكن مخترعاً ؛ بل سار على نهج من سبقه من أصحاب البديعيات .

ثم ظهور **الساعاتي**[2] **المتوفى سنة 1298هـ:** ويعد من رجال البديعيات وأعيان العصر الحديث في نظم البديعيات التي تتضمن الأنواع البديعية مع الشرح. ففي بديعيته المنظومة والمنسقة على غرار بديعية ابن حجة الحموي الكثير من الأنواع البديعية المتداخلة بين أبياتها، والتي اشتملت على مائةٍ واثنين وأربعين بيتاً، حوت المدائح والوصف وذكر المحسنات البديعية بأنواعها، وقد سار كثير من معاصريه في البلاد العربية على نسق هذه البديعيات الرائعة، ونلاحظ بعض المسيحيين اللبنانيين قد ألفوا بديعيات في مديح عيسى والرسل عليهم السلام أجمعين[3]. مع شاعريته ، أستشف بأنه قد أسهم فعلاً في نشأة البديع وفنونه، وقد عرف البديع شيئاً من التوسع حتى شمل الأدب الخاص بالمسلم، وأدب غير المسلم في العالم في مجال البلاغة والأدب، وهذا عمل يحسب لمثل هؤلاء الرجال كمساهمة علمية جادة .

---

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص364، 365.

(2) هو: محمود صفوت بن مصطفى أغا الزيله لي الشهير بالساعاتي، شاعر مصري، ولد ونشأ بالقاهرة، وتأدب بالإسكندرية، له ديوان شعر، توفي سنة 1298هـ. ينظر ترجمته في الأعلام ، للزركلي ، 174/7، وفي معجم المطبوعات العربية والمعربة ، يوسف سركيس ، 996/1، وفي خزانة الأدب، "في المقدمة "، لابن حجة الحموي ، 200/1.

(3) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص366.

وكذلك **الشيخ طاهر الجزائري**[1] **المتوفى سنة 1338هـ:** فبمساهمته في نظم الأنواع البديعية، قد تبين أنه آخر الّذين أسهموا في فن البديعيات والمدائح الشعرية، فله بديعية باتت من أشهر البديعيات التي عُرفت آنذاك، وقد قام بتصنيف شرح لها لتوضيحها وإرساء فن الأنواع البديعية فسمى شرحه ذاك "بديع التلخيص وتلخيص البديع"[2]، فمن حيث العموم أن هذه البديعيات كانت تأخذ شكل مختصرات مجملة إلى درجة الإيجاز وتوخي السهولة والوضوح المفرط، أي أنها غامضة أسلوباً، وقوية لفظاً ومعنىً، ولهذا شُرع في شرحها ودراستها وإزالة غموضها من قبل مؤلفها، أو حتى من الذين يتبعون منهج وأسلوب المؤلف[3]. هذه محاولته في جمع بعض الأنواع البديعية من خلال تقوية البديعيات وأسلوب النظم لهذه المدائح الشعرية، وما يهم منها مساهمته في تعداد الأنواع البديعية ، سائراً على منهاج الساعاتي وغيره في هذا الفن الذي أخذ شكلاً من أشكال البديع فسُمي بالمدائح النبوية، والأشعار المديحية في هذا العصر الحديث .

وما استنتجته مما سبق أن مفهوم البديع قد ارتبط ارتباطاً زمنياً بنشأته، أي أن مفهوم البديع ونشأته كان معروفاً كلفظ فقط الذي يعني البلاغة أو الجديد والطريف فقط حسب مقامه، أما في عصر صدر الإسلام والعصر العباسي فكما تم توضيحه في نشأته أنه كان معروفاً عندهم لاسيما في شعر الشعراء العباسيين لأنه كثُر في شعرهم لدرجة الإفراط فيه والمفهوم عندهم معنيّ بفنون البلاغة الثلاثة "البيان والمعاني والبديع " وبشكل مختلط ودون فصل بينها، أما مفهومه المعروف كما في التعريف الاصطلاحي له فإن ذلك لم يكن إلا في القرنين السابع والثامن الهجريين تقريباً عندما جاءت محاولة السكاكي لتقسيم البلاغة وتعريفه له ثم تعريف الخطيب القزويني من

---

(1) هو: طاهر بن صالح (أو محمد صالح) بن أحمد بن موهوب، السهوني الجزائري، ثم الدمشقي، من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره، وأصله من الجزائر ومولده ووفاته في دمشق، له في بعض اللغات الشرقية، توفي سنة 1338هـ. ينظر ترجمته في معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف سركيس ، 688/1 ، وفي الأعلام، للزركلي ، 221/3 ، وفي خزانة الأدب، "في المقدمة " لابن حجة الحموي ، 202/1 .

(2) ينظر معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ، يوسف سركيس ، 689/1 ، وفي تمهيد خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، 202/1 ، والأعلام ، للزركلي ، 221/3 .

(3) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص366.

بعده "التعريف الاصطلاحي له" ، إذاً المفهوم بمعنى الجديد والطريف ،والمفهوم بمعنى فنون البلاغة المختلفة ثم التعريف الاصطلاحي له هي مراحل تاريخية مرّ بها معنى البديع ، وإن ذلك لشيءٌ غايةٌ في الأهمية والاهتمام في علم البلاغة ، وبهذا التدرج صار البديع علماً مستقلاً بذاته كالعِلمين الآخرين، وهذا ما آلت إليه البلاغة عندنا اليوم.

_ أما **مرحلة البديعيات** : فقد ظهرت في زمن عجّ بهذا الفن الراقي فهو يُعدّ من أرقى مراحل التطور لهذا العلم البديع ، فمن الأنواع البديعية المتمثلة في القصائد المديحية أو المدائح، ومنها ما هو على شكل قصائد سميت بالبديعيات، ولعلني أقف هنا وقفة لكشف الستار عن كلا النوعين من القصائد الشعرية. فالمديح النبوي عُرف منذ بعثته ﷺ وإلى ما بعده وحتى يومنا هذا، وهذا المديح أشعر فيه كثير من الشعراء أمثال حسان بن ثابت ومن بعده، ثم اقترن اسم البديعيات بالمديح النبوي وانطلق بعض أصحاب البديعيات في هذا الفن[1]، وممن اشتهر بهذا المديح النبوي الشاعر حسان بن ثابت الذي دافع عن الرسول ﷺ والإسلام بشعره الجميل والذي أطلق على هذا النوع من الشعر فيما بعد باسم "المدائح والبديعيات" وهذا النمط لم يكن معروفاً قبل عصر الإسلام ، وهذه بعض الأبيات من شعره يمدح فيها الرسول ﷺ، ويهجو أبا سفيان بن الحارث[2] شاعر قريش، كان ذلك في يوم فتح مكة[3]. والأبيات التي قيلت في ذلك الموقف هي:

---

(1) ينظر كتاب طراز الحُلة وشفاء الغُلة، لأبي جعفر شهاب الدين الغرناطي ، ص21، 22.

(2) هو: أبو سفيان بن الحارث واسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وله صحبة، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان شاعراً ثم أسلم يوم الفتح، توفي سنة 20هـ. ترجمته في تاريخ الصحابة الذين روى عنهم الأخبار، لأبي حاتم البستي ، ص231، في العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 282/5، في صفة الصفوة ، لابن الجوزي ، 209/1، والأعلام، للزركلي ، 276/7.

(3) فتح مكة كان في السنة الثامنة للهجرة، يوم دخلها الرسول ﷺ عندما نقضت بكر وقريش العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ، ينظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير ، 116/2.

ألا أبْلِـــغْ أبـــا سفيـــــان عنـــــي ** فأنـــت مجـــوف[1] نخـــب[2] هـــواءٌ[3]

هجـــوت محمـــداً فأجبـــتُ عنـــه ** وعنـــد الله فـــي ذاك الجـــزاءُ

أتهجـــوه ولســـتَ لـــه بكـــفءٍ ** فشـــركما لخيركمـــا الفـــداءُ

هجـــوتَ مبـــاركاً بـــراً حنيفـــاً ** أمـــين الله شـــيمته الوفـــاء

ومثل هذه القصائد تتتالى بالطابع المديحي الذي أخذ القالب البديعي البليغ على أفواه الشعراء أمثال الشاعر "مدّاح النبي ﷺ".

ومـع ذلـك " فمصـطلح البـديعيات لـم يرسـخ فـي أذهـان النـاس، ونفوسـهم كمصطلح حتى جاء ابن حجة الحموي واستخدمه لأول مرة، بعد صفى الدين الحلي، في خطبة شرحه على بديعيته إذ قال: فهذه البديعية التي نسختها بمدحه ﷺ "[4]. يبدو أن هذا المصطلح شغل شعر الشعراء لاسيما أصحاب الشعر المديحي واستخدمه الناس في كلامهم، ولكن ترسيخه، ووعيهم له لم يكن واضحاً إلا بعد استخدام ابن حجة له في شعره، ومن خلال كلامه أن المديح مقترن بالبديعيات بالفعل ، والميل إلى هذا الرأي أقرب ، والمفهوم من ذلك أن المديح كان معروفاً منذ بعثة الرسول ﷺ، والبديعيات نظمت نظماً شعرياً متناسقاً، فصار هناك فكراً جديداً ممزوجاً بين اللونين وكلاهما يتضمن أنواع البديع وفنونه .

كما أن من البديعيات لم يترك مجرد أبيات شعرية مصفوفة بل إن الاهتمام بها كان متزايداً حتى تأكدت واستقرت على أساسات علمية وشروط قائمة بذاتها كما يراها بعض أنصارها من الشعراء والمهتمين بها. فمن تلك الشروط والأسس كمقومات لها موضوعها الأساسي الذي هو مدح الرسول ﷺ، وأن تكون منظومة على بحر البسيط،

---

(1) المجوف: أي أجوف وفيه تجويف والمجوف من الدواب، الذي يصعد البلق حتى يبلغ البطن، مادة : جوف . في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، 1340/4.

(2) نخب: بكسر الخاء: أي جبان لا فؤاد له، مادة : نخب . في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري ، 223/1.

(3) حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق بدر الدين حاضري محمد حمامي ، ص10.

(4) خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي ، 156/1.

وكل بيت من أبياتها يتضمن لوناً بديعياً على الأقل، فبهذه الأسس والشروط أصبح للبديعيات كيان وفن مستقل حمل بين طياته أنواع البديع وفنونه العديدة والتي تنافس بها أصحابها من الشعراء والناظمين لها[1]، وبنشأة البديعيات وتطورها كان البديع قد تطور معها بمرور الزمن، وأصبح البديع يسير في مسارين شعريين، من جهة تناوله العلماء لاسيما علماء البلاغة كفرع من فروع البلاغة المعروفة، ومن جهة أخرى كان تناوله من قبل أصحاب البديعيات والمدائح الشعرية. حتى كانت إشراقات القرن السابع للهجرة والزمن الذي بعده أصبح للكتَّاب والمؤلفين المتسع من الوقت والفرصة المتاحة لتفريغ ما في جعبتهم من كلام عن البديع ومتعلقاته كتابةً، ثم أخذ البديع بالتنوع والتعدد وهي مرحلة متجددة من عمره ، فهذه التسمية أحدث عهداً من البديع وإن كانت تُعنى بمجموعة قصائد لمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد عُرّفت بأنها : "عبارة عن قصائد في مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فهي تتضمن فنوناً بلاغيةً التي شهدها القرن السابع الهجري كلون جديد من التأليف في البلاغة وهو البديعيات [2]، التي نُظمت لها النظوم كما في القصائد التي تدخل في نوع المديح للرسول ﷺ . أيضاً هذا النمط من الشعر الذي يسمى باسم "البديعيات" قد عرفها بعض أصحابها بأنها: " قصائد مطولة، تزيد القصيدة الواحدة على خمسين بيتاً، وقد تبلغ المائة أو المائة والخمسين بيتاً، وقد تصل أحياناً إلى ما يقرب من ثلاثمائة بيت "[3].
ومنهم من قال بأنها: "ذاك الفن الشعري الطريف الذي بزغ في أوائل القرن الثامن الهجري، وتلألأ نوره في أروقة التراث العربي الإسلامي في القرون الستة المتتالية، فجمع بين الطرفة والمتعة والفائدة، والذوق والإحساس"[4]. فقد اهتم ناظموها بمسألة تحديدها بعدة تعريفات ليكون لها المسمى العلمي ، التي ينادي أنصارها أنها لعبت دوراً

(1) ينظر خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ، 162/1.

(2) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت،ط1 ، 1427هـ ، 2006م، 383/1 .

(3) البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البديع، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط4، 1996م، ص11.

(4) خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، 164/1.

في نشأة البديع، وذلك عبر شعر المدائح للرسول ﷺ التي تحمل البديع في ألفاظها وبين طيات معانيها، وظهر لها كثير من الشعراء والرواد ولعل أول من أطلق مصطلح "بديعية" هو الشاعر المعروف صفي الدين الحلي على قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ، وضمنها ألوان البديع اسم "الكافية البديعية في المدائح النبوية"[1].

ولهذا عَدَّ أصحاب البديعيات أن الأخيرة كان لها الأثر الكبير في استقلال البديع بنفسه وتوضيح معالمه، ومن جهة أخرى هناك آراء تبحث في المدائح المشهورة التي اختصت بمدح خير الأنام رسول الله ﷺ، التي يقال عنها إنها أول ما قيلت في البديعيات قبل الشاعر صفى الدين الحلي، التي جاءت بعد اجتهادات ابن أبي الإصبع المصري الذي كان البديع في عصره لا يشتمل على الصور البيانية فحسب؛ بل حتى صور علم المعاني، وهذه البديعيات الظاهرة بعد عهد ابن أبي الإصبع مباشرةً كان رائدها الشاعر علي بن عثمان الإربلي ، الذي ينظم قصيدته مضمناً كل بيت منها محسناً من محسنات البديع، وهي التي تعد أول قصيدة عنى ناظمُها بهذا النظام ومن ثم فإنه في القرن الثامن الهجري ظهر الشاعر صفي الدين ناظماً قصيدته في البديعيات الشعرية[2]. ومن ذلك يتضح أن هناك مَن قام بنظم قصيدة بديعية ما بغض النظر عن محتواها وعدد أبياتها ، وآخرٌ مَن أطلق على قصيدته مصطلح "بديعية" ، فكلاهما نظم قصيدته، وبها كان ظهور هذه البديعيات الشعرية في زمنها الذي وُلدت فيه كمرحلة تابعة لمسيرة علم البديع ، كما أستنتج مما سبق أن البديع كان معروفاً قديماً كمصطلح – بلفظ البديع– وقد جاء عند شعراء العصر العباسي وكانوا يعنون به المعنى الشامل لفنون البلاغة الثلاثة ، مثلما كان البديع عند ابن المعتز فقد كان يَقصِد به البلاغة بفنونها وما يدل على ذلك هو عند تعريفه للبديع أدمج معه الاستعارة فقال: "وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعْرَف بها من شيء قد عُرِفَ بها"[3] ، بمعنى آخر

(1) ينظر كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة، للإمام أبي جعفر شهاب الدين الرعيني الغرناطي، شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى، للإمام شمس الدين بن جابر الأندلسي ، ص26–27.

(2) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص359، 360.

(3) كتاب البديع ، عبد الله بن المعتز ، ص2 .

في معنى البديع عند ابن المعتز أنه لا يريد به ما اصطُلِح على تعريفه عند المتأخرين على ما يبدو، بل أراد شمله البيان ويفهم ذلك من خلال ذكره للاستعارة [1]، أيضاً لم يكن ذلك قديماً فحسب بل حتى في القرن السابع الهجري كما أرادوا به البديع وأنواعه المختلفة[2]. وذلك يشير إلى مدى الاتساع في البحث في مصطلح البديع من حيث وجوده ونشأته ومفهومه خلال هذا القرن الذي فاض بهذا النوع من البديع أو القصائد الشعرية المديحية ثم تمركزه فيه حتى كان للبديع الحال نفسها في الاستقلال في القرن نفسه .

ومن خلال تتبع مؤلفات ابن أبي الإصبع اتضح أنه كان له الإمضاء أيضاً لمثل هذا اللون من الشعر المديحي فقد اندرج ضمن مؤلفاته مؤلّفٌ مُسمَّاه "صحاح المدائح" الذي يحتوي على المديح لسيد الخلق الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين حيث جمعه في كتاب واحد، في القرن السابع الهجري ضمن موجة كبيرة من شعراء هذا النمط الشعري[3]. وقصيدته المتضمنة في مدح الرسول ﷺ كانت على ما يبدو مجرد تطبيقٍ لمباحث علم البديع من محسنات بديعية معنوية ولفظية ، ولم يكن متناولاً فيها ذكر مصطلحات علم البديع المعروفة . وكأني بهذا القرن – السابع الهجري– أن يُوصف بالجمود إزاء ما يتعلق بعلم البديع من حيث التعقيد اللفظي والمعنوي .

ومن جهة أخرى فإن هناك من النقاد من وقف من هذا النوع من الشعر ومن أصحابه موقفاً سلبياً معبراً عن رأيه إزاء مسألة تحور الشعر في القرن السابع الهجري خصوصاً، بأنه قد وقع الشعر تحت جماعة لم يكن همها سوى جمع ألوان البديع فحسب، بل إنهم كانوا فيه بمبدأ التكلف، وصبوا اهتمامهم على تفعيلات وموازين

---

(1) ينظر توضيح البديع في البلاغة ، محمد محمد طه هلالي ،المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية،ط1، 1997م، ص7 .

(2) ينظر البديع في علم البديع ، ليحيى بن معطي ، تحقيق محمد مصطفى أبو شوارب ، مراجعة ، مصطفى الصاوي الجويني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ،ط1 ، 2003م ، ص42 .

(3) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص30، 31.

الشعر، وقد لا تروق الألفاظ ولا معانيها التي شكوا منها ما سمّوه بقصائد البديعيات، منظمة بأبيات يكمن فيها شيء من ضروب البديع المختلفة[1].

وهذا المؤشر الزمني يعطي شيئاً علمياً على أن البديع لم يسر مسيرةً متواصلة دون توقف وأنه لم يكن قبل ذلك أو بالأحرى بداية نشأته مستقلاً حتى القرن السابع الهجري، ومعنى ذلك أنه أصبح يبحث عن شخصيته ليستقل بذاته علماً مستقلاً، وعلى أية حالٍ فإنه باقٍ باتصاله بعلم البلاغة الأم وثالث فروعها المعروفة .

ومن جهة تتبع البديع بين العلوم إزاء مسألة استقلاله وُجد أن البديع هو أحد علوم الأدب الستة عند كثير من العلماء منها اللغة، والتعريف، علم العربية، وعلم المعاني، وعلم البيان، ووجوه تحسين الكلام وهو علم البديع[2]. وهذا يشير إلى أن البديع أصبح مستقلاً كعلم بذاته حتى أنه صُنف من بين علوم العربية، فإذا كان أمر استقلاله أمراً فرضياً وغير واقعي فإن مكانته تلك لم تكن لتصنّف بين علوم العربية الستة .

وضمن كلام ابن المعتز أنه أشار إلى كيفية وصوله إلى حقيقة إثبات أن البديع عبارة عن خمسة أبواب أو فنون على حد قوله مخاطباً الناظر أو الباحث بالمعنى العلمي أنهم اقتصروا على هذه الفنون اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام لا ضيقاً في المعرفة، ويعود مؤكداً في خطابه لغيره، أنه من أراد أن يقتدي بهذا المبدأ وهو الاقتصار على البديع بفنونه الخمسة فله الخيار في ذلك، ومَنْ استطاع أو حتى أراد أن يضيف شيئاً من هذه المحاسن والجماليات الأدبية، إلى البديع ولم يأت غير رأي القائل ورفاقه الكتَّاب له اختياره، فالأمر حسب رأي ابن المعتز ليس قصراً إنما كان فتح باب للعلم والبحث ، أي أن ابن المعتز يشجع على النظر في هذا الموضوع بشيء من الموضوعية والنظرة العميقة من الناحية البلاغية البحثة، ويفسح المجال أمام الدارسين وإبداء الرأي[3]، وكأن ابن المعتز يرى أن للناقد المتمعن في النصوص

(1) ينظر خزانة الأدب، لابن حجة الحموي ، 106/1.

(2) ينظر كتاب طراز الحُلة وشفاء الغُلة، لأبي جعفر شهاب الدين الغرناطي ، ص92.

(3) ينظر كتاب البديع، عبد الله بن المعتز ، ص58.

الأدبية والبلاغية استطاعة على أن يحلل ويعلل ما يقرأ وما يُكتب ويسمع، وتحديد مواطن القبح والجمال أو حتى الإتيان بالجديد إن لزم الأمر، وذلك من خلال إشارته لكلمة "الناظر" أو معنى عبارة "لمن أراد أن يقتدي بهذا المبدأ"، وهذه رؤية علمية تتيح للقارئ الكثير من الفرص في التبصر والدراسة.

فموقف العلماء من البديع خلال مسيرته التاريخية منذ القرن الخامس الهجري إلى القرن الرابع عشر أنهم أحبوا البديع وعايشوا ألوانه بصوره المبتكرة والناضجة الحاملة لصفات الجمال والروعة والبعيدة عن التكلف المتزايد، وعند هذا التكلف فإنهم يرفضونه بل ويتركونه يذوي ويموت، أما المعاصرون من المؤلفين لا أقول كلهم، كان لهم موقف من البديع وأصله وعصره، وأدبه نثراً وشعراً موقفاً متشنجاً رافضين كل ما جاء به العصران "المملوكي والعثماني" قبلهما وآخر العباسي كذلك، فالمرجو منهم التفريق بين الفنون البديعية، وبين الشعراء، وبين الإنتاج الأدبي، وبين النجاح والإخفاق، لكانوا أكثر عدلاً وإنصافاً وأصوب حكماً ونقداً، ومع ذلك فإن علماء العصر العباسي وقفوا على ألوان محدودة في البديع، بل هي محدودة جداً، ولكن مع مرور الزمن فإنهم استطاعوا أن يضيفوا للبديع ألواناً جديدة كما في البديعيات، ولكن سرعان ما وقف هؤلاء العلماء عند هذه الألوان البديعية حيث لا الزيادة ولا النقصان، واستمر الحال هذا فترةً من الزمن، ولكن الشعراء والمبدعين لم يقفوا بل ظلوا منطلقين في العطاء والتقدم[1].

هذا الاستشفاف من المرحلة الواصفة لزمن طويل يكشف اللثام عن مسألة البديع في زمن مضى لا عن تاريخه فحسب بل عن مسألة التكلف والغلو في استخدام البديع وألوانه آنذاك وعن ارتجاليته القديمة وعن مسألة قَبُوله فيما بعد بشيء من الجدة والحداثة.

ورأي آخر يوجه النظر إلى البديع كعلم من علوم البلاغة بأنه ذو قيمة علمية عالية بين علوم العربية عموماً، وأنه علمٌ عربيٌ خالص العروبة، وأنه لا مثيل له في الآداب غير العربية وهذه تبرز مكانة علم البديع بالنسبة لعلمي المعاني والبيان والعلوم

(1) ينظر البلاغة العربية في ثوبها الجديد، علم البديع، بكري شيخ أمين، 6/3، 7.

العربيـة، وأنـه خُلاصـةُ عِلمَـي المعـاني والبيـان ومصـاص سـكرهما، أيضـاً أنـه نـابع للفصاحة والبلاغة، وأنه صفو الصفو وخلاص الخلاص، وأن مكانة علم البديع كعلم من علوم اللغة العربية في حد ذاته يُعدّ تصوراً علمياً بخصوصه، وأن هذا التصور يراد به أن مكانة علم البديع مقدمةٌ على علمي المعاني والبيان، وهذا الرأي يُعدّ منفرداً به بين البلاغيين العرب، وما هذه إلا محاولةً لإثباته[1].على أية حال فإن ذلك لا يعدو كونه مجرد رأي علمي صريح من أهل الكتابة والتدوين .

ورغم الخلافات المنهجية واختلاف الآراء العلمية للعلماء والشعراء حول ما إذا كان البديع علماً مستقلاً بذاته أم أنه يعد مضمناً مع العلمين "البيان والمعاني" وتابع لهما؛ إلا أنَّ إسهام البديعيات في أن يكون للبديع شأن وقيمة بين ناظميه والناس كان الحد الفاصل، ثم صار للبديع المؤلفات والأنصار المدافعون عنه، وهذه نقلة علمية تاريخية للبديع بشكل خاص منذ نشأته حتى ارتبط بالبديعيات التي أُلِّفت قبل العصر الحديث، التي تولدت عنها بقية منها إلى وقت قريب العهد .

أخلصُ مما سبق بشيءٍ من الإيجاز... أن نشأة البديع كانت بدايته تاريخية من خلال آيات القرآن الكريم، وفي بعض أحاديث الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عنهم جميعاً، ثم في شعر الشعراء ثم ظهوره في نظم البديعيات الشعرية إلى العصر الحديث. ومفهومه بين رجاله وأنصاره أستطيع أن أعبر عنه بالمسميات أو الإطلاقات البلاغية واللغوية التي أطلقها عليه العلماء وأصحاب المؤلفات الخاصة بعلم البديع كما أسلفت بذكر رجاله مستشفاً مما سبق أن من الشعراء مَنْ ذكره في شعره ذكراً وهم كُثر؛ أما الذين ألفوا فيه وكتبوا حتى كان له مفهوم عندهم، فمنهم من أطلق البديع بمعنى الجديد والاستطراف، ومنهم من قصد به جميع فنون البلاغة المختلفة، ومنهم من قال بأنه مرادف لكلمة الاستعارة وقصدَ البلاغة، وهناك من سمَّاه بمحاسن الكلام ونعوته، أو حتى خصص له أبواباً، وهناك من أطلقه على العموم أي بمعنى البلاغة، وأن بعضهم أطلق على فنونه وجوه التحسين للكلام، وأخيراً ثمةَ مَنْ جعله علماً مستقلاً بذاته وعرفه

(1) ينظر علم البديع رؤية جديدة، أحمد أحمد فشد، مزيدة ومنقحة، مطبعة الجمهورية، مصر، الإسكندرية،ط2، 1999م، ص53، 55.

بالتعريف المعلوم، إلى أن وصل الأمر بالتعرف على المنظومات الشعرية التي سُميتْ آنذاك باسم "البديعيات" أو المدائح الشعرية فأصبح رجالها يتغنون بها ومنهم من يقدم لها التعريف من جهة ومن جهة أخرى تحديد وجوه البديع ومحسناته عن طريقها، وهذه البديعيات انتشرت حتى وصلت إلى العصر الحديث وبرز منهم كثيرون، وبها تقطّعت نهاياتُ طرقات نشأة البديع فتعقّد نظمُها ودُقِقَ نسجُها حتى طال خيطُها، فصعب الأمر على متلقيها، فأُلِفت المؤلَّفات وكثر الشرّاح من شدة غموضها وإيجاز عباراتها، وقوة تركيب ألفاظها، حتى شاك طريق طلابها .

فذاك كان ملخصاً لنشأة ومفهوم البديع عبر قرون من الزمن لمعرفة رجاله، وإسهاماتهم فيه ، لملمةً لفروع البلاغة العربية وفنونها ومحافظةً عليها من نهشات الإهمال والضياع ...!

المبحـــــث الثاني

مسيرة التأليف في علم البديــع
إلــى زمــن ابن أبــي الإصبــع

المطلب الأول – بداية مسيرة التأليف في علم البديع .

المطلب الثاني – روّاد التأليف المتخصص في هذا الفن .

المطلب الأول

بداية مسيرة التأليف في علم البديع:

بدأت مسيرة التأليف في علم البديع وظهوره في ثنايا المؤلفات بأول بداية قام بها الخليفة العباسي ابن المعتز عندما ألف كتاباً سمَّاه البديع، ويفهم ذلك من قول ابن أبي الإصبع في مقدمة تحريره عن البديع ورؤيته لمحاسن الكلام وجماله والألقاب التابعة للكلام التي نُعتت بالبديع والتي كانت تدك الألقاب قد انتهت إلى أصول وفروع فأما الأصول منها هي التي وصل إليها ونبه عليها اثنان من علماء البلاغة ولم يذكر غيرهما وهما: ابن المعتز في بديعه، وقدامة في نقده وعلل على ذلك بأنهما أول من عُني بتأليف ذلك[1]. ثم يقول ابن أبي الإصبع: "أما ابن المعتز فهو الذي سمَّاه البديع"[2]، وكأنه يستخلص ابن المعتز من اشتراك قدامة له في التسمية وخصها لابن المعتز في ذلك.

وتأكيداً على ذلك ما عبر عنه ابن المعتز في تنبيهه للقارئ بعدة أمور وهي في الوقت نفسه تؤكد على تسميته للبديع بديعاً في عبارة قالها: "ولعل بعض من قصَّر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب قد تحدثه نفسه وتمنيه مشاركتنا في فضيلته فيسمى فناً من فنون البديع بغير ما سميناه به أو يزيد في الباب من أبوابه كلاماً منثوراً أو يفسر شعراً لم نفسره أو يذكر شعراً تركناه ولم نذكره إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فألقيناه أو لأن فيما ذكرنا كافياً ومغنياً"[3]. ففي هذه العبارة إشارة إلى تأليف الكتاب وتنبيه على من يضيف فناً من فنون البديع إلى ما وصل إليه هو وبغير ما سماه وتركه فيوضح بأن ذلك إما لم يكن من هذا الباب فألقاه أو لأن ما ذكره ابن المعتز في نظره كافياً ومغنياً وكله ثقة وتأكيد وإصرار على التأليف في موضوع البديع.

وظهوره كمصطلح فقد أوضحتُ آنفاً وجود البديع وظهوره بالمعنى الشامل لفنون البلاغة الثلاثة ، أما في العصر العباسي فقد برز ظهوره في ثنايا المؤلفات كما سبق

---

(1) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص83 مقدمة المؤلف .

(2) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها من مقدمة المؤلف .

(3) كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، ص2، 3.

عند ابن المعتز، ويقول شوقي ضيف في هذا المقام أن البديع منذ ابن المعتز أو قبله كان يشتمل على الصور البيانية، وبعدها إلى عهد ابن أبي الإصبع أي في القرن السابع الهجري أخذ يشتمل أيضاً على كثير من صور علم المعاني كذلك[1]. أي أنه كان ظهوره مختلطاً بفنون البلاغة الثلاثة.

أما تميز التأليف في هذا العلم تاريخياً كان منذ بدايات العصر العباسي الأول فعبر عنه ابن المعتز بأنه وُجد في أشعار المتقدمين فسماه المحدثون البديع ، ثم قال بأن بعضهم لم يسبقوا إليه كبشار، ومسلم ، وأبي نواس، وقد سماه فناً ، ثم أشار بأنه قد كثُر في أشعارهم حتى عُرف في زمانهم بهذا الاسم ، ثم ذكر أن بعضهم شُغف به كأبي تمام حتى غلب عليه، وأكثر منه، ثم وصف ذلك الإكثار منه بأنه إسراف ، فوقف ابن المعتز في ذلك موقف الدفاع من جانب ، وموقف الناقد من جانب آخر في كتابه[2]. وأن العصر العباسي الأول قد اتسعت الملاحظات البلاغية فيه، ويرجع ذلك لأسباب عدة منها ما يعود إلى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية، ومنها ما يعود إلى بروز طائفتين من المعلمين والمقصود بذلك الاهتمام باللغة والشعر من جانب وبالخطابة والمناظرة ودقة التعبير من جانب آخر ثم بما قام به ابن المعتز بما يخص البديع كشاهد في الكلام[3]. واستمر هذا التميز في التأليف في هذا العلم إلى القرن السابع الهجري وما بعده .

---

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص359.

(2) ينظر كتاب البديع ، عبد الله بن المعتز ، ص1 .

(3) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص19، 21.

المطلب الثاني

رواد التأليف المتخصص في هذا الفن :

رواده تاريخياً كُثُر، منهم من كان تأليفه في البديع مستقلاً، ومنهم من كان تأليفه مُضمناً بين فصول الكتب، ولعلّي أبدأ بأولهم :

أولاً- **ممن كان تأليفه في البديع مستقلاً:** وهو الخليفة العباسي عبد الله بن المعتز المتوفى سنة 296هـ – وقد أشرتُ إليه أنفاً- الذي ألف كتابه وسماه "البديع" وأعود فقط للتدرج التاريخي لهذا التأليف في علم البديع منذ القرن الثالث الهجري تقريباً:

1-**ابن المعتز[1] المتوفى سنة 296هـ وكتابه "البديع":** كانت له مساهمة فريدة، في تاريخ علم البديع، وقد قال ابن المعتز مخبراً عن نفسه –رحمه الله تعالى- في مقدمة كتابه إنه قدم أبواب كتابه (البديع) بعض ما وجده في القرآن الكريم واللغة والأحاديث النبوية الشريفة، وبعض كلام الصحابة رضوان الله عنهم جميعاً، وكذلك الأعراب وأشعار المتقدمين التي سمَّاها المحدثون البديع، وكان يريد أن يوضح أن بعض الشعراء مثل بشار ومسلمٍ ومن قلدهم أنهم لم يسبقوا إلى هذا الفن (البديع) ولكنه كثر وجوده في أشعارهم فساهموا بدورهم في تعريفهم للناس له، ونشره مع الشعر في زمانهم فعرفه الناس بهذا الاسم فقط، وهذا دورهم[2].

وكأن ابن المعتز ينكر دورهم في إيجاد وتأليف البديع كابتكارهم له، بل يرجعه إلى أصحابه المتقدمين من المؤلفين، ويؤكد ابن المعتز أن البديع عنده في كتابه لا يزيد عن خمسة أبواب مشروحة وموضحة بالأمثلة، ويبدو أنه تعمد الاقتصار عليها

---

(1) هو: عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن الرشيد العباسي، أبو العباس، خليفة يوم وليلة، ولد في بغداد، وأولع بالأدب، وصنف كتباً منها "الزهر والرياض" وكتاب "البديع"، و"طبقات الشعراء"، توفي سنة 296هـ. ينظر ترجمته في الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر ، مصر ، القاهرة ، 374/10، ومعاهد التنصيص، عبد الرحيم بن العباسي ، 38/2، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، 258/1 ، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 398/2 ، في الأعلام، للزركلي، 118/4.

(2) ينظر كتاب البديع، لعبد الله بن المعتز ، ص1.

وهي : الباب الأول عنده من البديع وهو الاستعارة [1]، أما الباب الثاني من البديع التجنيس[2]الباب الثالث وهو المطابقة[3] والباب الرابع من البديع عنده رد أعجاز الكلام[4] والباب الخامس عنده المذهب الكلامي[5] فكتابه البديع كان من الكتب المختصة بهذا الفن ولهذا حمل عنوانه ليعبر عن مضمونه، وكان البديع فيه كما صرح بالقول: "قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكمل عندنا"[6]، ويقول في موضعٍ آخر منه: "ويعلم الناظر أنَّا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختباراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيقٍ في المعرفة"[7]. أراد القول بأن عمله هذا لا يحتاج إلى الإضافة ، وهذا التحديد لتلك الأبواب لم يصدر عن جهل منه إنما لمعرفة محاسن الكلام ، ثم خصص الخطاب لأهل العلم والمعرفة فقال : "فلا يعرفون هذا الاسم يقصد البديع ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البديع ولا سبقني إليه أحدٌ وألّفتُه سنة أربعٍ وسبعين ومائتين للهجرة، وأول من نسخه مني عليّ بن هرون بن يحيى بن أبي المنصور[8] " [9]، وقال بأنه ذكر بعض محاسن الكلام والشعر وهي كثيرة لا ينبغي لأحدٍ الإحاطة بها حتى يتبرّأ من شذوذ بعضها عن عمله وذكره، وقال هذا اقتصارنا على هذه الخمسة الفنون للبديع، فمن أراد الاقتداء فليفعل، ومن أراد الإضافة لهذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع فله اختياره، وهذا يعد اعترافاً وإقراراً من المؤلف إلى القارئ والدارس

---

(1) ينظر كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز ، ص3 .

(2) ينظر كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز ، ص25 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص36 .

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص47 .

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص53 .

(6) المصدر نفسه ، ص57.

(7) المصدر نفسه، ص58.

(8) هو: علي بن يحيى بن أبي منصور، نديم المتوكل العباسي، كان راوية للأشعار والأخبار، وشاعراً محسناً، توفي بسامراء سنة 275هـ ورثاه عبد الله بن المعتز، كان أبوه فارسي الأصل، أسلم على يد المأمون، وله كتاب الشعراء القدماء الإسلاميين. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 373/3، والأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، 369/8، وفي معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، 144/15 الأعلام، للزركلي ، 31/5.

(9) كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز ، ص58.

والناقد بشيء من النظر العلمي[1]. وإشارةً منه إلى توضيح تلك المحاسن في كتابه أن "الخمسة الأبواب عند ابن المعتز هي عبارة عن فنون البديع ، ويجعل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر فيقول إنها كثيرة ولا يرى حرجاً في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع وذكر منها ثلاثة عشر نوعاً وهي : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ، تجاهل العارف ، الهزل الذي يراد به الجد، حسن التضمين ، التعريض والكناية ، الإفراط في الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم ما لا يلزم ، حسن الابتداء[2] وقد بيّن المؤلف خلالها أنه مكتفٍ بهذه الأبواب الخمسة وكان قاصداً ذلك الاقتصار في العدد ولم يكن ناسياً غيرها كما هو واضح من المضمون. وقال ابن أبي الإصبع : "ابن المعتز قد غلّب اسم البديع على اسم المحاسن ، فسمى كتابه "البديع" وهو جامعٌ لهما معاً فاقتدوا به ، لأنه المخترع الأول للتصنيف ، فسمى كل من وضع كتاباً في ذلك باسم إما مصرّح بالبديع أو راجع معناه إليه "[3] وقد عرف ابن المعتز البديع بقوله : "إنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يُعرفْ بها من شيء قد عُرِفَ بها"[4]. ومن جهة أخرى فإنه لا مفر من أن أتي بختام لكلام ابن المعتز حين يخبر عن غرضه من هذا التأليف "البديع" ليضعه بين يدي القارئ قائلاً: "وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع"[5]. وهذا يشير إلى أن القدامى أسبق وأحق بهذا العمل من المحدثين على حد قول ابن المعتز. ويشير عبد العزيز عتيق بصدد الريادة في تأليف هذا العلم مؤكداً " إن ابن المعتز هو واضع أساس علم البديع"[6]. ومن خلال كلام ابن المعتز في كتابه يتضح أن البديع عنده يعني البلاغة بالمعنى الشامل لفنونها

---

(1) ينظر كتاب البديع ، لعبد الله بن المعتز ، ص57.

(2) ينظر البديع لأبي العباس عبد الله بن المعتز ، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان،ط1 ، 1410هـ ، 1990م ، ص22 .

(3) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص87 .

(4) البديع ، لابن المعتز ، ص2 .

(5) المصدر نفسه ، ص3.

(6) في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ، ص45.

الثلاثة دون فصل بينها ، وأنه فصل في مسألة سبقه لهذا التأليف بل حتى زمن تأليفه لم ينسه ليضع به الانطلاقة للتأليف في علم البديع .

2- **من رجال البديع أسامة بن منقذ[1] المتوفى سنة 584هـ:** هو من عائلة عريقة في مجال الأدب لاسيما الشعر، وكذلك في السياسة وأمور الحكم، ومن عنوان كتابه " البديع في نقد الشعر" يُعرف أنه اهتم بالبديع ويعد الرجل الثاني في البديع، ومساهمته فيه جمع الكثير من المحسنات الشعرية، وما تفرق من كتب العلماء السابقين المصنفة في نقد الشعر وذكر محاسنه وعيوبه، ولم يكن مُدعياً الابتداع في شيء بل يُفهم من موقفه العلمي أن لهم فضيلة الابتداع، وله فضيلة الإتباع منهم على سبيل المثال : ابن المعتز وكتابه البديع ، وأبو هلال العسكري وكتابه الصناعتين ، وابن رشيق وكتابه العمدة. [2]، ويتكون كتابه من أبواب بلاغية عديدة كما مصرح به بعبارة : " فيكون جملة ما اشتمل عليه كتابنا هذا خمسةً وتسعين باباً "[3]، ذكر فيه جملةً من أبواب البلاغة ليست مرتبة الترتيب الحديث ، فكتب في علم المعاني أبواباً عدة، وأخرى من علم البيان، والباقي من الأبواب خصها مندرجة تحت علم البديع كما مرتبةً حديثاً ، وهذا ما أسهم فيه أسامة بن منقذ في البديع الذي قصد به فنون البلاغة الثلاثة .

3- يحيى بن مُعطي[4] المتوفى سنة 628هـ : وكتابه "**البديع في علم البديع**": في الواقع إن عمل بن معطي هو في الأصل منظومة في محتواها أنها تشتمل على سبعة

---

(1) هو: أسامة بن مرشد بن مقلد بن نصر ، بن منقذ بن محمد بن سوار بن زياد بن قحطان ، ويكنى أبا المظفر، ويلقب بمؤيد الدولة وهو أشعر قومه ، توفي سنة 584 هـ ، ودفن بجبل قاسيون ، وله من الكتب "بديع نقد الشعر". ينظر ترجمته في معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، 100/2 ، ووفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 195/1 ، والوافي بالوفيات، لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط ومن معه، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، سنة 1420هـ، 2000م، 174/8 .

(2) ينظر البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ، ص8 من مقدمة كتابه .

(3) المصدر نفسه ، ص11 مقدمة كتابه .

(4) هو: يحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، أبو الحسين، زين الدين، عالم بالعربية والأدب، نسبته إلى قبيلة زواوة (بظاهر بجاية في إفريقية) سكن دمشق زمناً، وأشهر كتبه (الدرة الألفية في علم العربي) وكتاب (البديع) توفي سنة 628هـ. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان، 197/6 ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس، 245/1 ، وشذرات الذهب ، للحنبلي ، 231/5 الأعلام، للزركلي 155/8.

وتسعين ومائتي بيتاً، تناول في منظومته ثمانية وأربعين فنًّا بديعياً[1] وهي بديعية بلاغية كباقي البديعيات المعروفة التي أسلفتُ الحديث عن بعضها في مواضعها من هذا البحث، ولعله أحد الأوائل في نظم أنواع البديع في قصائدهم وإن لم يكن أولهم بقصيدة مؤلفة من أبيات يذكر فيها شواهد البديع، وقد سمى قصيدته "البديع في علم البديع"[2] ، وهذا يعني أنه أحد السابقين في هذا الفن وأن البديع عنده عبارة عن مجموعة قصائد بديعية تشتمل على عدد من فنون البديع في القرن السابع الهجري.

4- التيفاشي المغربي المتوفي سنة 651هـ: أحد أنصار البديع، وأسهم فيه بعمله فبلغ فيه سبعين نوعاً من المحسنات البديعية[3]. وهذا تأكيد على أنه أحد مؤلفي علم البديع في القرن السابع الهجري. فهؤلاء كانوا من الذين ألفوا في علم البديع مستقلاً .

ثانياً- الذين ألفوا في علم البديع مضمناً في فصول مؤلفات أخرى : من هؤلاء على سبيل المثال من أهل القرن الرابع الهجري:

1 _ قدامة بن جعفر[4] المتوفى سنة 337هـ وكتابه "نقد الشعر": الذي أشار إليه ابن أبي الإصبع في كتابه التحرير عندما قرنه مع ابن المعتز ووصفهما معاً بأنهما أول من عُني بتأليف البديع[5]. وهذا يعني أن قدامة مصنف من أوائل مؤلفي علم البديع، وله بصمة في ذلك التأليف كما يشير إليه بعض البحاث على حد قولهم: "وأما قدامة

---

(1) ينظر البديع في علم البديع، ليحيى بن معطي، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، راجعه مصطفى الصادق الجويني ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،ط1، 2003م، ص40.

(2) ينظر كتاب طراز الحُلة وشفاء الغُلة، لأبي جعفر شهاب الدين الغرناطي ، ص32.

(3) ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاجي خليفة، مج233/1.

(4) هو قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله، أيام المطيع، من أشهر كتبه "كتاب نقد الشعر" توفي سنة 337هـ، ينظر ترجمته في معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لأبي عبد الله ياقوت الرومي الحموي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1411هـ، 1991م، 8/5. والوافي بالوفيات، لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط ومن معه، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، سنة 1420هـ، 2000م، 41/7، والأعلام، للزركلي، 191/5، وتاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، للمراغي ص80.

(5) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص83.

فقد جاءت مساهمته مع ابن المعتز في وضع الأساس من طريق غير مباشر"[1]. ويعني بذلك أساس علم البديع كما كان الحديث عنه، وفي كتاب قدامة "نقد الشعر" وضمن ما تكلم عنه هو المحسنات البديعية والتي منها تأليف موضوعه عندما تحدث عن اللفظ والمعنى ومسألتي الحسن والقبح في الكلام وصناعة الشعر خصوصاً وكذلك الجودة والرداءة والوسائط التي تكون بينهما وقد تكلم كثيراً عن ذلك[2]. أما من حيث عدد المحسنات البديعية عند قدامة إشارة لها: "والمحسنات البديعية التي عرض لها قدامة في تضاعيف كتابه بلغت أربعة عشر محسناً بديعياً"[3] ، ومن مؤلفاته الرائعة كتاب "نقد النثر" الذي أجاد فيه في البيان والنثر وتحليل الكلام، ومنه التطرق إلى أنواع البديع حتى قيل فيه: "واجتهدوا أن يضيفوا أنواعاً من البديع جديدة إلى العشرين التي ضمنها قدامة كتابه"[4]. وهذا دليل على أن قدامة قد جعل من الأنواع البديعية محض الدراسة والاهتمام، وتعرضه للمحسنات البديعية التي ركز عليها في تأليفه .

2- **أبو هلال العسكري**[5] **المتوفى سنة 395هـ وكتابه "الصناعتين"**: كان ظهوره في القرن الرابع الهجري مع قدامة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "الصناعتين الكتابة والشعر"، أما اجتهاده في البديع وبصماته عليه أنه ذكر في كتابه خمسةً وثلاثين نوعاً أو فصلاً للبديع [6] ثم علق في كتابه إزاء الأنواع البديعية فقال : " فهذه أنواع البديع التي ادعى

---

(1) في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، ص151.

(2) ينظر نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى ،مكتبة الخانجي ، مصر ، القاهرة ،ط3، 1398 هـ، 1978م ، ص18.

(3) في تاريخ البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، ص151.

(4) كتاب نقد النثر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ترجمة عبد الحميد العبادي، لطه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 1402هـ-1982م، ص19.

(5) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال؛ عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى "سكر مُكرَم" من كور الأهواز، من كتبه "التلخيص" في اللغة، وكتاب "الصناعتين"، توفي سنة 395هـ. ينظر ترجمته في معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، 562/2، وفي بغية الوعاة، للسيوطي، ص221 ، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، 507/3 ، والأعلام، للزركلي، 196/2، وتاريخ علوم البلاغة، للمراغي، ص92 .

(6) ينظر كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري ، ص293.

من لا رويّة له ولا رواية عنده أن المحدثين ابتكروها وأن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة "[1] فأبو هلال العسكري ينفي أمر هذا الادعاء والتقصي غير الحقيقي والذي يخل ويسيء بمجهودات القدامى، أما عن اجتهاده وما أضافه هو للبديع فهو يعدده ويصنفه في كتابه قائلاً: "وقد شرحتُ في هذا الكتاب فنونه وأوضحت طرقه، وزدتُ على ما أورده المتقدمون ستة أنواع: التشطير، والمجاورة، والمضاعف، والتطريز، والاستشهاد، والتلطف، وشذبتُ على ذلك فضل تشذيب"[2]. فأبو هلال العسكري يرجع إطلاق مفهومه للبديع على فنون البلاغة الثلاثة وكان كلامه ما يخص بالدرجة الأولى الشعر والنثر، مع بصمات بلاغية من البديع ذكرها في كتابه "الصناعتين" وصلت خمسةً وثلاثين نوعاً أو فصلاً للبديع مرتبة ومخصصاً لها باباً يضمها[3]. هذا بإيجاز ما يخص أبي هلال العسكري وما ألفه مساهمة منه في البديع ضمن فصول كتابه.

3- **ابن رشيق القيرواني[4] المتوفى سنة 456هـ وكتابه "العمدة"**: برز من مؤلفاته "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، ويعد ابن رشيق من المؤلفين القدماء ، وله مقولة رائعة بخصوص التضامن في العمل، والاجتهاد بين القدامى والمحدثين قائلاً: "وإنما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين: ابتدأ هذا بناءً فأحكمه وأتقنه، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن"[5]. فابن رشيق تكلم في كتابه " العمدة " عن عدة موضوعات وضعها تحت أبواب مرتبة،

---

(1) كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري ، ص294.

(2) المصدر نفسه ، ص294 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص294.

(4) هو: أبو الحسن بن علي بن رشيق الأزدي القيرواني، ولد سنة 390هـ، في المحمدية، وكان أبوه صائغاً، مات سنة 456هـ، ينظر ترجمته في تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، 343/5، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي، 70/3، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، للحنبلي، 479/3، وبغية الوعاة، للسيوطي، ص220، وتاريخ علوم البلاغة، للمراغي، ص95.

(5) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، 81/1.

كما أورد أنواعاً عدة من البديع، التي بلغت تسعةً وعشرين نوعاً[1]، فمنها ما كان لغيره ومنها ما كان من اختراعه، أما عن مفهومه للبديع فيتضح أنه أطلقه على سائر فنون البلاغة .

4- **السكاكي[2] المتوفى سنة 626هـ:** اشتهر بكتابه "مفتاح العلوم" الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام : فالقسم الأخير من كتابه وهو الخاص بالبديع أو تحسين الكلام وتزيينه، فإنه يقسم ذلك إلى قسمين: قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ ، وأخذ يورد من كل قسم أنواعه، ويمثل لها بأمثلة، شارحاً معانيها ومقاصدها، ومقتضيات أحوالها، فمن القسم الأول من البديع المعنوي أورد السكاكي الأنواع البديعية التالية: المطابقة، والمشاكلة، ومراعاة النظير، والمقابلة ومنه المزاوجة، واللف، والنشر، والجمع، ومنه التفريق، والتقسيم، والجمع مع التفريق، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التفريق والتقسيم، والإبهام، وفيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، والتوجيه، وسوق المعلوم مساق غيره، والاعتراض، والاستتباع، والالتفات، ومنه تقليل اللفظ ولا تقليله، وكذلك من البديع اللفظي، التجنيس بأنواعه، والاشتقاق، ورد العجز إلى الصدر، ومنه ما يسمى بالقلب، والسجع، والترصيع، هذه هي الأنواع البديعية التي أوردها السكاكي في كتابه "المفتاح" في قسمه الأخير منه[3].

وبهذا يكون مجموع الأنواع البديعية عنده خمسةً وعشرين نوعاً فقط لأنه كان ينصب اهتمامه بالدراسة والبحث على المعاني والبيان دون البديع، لأنه لم يكن يعده علماً مستقلاً قائماً بذاته، ولم يتعامل معه كالفرعين الآخرين في دراسته، والبصمة

---

(1) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني ، 144/1 وما بعدها .

(2) هو : يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب سراج الدين ، عالم بالعربية والأدب ، مولده ووفاته بخوارزم ، توفي سنة 626 هـ من كتبه مفتاح العلوم . ينظر ترجمته في شذرات الذهب ، للحنبلي ، 122/5 ، وتاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، 248/5 ، وتاريخ علوم البلاغة العربية والتعريف برجالها ، للمراغي ، ص110 ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للحافظ جلال الدين السيوطي، دار الفكر ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، سنة 1399هـ ، 1979م ، مج364/2 . الأعلام ، للزركلي 222/8

(3) ينظر مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف السكاكي، حققه وقدم له وفهرسه، عبد الحميد هنداوي ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 1420هـ-2000م، ص532-542.

العلمية التي حسبت له هي نظرته إلى المحسنات البديعية وتقسيمها إلى معنوية وأخرى لفظية[1]. والأنواع التي ذكرها السكاكي لم تكن جديدة ومبتكرة، ولكن ذكرها عن سابقيه، ولم يزد عليها فكانت كذلك مع استبعاده بعض الأنواع التي جعلها من البيان كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وقد يكون سبب اقتصار السكاكي على تلك الأنواع البديعية فقط يرجع إلى الذوق والقدرة على التمييز، والتفضيل بين محسن بديعي وآخر. وأما قصده بالبديع فقد قال : " فههنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام "[2]. ولهذا فإن السكاكي لم يكن مخترعاً أو مبتكراً للأنواع البديعية بقدر ما هو ناقل لها، مع مشاركته إياها في العلمين الآخرين مع الشرح والتوضيح، وهذه في حد ذاتها تعد مساهمة منه في علم البديع الذي ألحقه في القسم الثالث من كتابه، إلا أنه فضل الاقتصار على أنواعه تلك وهذا يدل على شخصيته الأدبية وإبراز رأيه العلمي .

إذاً الفرق بين فنون البديع عند كل من ابن المعتز البديع عنده خمسة أبواب أو فنون ، وعند قدامة بن جعفر الفنون البديعية عشرون نوعاً ، أما أبو هلال العسكري فعنده وصل عددها إلى خمسة وثلاثين نوعاً ، والباقلاني جمع منها ستة عشر نوعاً ، أما عند ابن رشيق القيرواني فكان عددها تسعة وعشرين نوعاً ، وعند السكاكي خمسة وعشرون نوعاً ؛ أي أن الفنون البديعية عندهم مختلفة العدد فيما بينهم إلا أن مفهوم البديع عند كل منهم متشابه ، إذ أنهم يعنون به فنون البلاغة الثلاثة ، ولكنهم اشتركوا التأليف في البديع بوجه عام .

---

(1) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص533 وما بعدها .

(2) مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص532 .

المبحث الثالث

التأليف في بديع القرآن الكريم

المطلب الأول – الكتب التي أُلفت في بديع القرآن الكريم قديماً وحديثاً

المطلب الثاني – الكتب التي جاء الحديث عن بديع القرآن الكريم فيها عرضاً

المطلب الثالث – موقف العلماء من الشعراء الذين أكثروا من البديع في شعرهم ودور علم البديع في الأسلوب

المطلب الرابع _ ذاتية أو عرضية الحسن في البديع
ومسألة تقسيمه إلى لفظي ومعنوي

المطلب الأول

الكتب التي أُلفت في بديع القرآن الكريم قديماً وحديثاً :

استعرضُ الكتب التي أُلفت في بديع القرآن الكريم بصورة عامة من كان كتابه خاص ببديع القرآن، أو من تناول بديع القرآن عرضاً .

أولاً _ الكتب التي أُلفت فيه قديماً :

1 _ كتاب بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري المتوفى سنة 654هـ: هو كتاب أُلف لغرض دراسة البديع في القرآن الكريم ، وعلى الأرجح أنه لم يؤلَّف غيره في هذا التخصص لا سيما فيما قبله – وقد تحدثتُ عنه مفصلاً في الفصل الأول– الذي عبر عنه ابن أبي الإصبع في مقدمته له عند حديثه عن البديع ومؤلفيه ثم استرسل كلامه بأن قال رأيتُ أن أضيف إلى ذلك فذلكةً يقصد من ألف في البديع قبله ثم قال عن تلك الفذلكة أنه مخرج أسمائها ومستخرج شواهدها ثم بين أنه لم يُسبق في واحدٍ وثلاثين باباً مستنبطاً إياها ثم واصل كلامه بأن صارت تلك الفذلكةُ مائة وستة وعشرين باباً كلها في كتابه الجامع لبديع جميع الكلام الموسوم "بتحرير التحبير" ثم بين كيف تم عمله بهذا الكتاب وقد علم أنه لابد له من تتمة تتضمن ما في الكتاب العزيز من أبواب البديع، فيصرح بأنه أفرد بالبديع ما يختص بالقرآن الكريم، فكان ذلك مائة وثمانية أبواب مفصّلاً ذلك بالأمثلة والشواهد القرآنية والشعرية أيضاً[1].

هذا بإيجاز عما قام به ابن أبي الإصبع من عمل في تأليفه لعلم البديع بالشكل الذي ظهر به، كما سبق الكلام عنه في موضعه آنفاً ، أما من ناحية التأليف في بديع القرآن خاصةً فإنني لم أجد على ما بحثتُ مَنْ ألّف في هذا المجال ممن سبق ابن أبي الإصبع غيره ، أي أنه لا أحد ألّف في بديع القرآن عدا ابن أبي الإصبع (أي منذ بداية التأليف في هذا العلم إلى زمنه) ، وبذلك تكون له الرِّيادةُ في هذا التأليف .

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص15 من مقدمة المؤلف .

2 _ كتاب البرهان في علوم القرآن، للزركشي[1] المتوفى سنة 794هـ: يقول محمد أبو الفضل إبراهيم عن هذا الكتاب إنه: "أول كتاب صُنف مستقلاً في هذا الفن، كتاب البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي"[2]. ويقول الزركشي في مقدمة كتابه عبارات معبرة عن بلاغة القرآن الكريم وفصاحته وإعجازه وضمن ما قال: "بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوتْ كل البيان جوامعه وبدائعه، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه، وقسم لفظه ومعناه"[3]. والمقدمة تطول وفيها يعرض المؤلف محتوى كتابه وكان مركزاً في تعبيره على الجوانب البلاغية ولاسيما منها البديعية، فتكلم عن المجاز وأنواعه والكناية والتعريض والاستفهامات بأنواعها، وعن أساليب القرآن الكريم وفنونه البليغة[4]، ثم عاد وفصّل تفصيلاً في عدة فصول من كتابه في أنواع بديعية عديدة مثل الالتفات بمباحثه والتشبيه وأنواعه والاستعارات، والمقابلة بأنواعها[5]. أي أن جزأين من أربعة أجزاء في كتابه تحدث فيها عن الأنواع البديعية في القرآن الكريم، وقد توسع في الشرح فيها، مع الشواهد البلاغية القرآنية، ولهذا اختص كتابه بالتأليف في البديع في القرآن الكريم. ولم أجد فيما بحثّتُ غير هذين الكتابين تأليفاً في البديع في القرآن الكريم .

---

(1) هو: محمد بن بهادرُ بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، مصري المولد والوفاة، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، توفي سنة 794هـ. ينظر ترجمته في شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، ج85/7، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاجي خليفة، 226/1، والإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، 7/1. في الأعلام، للزركلي، 60/6.

(2) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، 7/1.

(3) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، سنة 1988م، 4/1.

(4) ينظر المصدر نفسه ، 256/2 وما بعدها.

(5) ينظر المصدر نفسه، 314/3 وما بعدها.

ثانياً ـ الكتب التي أُلفت في بديع القرآن الكريم حديثاً :

كتب اختص التأليف فيها بموضوع البديع في القرآن الكريم في العصر الحديث منها على سبيل المثال:

1- كتاب "البديع وإعجاز القرآن" :

أُلِّف في البديع ، ودُرِس فيه الشائع منه بين الناس، ومنهج البلاغيين والتمييز بين البديع القرآني والبديع في كلام الناس، كذلك مسألة الكشف عن مظاهر الإعجاز البلاغي، ويبحث أيضاً في بديع القرآن الكريم، ثم يخلص إلى أهم النتائج التي وصل إليها البحث[1]. فالمؤلف حاول ربط العلاقات العلمية وإيضاحها بين البديع المعروف بين الناس وفي كلامهم وبين البديع في القرآن الكريم، من حيث مظاهره البلاغية وإعجازه من خلال الآيات القرآنية ومعانيها، ودراسة جوانبها، ودراسته هذه أقرب ما تكون لدراسة ابن أبي الإصبع في كتابه "بديع القرآن" فالأخير دراسته جاءت أكثر تخصيصاً في مادته العلمية.

2- كتاب "في رياض البديع القرآني وكلام العرب":

ألفه صاحبه في البديع القرآني وكلام العرب، هذا الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات نسقها المؤلف في كتاب واحد درس خلالها علم البديع كفن من فنون البلاغة الثلاثة ومحاولة وضعه مكانه الصحيح باعتباره علم كأخويه السابقين (المعاني والبيان)، فدرس البديع وما يخصه من تعريف وأنواع، ثم تطرق إلى البديع المطبوع، والبديع المتكلف، وتحدث عن بعض مؤلفات البديع وفنونه المختلفة[2]. جمع المؤلف في كتابه هذا بين ما كان مختصاً بالبديع في آيات الله عز وجل محاولاً استجماع أنواع البديع وبين ما كان في شعر ونثر الناس فكان كتاباً في البديع.

---

(1) ينظر البديع وإعجاز القرآن، محمد أحمد عثمان ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ، مصر،ط1، 1411هـ، 1991م، ص1-6.

(2) ينظر كتاب في رياض البديع القرآني وكلام العرب، محمد السيد البدوي المرسي، جامعة الأزهر، مصر، سنة 1417هـ، 1996م، ص1، 2.

3- كتاب "من روائع البديع في القرآن الكريم" :

درس المؤلف في كتابه هذا بعض روائع البديع في بعض آيات الله عز وجل، ثم بحث في مفهوم البديع في القرآن الكريم وفي الشعر العربي وبعض آراء البلاغيين والنقاد[1] ومن خلال تلك الدراسة عن المؤلف في البديع وأنواعه من محسنات بديعية لفظية ومحسنات بديعية معنوية وصل بها عدداً إلى ثلاثةٍ وعشرين نوعاً منها اللفظية نحو سبعة أنواع[2] والمحسنات المعنوية نحو ستة عشر نوعاً[3] مع توضيحه لتفصيلاتها بالأمثلة والشواهد المختلفة.

هذا سرد من جهة المثال فقط لا الحصر للكتب التي أدرجتُها تحت كتب البديع المتخصص التي درست البديع في آيات القرآن الكريم وما حوته الآيات الكريمة من معانٍ عظيمة، حتى وإن أُكْتُفِي بالنظر إلى عناوينها فإنها اختصت بمضمونها .

(1) ينظر كتاب من روائع البديع في القرآن الكريم، أحمد عبد المجيد محمد خليفة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، سنة 2002م، ص5.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص31 وما بعدها.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص118 وما بعدها.

المطلب الثاني

أولاً- كتب جاء الحديث عن بديع القرآن الكريم فيها عرضاً :

_ **كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي[1] المتوفى سنة 911هـ:** الذي قال عنه محقق الكتاب: "وكتابه الإتقان في علوم القرآن هو الحلقة الذهبية في سلسلة كتب الدراسات القرآنية، وأحسنها تصنيفاً وتأليفاً وأكثرها استيعاباً وشمولاً، جمع فيه من أشتات الفوائد، ومنثور المسائل ما لم يجتمع في كتاب"[2]. وهذا دليل على أن الكتاب مفيد جداً وله أهمية علمية .

ويقول السيوطي ضمن ما جمعه من الكتب لتأليف هذا الكتاب ذكر كتباً كثيرةً وفي مجالات عديدة منها الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة، وعدَّدها كلها في كتابه[3]. وهذا يشير إلى أن المؤلف قد استعان بكتب البلاغة الكثيرة، وأنه تطرق إلى أبواب البلاغة، أما بالنسبة لتأليفه في علم البديع فإنه خصص له في كتابه فصلاً كاملاً بلفظ "في بدائع القرآن" وذكر فيه أولاً ما أورده ابن أبي الإصبع في كتابه "البديع" من أنواع البديع التي بلغت المائة وذكرها جملةً ثم أورد السيوطي أنواعاً من البديع من عنده مدعياً أنها لا توجد مجموعة في غير هذا الكتاب وعددها بالشرح والأمثلة وقد بلغ عدد التي ادعاها نحو اثنين وأربعين نوعاً من البديع[4]. وبهذا العدد من أنواع البديع الذي ادعاه ونقله من غيره هو في حد ذاته تأليفاً لعلم البديع بل وإنه البديع المتخصص الذي أطلق عليه "بدائع القرآن" في فصل من فصول كتابه الإتقان .

أيضاً ظهرت شخصيته كواحدة من الشخصيات في عالم القصائد البديعية أو النظم

---

(1) هو: جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ همام الدين السيوطي الشافعي، ولد سنة تسع وأربعين وثمانمائة للهجرة، وكان عالم زمانه في الحديث وله مصنفات كثيرة، توفي 911هـ . ينظر: ترجمته في شذرات الذهب ، للحنبلي ، 87/8، والأعلام، للزركلي ، 302/3، وتاريخ علوم البلاغة ، للمراغي، ص171، وخزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر ابن حجة الحموي، المقدمة، 194/1، والكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة، للشيخ: نجم الدين الغزى، حققه جبرائيل جبّور، دار الثقافة، الناشر محمد أمين دمج وشركاه، بيروت، لبنان، 226/1 .

(2) الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين السيوطي، مج7/1.

(3) ينظر المصدر نفسه، ص19.

(4) ينظر المصدر نفسه ، 249/1 وما بعدها.

الشعري في واقع تميز بهذا الفن، فهو من أصحاب البديعيات وله بديعية تسمى نظم البديع ثم شرحها[1]. إذ حظيت بديعية ابن حجة الحموي وشرحها باهتمام كثير من البلاغيين والنقاد وناظمي البديعيات، فقد انقسم المهتمون قسمين: أحدهما معجب ومؤيد بالبديعية، والآخر معارض وله رأيه، فمن القسم الذي يؤيد بديعية ابن حجة هو السيوطي الذي وجد في نظم بديعية الحموي المثل الذي يقتدي به، فعمد أن يدخل فن البديعيات سائراً في ذلك على منهج ابن حجة الحموي لإعجابه به، ونظم بديعيته مضمونها مدح الرسول ﷺ[2] فالسيوطي هو أيضاً لا يعد من المخترعين والمبتكرين في مجال فن البديع أو المحسنات البديعية، إلا أنه أيد رأياً علمياً ومنهجاً عملياً فسار عليهما ليكون مشاركاً وناظماً لا مجادلاً .

ثانياً- كتب أُلفت حديثاً في البديع ولم ترتكز على بديع القرآن .

فهي كثيرة أذكر منها للمثال لا الحصر:

1- كتاب الصبغ البديعي في اللغة العربية:

يشير مؤلفه في مقدمته أنه بنى فكرته على معالجة علمية من ناحيتين: الأولى مسيرة الصبغ البديعي في اللغة العربية، والثانية دراسة موقعه الذي يليق به بلاغياً، وأنه ينبه عدم الادعاء بالسبق[3]. أي أن ذلك في احتمال أن يكون له السبق في ذلك أو لا يكون، فالمفيد أنه عمل في علم البديع من خلال هذا الصبغ يقوم بدراسة تاريخية وتحليلية لعلم البديع.

2- كتاب في البلاغة العربية (علم البديع):

يوضح مؤلف هذا الكتاب أنه حصيلة لمحاضرات له جمعها في كتاب ألقاها على الطلاب، والكتاب يشتمل على جانبين رئيسيين: الأول يعالج نشأة البديع وتطوره إلى أن وصل بالشرح إلى المراحل التاريخية للبديع حتى صار علماً قائماً بذاته، أما

---

(1) ينظر كشف الظنون، لحاجي خليفة ، 234/1.

(2) ينظر خزانة الأدب، لابن حجة الحموي ، 287/1.

(3) ينظر الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، سنة 1969م، ص5.

الجانب الآخر منه فقد اهتم فيه بدراسة مفصلة وتحليلية لأهم الفنون البديعية بقسميها اللفظي والمعنوي والأثر العلمي والبلاغي لهما في الكلام[1]. فقد عرض المؤلف تاريخ علم البديع نشأةً وتطوراً مع التعريف برجاله ، وكتبهم ومناهجهم فيه ، وكشف أسرار البديع والإحاطة به بحثاً على أنه علم مستقل .

3- كتاب البديع، المصطلح والقيمة: يدور موضوع الكتاب بإيجاز شديد حول مفهوم البديع واستخدامه من قبل أهل البلاغة في أساليبهم وكتاباتهم فقد كان الموضوع محصوراً بين علم البديع تاريخياً ومفهوماً واستخداماً[2]. فكان هذا الكتاب كغيره من كتب البديع من حيث الدراسة بالإضافة إلى توضيح قيمة البديع البلاغية الظاهرة جراء استخدامه في الكلام.

4- كتاب توضيح البديع في البلاغة: هذا الكتاب يدرس البديع وأنواعه، حيث عرض فيه ما يخص البديع من نشأة، ومعنى، وتعديداً لأنواعه ووجوده نثراً ،وشعراً، ثم ذكر المؤلف أنه سماه توضيح البديع في البلاغة الذي اختص بدراسة علم البديع فقد بسط فيه القول، وبذل فيه الجهد على حد تعبيره ونثر كثيراً من متن اللغة ومفرداتها، وزود كتابه بتدريبات تكون عوناً للدارس والباحث[3]. وهذا أيضاً كتاب حديث النشأة والتأليف يُضَمّ إلى قائمة كتب البديع حديثاً التي عنت بدراسة علم البديع وأنواعه، وهو من الكتب المختصة بعلم البديع عموماً، كما وجد في القرآن الكريم والشعر .

5- كتاب علم البديع رؤية جديدة: بداية الكتاب تقليدية كما في الدراسات السابقة التي عُرفت بين كتب البديع ولكن الجديد فيه هو ما بعد البداية فقد تعرض المؤلف في بحثه إلى عدة موضوعات هامة منها البديع والنقد[4] حيث عرضه المؤلف من الناحية

---

(1) ينظر في البلاغة العربية (علم البديع)، عبد العزيز عتيق، ص6.

(2) ينظر كتاب البديع المصطلح والقيمة، عبد الواحد علام، الناشر، مكتبة الشباب، مصر، سنة 1989م، ص13.

(3) ينظر كتاب توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، ط1، سنة 1997م، ص5.

(4) ينظر كتاب علم البديع رؤية جديدة، أحمد أحمد فشد، مطبعة الجمهورية، الإسكندرية، مصر، ط2، سنة 1999م، ص37.

النقدية، أيضاً درس البديع كفن عربي[1]، وفي فصل آخر درس مكانة علم البديع بين علوم البلاغة[2] وقد أحاطها بمراتب خمس وبيّن بالتعليل والشرح مقاصدها من الكتب الحديثة في علم البديع .

فهذه باقة صغيرة من كتب البديع الحديثة عهداً من حيث التأليف وهذا غيض من فيض مما وقع بين يديّ من الكتب التي تدرس علم البديع والأكثر منها ما لم يقع بين يديّ ولم أقف عليه، وما ذكرتُ منها لم يكن حصراً بقدر ما كان مثالاً لها فقط للتدليل على التأليف الحديث لعلم البديع والتعرف على بعض مؤلفات هذا الفن في العصر الحديث ومؤلفيها .

(1) ينظر كتاب علم البديع رؤية جديدة ، أحمد أحمد فشد ، ص47.

(2) ينظر المصدر نفسه، ص53.

المطلـب الثـالـث

موقف العلماء من الشعراء الذين أكثروا من هذا الفن في شعرهم ، ودور علم البديع في الأسلوب .

أولاً _ موقف العلماء من الشعراء الذين أكثروا من هذا الفن في شعرهم .

كثير من علماء البلاغة الذين كتبوا وأدلوا بآرائهم حول إكثار الشعراء من البديع كفن في شعرهم والمقصود بالشعراء هنا هم الشعراء العباسيون، ومن الذين تكلموا حول هذا الموضوع ابن رشيق القيرواني عندما أبدى رأيه في أبي تمام والبحتري وابن المعتز ومسلم بن الوليد محاولاً تقييم ما رأوه حول بعض الشعر معبراً عن رأيه ومحللاً كلام الشاعر بأن استطرف ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين من القصيدة يستدل بذلك على جودة شعر الرجل، وصدق حسه، فأما إذا كثر حسب رأيه فيصبح ذلك عيباً يشهد بخلاف الطبع، وإيثار الكلفة، ثم ساق الحديث متضمناً أشعار حبيب والبحتري وغيرهما فقال قد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها: فأما حبيب فيميل إلى مرونة اللفظ، مع التصنيع المحكم طوعاً وكرهاً، ويطلبه بكلفة، ورأيه في شعر البحتري أنه أفلح صنعةً فيسلك السهولة في الكلام ولا يظهر عليه كلفة ولا مشقة، وقال: ما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز فإن صنعته خفية لا تظهر، وهو عند ابن رشيق ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً، وأن مسلماً أسهل شعراً من حبيب، وأقل تكلفاً وهو أول من تكلف البديع من المولدين، وأخذ بالصنعة وأكثر منها[1]. فابن رشيق القيرواني عندما أدلى بدلوه بساحة شعر مثل هؤلاء الشعراء كان قد حدد موقفه العلمي إزاء الإسراف والتكلف في فن البديع في شعرهم وكأنه يكره وفرته دون تحبيب.

أما الآمدى وموقفه حول قضية الخصمين (أبو تمام والبحتري) أن أبا تمام يقال عنه إنه انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه إماماً متبوعاً، وسلك الناس نهجه، ومن جهة البحتري أن الأمر ليس في الاختراع لهذا المذهب على ما وصف ولا هو بأولٍ فيه ولا سابق إليه بل سلك في ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه، وليس ذلك فقط بل كان مفرطاً

---

(1) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1/111، 112.

ومسرفاً فيه بل زال عن الطريق المعروف آنذاك، ومن جهة أخرى فإن مسلماً أيضاً لم يكن مبتدعاً لهذا المذهب، ولا أول فيه ولكن له رواية علمية وعملية في الأنواع التي وقع عليها اسم البديع، وهي التي ذكرها كالاستعارة والطباق والتجنيس التي كانت قد وُجدتْ من قبل في أشعار المتقدمين، فكان مسلمٌ قد قصدها بل أكثر منها في شعره[1]. أيضاً الآمدى يشير إلى التحذير من الإسراف والتكلف بالبديع في الشعر من خلال هذين الشاعرين أبي تمام والبحتري ويؤكد رأيه هذا.

وابن سنان الخفاجي عند حديثه عن الشعر وأسلوبه تطرق إلى رأي الخليل بن أحمد واستحسانه لمسألة التجميل والتزيين في الشعر إذا قلّ وإذا كثر قبح عنده، ثم تكلم عن الكلام المنثور ففضل منه التساوي في فصوله، أو يكون الثاني أطول منه في الأول، وعن اجتماع الكتَّاب على هذا، وذكر استقباح إطالة الفصول فيظهر في الكلام المتكلف الذي يخل بالمعنى، ثم تحدث عن التناسب بين الألفاظ المجانس وفضله عندما يقع في بعض المواضع بقليله غير متكلف ولا مقصود في نفسه، وقال بأن المتقدمين من العرب قد استعملوه في أشعارهم، وقد جاء المحدثون بعدهم فظهر مسلم بن الوليد الذي أكثر منه[2]. ثم يعود ابن سنان لمسألة التكلف في صناعة الشعر إلى مسلم بن الوليد فيقول ما قيل عنه: "إنه أول من أفسد الشعر، وجاء أبو تمام حبيب بن أوس بعده فزاد على مسلم في استعماله والإكثار منه، حتى وقع له الجيد والرديء الذي لا غاية وراءه في القبح"[3]. فالخفاجي يضم رأيه إلى سابقيه حيال التكلف في الشعر واستعمال البديع فيه، وكان موضوعياً في نقده .

وفي دراسة نقدية بلاغية حيال مسألة استخدام الشعر بتكلف لتوظيف البديع فيه فإن إشارة إلى ما يُعنى بالمحسنات البديعية عند أبي تمام عندما أسرف فيها إسرافاً شديداً، والبحتري الذي كاد يلحق بالأوائل ومع ذلك كان يستخدم محسنات بديعية ولكن

---

(1) ينظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدى، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، سنة 1961م، ج14/1.

(2) ينظر سر الفصاحة، لأبي محمد بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1402هـ 1982م، ص193.

(3) سر الفصاحة، لأبي محمد بن سنان الخفاجي، ص193.

دون إسراف أو إفراط، أي أنه كان مقلداً للطريقة القديمة، ولكنه كان يصطنع البديع أيضاً، وبنظرة نقدية في هذين المذهبين المتقابلين، اللذان يسمحان للشاعر باستخدام فنون البديع، إلى مدى الإسراف والمبالغة مما جعل صوت الأنصار يرتفع حتى فُتح باب أمام الخصوم كباب السرقات الشعرية الذي يُعنى بالخوض في معاني وصور بيانية وبديعية، والبحث عن تأثير الأسلاف في شعرهم على من بعدهم، حتى عمد الخلف إلى الأداء الخاص بالتراث الفني الذي ورثوه أداءً جديداً الذي قام على التكلف الذي انتهى إلى تكلف أبي العلاء المشهور في لزومياته، والذين كانوا من قبله لا يبلغون في تكلفهم مبلغه مع استمرارهم في هذا التكلف حتى انبهر بهم غيرهم على أنهم مخترعون، ولكن النقاد والبلاغيين كانوا لهم بالمرصاد بردهم أشعارهم إلى أصولها من الشعر العباسي وغيره[1].

وكأن هذا الرأي علاوةً على الموقف العلمي إزاء التكلف في استخدام الشعر في العصر العباسي يؤيد التأكيد على مسألة التأثير الذي طرأ على من خلف هؤلاء الشعراء وهم الأنصار، وأراد أن ينبه على موضوع التوسع والخروج على معايير الشعر المعروفة من خلال حديثه عن السرقات الشعرية ومضامين المعاني والصور البلاغية.

وفي بعض الآراء إزاء الحديث عن مسألة الإسراف الذي نتج عن الشعراء العباسيين قيل فيه: "حقاً لقد أسرف الشعراء والأدباء في العصور المتأخرة غاية الإسراف في استعمال المحسنات البديعية، إما إعجاباً بها وإما إخفاءً لفقرهم في المعاني، وبهذا انحط إنتاجهم الأدبي"[2]. فقد ربط الباحث صفة الإعجاب الناتجة عن الاقتناع بالعمل فيؤخذ به ويسار عليه، وبالإخفاء المقابل للإعجاب المحتمل وهذا الإخفاء لا يكون إلا نتاج الجهل بالشيء أو نقصه فيعوض بشيء آخر لا يليق بالمقام الأدبي، ربطها الناقد بانحطاط الإنتاج الأدبي الذي هو النتيجة الملاحظة تاريخياً لذلك العمل .

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص120، 121.

(2) في البلاغة العربية "علم البديع"، عبد العزيز عتيق، ص8.

ثانياً – دور علم البديع في الأسلوب:

قد يقود هذا الموضوع إلى إثارة مسألة الذوق البلاغي لدى البعض، الناتج عن الشعر والنثر اللّذَين هما زاد الأدباء والبلاغيين والنقاد، كما عند الجرجاني بتوضيحه لبيان القيمة الفنية للأساليب الأدبية، والتي ربما تكمن في اللفظ أو في المعنى أم أن ذلك ينتج عنهما معاً لإحداث صورة بلاغية جميلة[1] وضمن الكلام عن البلاغة وصورها ثمة إشارة إلى فروع البلاغة للتأثير في الذوق الأدبي والبلاغي وأُضيف أيضاً "أن البديع أصيل في الذوق البلاغي وليس طارئاً عليه"[2].

أي أن البديع بأنواعه من تشبيهات واستعارات وجناس وغيرها، هي متأصلة في الذوق البلاغي الذي هو ملكة فطرية عند الإنسان العربي، وبهذا صار العربي قديماً وحديثاً متميزاً بأسلوبه وافتتانه البلاغي، وعندما قال الجاحظ في بيانه: "والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأربت على كل لسان"[3]. واضح أن كلامه لم يكن عبثاً، وإنما بحكم مكانته العلمية ومهارته في التأليف قصد كلامه بأن العرب اشتهروا بما اشتهروا به من روعة البيان والإلقاء، ومن خلال عباراته كما في (والبديع مقصور على العرب) فقد قصر البديع لهم بما يشتمل عليه من أنواع ، وعبارته (فاقت لغتهم كل لغة) فقد حكم حكماً قطعياً بتفوق اللغة العربية على كل اللغات الأخرى، وكلامه (أربت على كل لسان) تحليلاً لكلامه ذلك أن الجاحظ استثنى العرب دون غيرهم من الناس، واللغة العربية دون غيرها من اللغات، واللسان العربي دون غيره من الألسن، دل ذلك على حسن التأليف عند العرب والأسلوب البلاغي عندهم، وهذا لا يخلو من استخدام البديع في الكتابة لاسيما وأن الجاحظ لم يشر فقط إلى البديع وإنما حصر الكلام بذكر البديع عند العرب فقد عُرف عنهم الاستخدام البلاغي وتعدد الوجوه في المعاني المعقودة بالألفاظ عند كلامهم .

---

(1) ينظر تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، دار الطباعة المحمدية، مصر، ط1، سنة 1983م، ص44.

(2) المصدر نفسه، ص136.

(3) البيان والتبيين، للجاحظ ، 55/4.

ومثال ذلك التأثير من البديع في الأسلوب (المقامات) فأصحابها تميزوا بذكر محاسن الكلام، وتنوُّعِ الأساليب عندهم منهم: "الحريري"[1] ومن أشهر ما كتب "المقامات" التي استحسنها العلماء والشعراء والكتَّاب والعوام كذلك، ذلك لأنها تحمل أساليب جميلة وأدبيات رائعة وعبارات الفصاحة والبلاغة كالمجازات والإيجاز وأوجه البديع، فانتج عنها المعاني اللطيفة، ولا يسعني المقام لذكر المقامات، ولكن أكتفي بذكر شيءٍ من رسالتيه "السينية، الشينية" فالرسالة السينية كانت مجرد ممازحة على لسانه فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، باسم السميع القدوس، استفتح وبإسعاده أستنجح، ....! وينهي الحريري رسالته بأبيات شعر أذكر منها:

سأكسوه لبسةً مستعتب ** وامسك إمساك سالٍ يؤس

أسطر سينات سيرةً ** تسير أساطيرها كالبسوس

ويختمها بعبارةٍ ... (وحسبنا السلام لرسول الإسلام)[2] ﷺ.

فالرسالة طويلة وتعمدتُ إيجازها ، والجميل ما في هذه الرسالة احتوائها على حرف السين في كل كلمةٍ فيها، فتكونت الرسالة تقريباً من حوالي أربعٍ وثلاثين ومائة كلمةٍ، أي أن حرف السين قد تكرر بنفس تكرار الكلمات فيها، وهذا من بديع الكلام والتألق في التركيب والإبداع في الكتابة والبلاغة، ومن الرسالة السينية إلى الشينية التي حوت حرف "الشين" في كل كلمة من كلماتها وحوت على مائتي واثنتين وسبعين كلمة تقريبًا والتي تضمنت موقفاً من المواقف الواصفة يسجله الحريري تاريخياً حيث يمدح فيها أحد

---

(1) هو: القاسم بن علي بن محمد بن الحريري أبو محمد البصري من بلد المشان بالقرب من البصرة، مولده ومنشؤه به، ولد في حدود سنة 446هـ، وتوفي في سنة 516هـ، له تصانيف منها المقامات. ينظر ترجمته في معجم الأدباء، لياقوت الحموي ، 596/4، وفي وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 530/1، خزانة الأدب ، لابن حجة الحموي ،المقدمة، 117/2، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ، 748/1، وفي العبر، للذهبي، 38/4، وجواهر الأدب، للسيد أحمد الهاشمي ، 431/2.

(2) ينظر شرح مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم الحريري البصري، قدم له وأشرف على تصحيحه: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة 1414هـ-1994م، ص543. فهذه الرسالة قالها على لسان أحد الأمراء معاتباً أميراً آخراً على عدم دعوته له في إحدى المناسبات الخاصة .

أصدقائه ، أما بديع الزمان الهمذاني[1] " ألا وإنَّ الدنيا دارُ جهاز ، مَنْ عبرها سلم ، ومَنْ عمرها ندم ، ألا وقد نصبتْ لكم الفخ ونثرتْ لكم الحَبّ فمن يرتع يقع ، ومن يلقط يسقط ، ألا وإن الفقر حلية نبيكم فاكتسبوها ، والغنة حُلة الطغيان فلا تلبسوها "[2]، ومثل هذا التأليف في حد ذاته لهو شيء جميل وبديع رائع وكلمات رقراقة وفي أسلوبه حسن السبك ورقة في الصياغة، ونظم الأسلوب، فأوجه البديع فيها تجسد في المدح والتشبيه والكناية والإيجاز والاستعارة ، مع حمل المقامات صفة صعوبة التأليف والتنسيق والانفراد في نمط التأليف ، إلا أنها ترسم شيئاً من التطور في الأسلوب البديعي ، وتجلت فيها العبارات القصيرة البليغة التي تشير إلى كلمات المديح في قصائد رائقة، فذلك لا شك أنه له دوره في تقوية الأسلوب ، ودرجة التأثير، ولفت الانتباه عند الكلام وإقناع الآخرين .

وعند إتاحة الفرصة للكلام عن البديع فليس بالضرورة أن يُجمل كلاماً ويُحصى عدداً بغية الإيضاح والميل له، وإنما يُكتفى بالإشارة إلى أي نوع من أنواع البديع المحصورة من قبل علماء البلاغة يكمن الحديث عن البديع وكأنما أُجْمِلَ فيه وفُصِّل، فالمجاز مثلاً عده بعض علماء البلاغة من البديع، فابن رشيق القيرواني يقول عنه: "والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع"[3]. فهذا لا يكون كذلك إلا بأساليب الكتابة أو الإلقاء أو التأليف نثراً أو شعراً ولا يُحكم عليه بالبلاغة والفصاحة إلا عند وقوعه قولاً أو خطّاً، والكلام البليغ يتضمن شيئاً من البديع.

وفي المقابل فإن الإكثار والإسراف من استخدام البديع لاسيما في الشعر الذي يؤثر على الأسلوب من جهة تعقيد الألفاظ وتركيباتها وإفساد الاستعارات والتشبيهات

---

(1) هو: أبو الفضل ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الحافظ المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، صاحب المقامات المشهورة والرسائل الرائعة ، كان فصيحًا وشاعراً مغلقاً روى عن أبى الحسين أحمد بن فارس صاحب "المجمل" وعن غيره ، ينظر ترجمته في شذرات الذهب للحنبلي 286/3 ، وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير 51/8 ، وفي معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، 265/1 ، وفي وفيات الأعيان ، لابن خلكان 127/1 .

(2) مقامات بديع الزمان الهمذاني أبي الفضل أحمد بن الحسين ، قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط 2، 2003م 1424هـ ، ص152 .

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ج220/1.

البلاغية بالنسبة لشعر المتقدمين الذين يعتمدون طلباً لذلك الإبداع ميلاً إلى وحشي الكلام، أما عن المتأخرين من الشعراء الذين يتعلمون الشعر ويأخذونه تلقناً ويكون عندهم تمهل في الأمثلة فذلك يقود إلى الأسلوب الحذر وتجنب المذموم واختيار الكلام السالم والجيد والبارع فالشاعر قد يعاب أشد العيب إذا تعمد الصنعة والإبداع جميع فنونه، وفي المقابل مجاهدة الطبع هي مخرجةٌ سهل التأليف إلى سوء التكلف[1] وهذا وجه مقابل للاستخدام اللفظي والمعنوي المؤثر في الأسلوب من جهة الاستخدام المعقد والغريب أو السهل المألوف في اللفظ والمعنى عند الكلام أو الكتابة. كما أن للأسلوب طرق عديدة منها الأسلوب منذ القدم حتى الآن هو: "طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير"[2]. فإذا كان الأسلوب مبنيّاً على طرق مختلفة والإنشاء واختيارات متعددة في الألفاظ وتأليفها للوصول إلى المعاني فإن ذلك يتطلب فناً وإبداعاً راقياً يحدث الإقناع والتأثير، فالعلاقة قوية بين الأسلوب المستخدم والألفاظ البلاغية والأدبية المستخدمة . إذاً فقد ارتبط النقد بالبلاغة انقطاعاً واتصالاً فأثر ذلك على أسلوب التأليف الذي طبع بطابع البديع، حتى عادت البلاغة كما كانت عليه من جمال وتشويق.

ومن جهة نقدية مقارنة طرفاها مباحث بلاغية عربية ومباحث بلاغية غربية، يلاحظ فيها أن الدراسات الغربية تهدف إلى معرفة الأساليب والفنون الأدبية، وعند قدمائنا هذا الجانب غير مُهتَمٍ به، لأنهم كانوا يهتمون بالكلمة والجملة والصورة، وقد رأى شوقي أنهم قصدوا تعليل بلاغة القرآن الكريم بقواعدهم البلاغية وحمل الآيات القرآنية لمعانٍ وصور بلاغية كثيرة، كذلك إشارته إلى تعليل ذلك إلى طبيعة الشعر القديم بتلك الطبيعة الوجدانية والغنائية بالأسلوب العام والموحد من حيث المعنى والصورة والصيغ التعبيرية ، فظلت نظرتهم منصبةً على جزئيات القصيدة وأفراد

(1) ينظر الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم بن بشر الآمدي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المسيرة ، بيروت،ط5 ، 1987م ، 243/1.

(2) الأسلوب دراسة نقدية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، مصر، الإسكندرية، 1358هـ، 1939م، ص37.

الأبيات ولم ينظروا إليها بنظرة شمولية ككل؛ ولم ينوعوا في شعرهم القصصي والوجداني والغنائي لإخراج الصور الفردية الذاتية إلى أوسع منها ولهذا لم تختلف أساليبهم الشعرية اختلافاً كبيراً بسبب تمسكهم بتلك الأمور السابقة، كذلك لم تتح الفرصة لأسلافنا للبحث في تفاوت الأساليب الشعرية، والأمر نفسه مع النثر، ولكن السجع غطى وبرز بسرعة كبيرة والنثر يتقهقر، حتى أصبح فن السجع شائعاً بأسلوبه وما يُطْوى فيه من صور بيانية وبديعية، وعندما استمر هذا الحال للسجع باتت السجعة هي الوحدة البلاغية في النثر، ثم يعود شوقي لإيضاح إعجابه الشديد بما استحدث في عصرنا الحديث في مجال الشعر من أساليب وفنون جديدة من الشعر القصصي والمسرحي لأنه الأبعد عمقاً من غيره[1]. فهذا رأي من شأنه أن ينقل فكرةً بعيدة المدى إزاء النظرة المختلفة للأساليب المختلفة بين العرب والغرب في بلاغتهم وأدبهم، ثم لإيضاح توظيف البديع المتمثل في السجع وتركيزه على الكلمة والصورة وبلاغة القرآن الكريم .

إذاً فقد لعب البديع بشتى أنواعه وصوره دوراً هاماً في تنوع الأسلوب واختلافه، أو من جهة أخرى فقد لعب دوراً في مسألة قوته وضعفه من حيث الاستخدام، فإذا أُكثر منه وأُسرف فيه كان غير مناسب وقد يخل بجمال الكلام ورونقه بقصد الصنعة إلى تعقيده اللفظي والمعنوي، وإذا كان يسيراً مراعياً للكلام وألفاظه بشيء من التنسيق كان سهل المأخذ، واضح المعنى والفهم، فقد يرتبط نوع الأسلوب بالبلاغة والبراعة والافتنان عند العرب .

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص376، 377.

المطلب الرابع
ذاتية أو عرضية الحسن في البديع
ومسألة تقسيمه إلى لفظي ومعنوي

أولاً – ذاتية أو عرضية الحسن في البديع .

هي موضوع دقيق فقد اختلفت النظرة العلمية إزاء ذلك عند كثير من العلماء، حتى كانت لهم الكلمة في ذلك الأمر وقد دُونت آراء واجتهادات حول تأثير البديع حسناً.

فمن العلماء مَنْ عدَّ علم البديع عرضياً كما هو واضح من تعريف الخطيب القزويني، وابن خلدون وغيرهم، ومنهم مَنْ كان رأيه بالنظر إلى زينته وحليته التي يمكن التحلي بها أو الاستغناء عنها، كما يقال بعد مطابقة الكلام لمقتضى الحال، يعني (المعاني والبيان)، ومن ناحيةٍ أخرى فإن البديع علم يعرف به وجوه تحسين الأساليب، وهذا فرض القول بأنه مجرد حلية تُرتدى، وزينة تُوضع، والناتج عرضٌ زائد على الذات[1]. إذاً فالعرضية والذاتية أمران متعلقان بالشكل والمضمون، وقد يتبعها تأثير ناتج عن تأدية الكلام بوظيفته البلاغية، وبما أن التركيز ينصب حسب التعريفات على الحسن وأنه عرضي، إذاً فالحديث كله يدور حول جمال العبارات وتأثيرها، من حيث بلاغتها وفصاحتها وتركيباتها اللفظية والمعنوية، والعرضية تدور حول إمكانية التزيين ومحاولة إظهار الجمال والروعة لإحداث العرضية الواصفة للحُسن الظاهر من البديع، وعلني هنا أعرج على بعض آراء العلماء والكتّاب إزاء موضوع ذاتية أو عرضية الحسن للبديع.

فابن خلدون كان له رأي في هذا الموضوع وذلك بعد أن تحدث عن البلاغة عموماً ثم تحدث عن المعاني والبيان ثم تطرق إلى البديع ومرتبته العلمية بين فروع البلاغة المعروفة، وقال عن اختصاص أهل المغرب لعلم البديع خاصةً حيث جعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية، وقال بأنهم قد فرعوا له ألقاباً، وعددوا له أبواباً ونوعوا

(1) ينظر في رياض البديع القرآني وكلام العرب، محمد السيد البدوي المرسي ، ص10.

أنواعاً وزعمهم أنهم أحصوها، فقال بأنهم مولعون بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ، وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيها فتجافوا عنهما[1]. يُفهَمُ من هذا الكلام أن البديع فيه حسن عرضي ومبني على الاهتمام بتزيين الألفاظ دون المعاني أي على الشكل لا المضمون حسب رأيه، وذلك من خلال كلمة "تزيين" فهي غالباً لا تكون إلا في الشكل لاستدراك الأول وإلحاقه بالآخر.

أما الرأي الذي يُفضِّل وجوه تحسين الكلام فإن تلك الوجوه تعد محسنة ولكن بعد الرعايتين المتضمنة في المطابقة لمقتضى المقام ووضوح الدلالة حتى إن بعضهم جعل مرتبة علم البديع متأخرة عن مرتبة المعاني والبيان، فظهر موضوع الغرض والغاية من البديع، ومن جهة أخرى منفعته فهي تكمن في إظهار رونق الكلام، ومع ذلك دونوا هذا العلم، وعلى الرغم من وجود الحسن الذاتي كان للمعاني والبيان مما يكفى في تحصيله فقد اعتنوا بشأن الحسن العرضي أيضاً وإن وُجدت المعاني دون الألفاظ ربما يذهل بعض القاصرين عن تذوق المحاسن فلا يُتمتع بها، وهذا معنى المثال المُساق في مصدر هذا الكلام، فوجوه التحسين الزائدة إما راجعة إلى تحسين أصالة المعنى وإما راجعة إلى تحسين اللفظ فسُمّيتْ الأولى معنوية والثانية لفظية[2]. وهذا يدعو أيضاً إلى عدم إهمال الألفاظ، وأن المعاني وحدها قد لا تؤدي الغرض العلمي، لأن الجانب المتمم لها هي الألفاظ كما ينادي لها أنصار الأخيرة، مع قدم وعراقة المعاني والبيان وكثرة أنصارهما إلا أن الألفاظ وجدت لها أنصار واهتمامات.

فبتوضيح معنى وجوه تحسين الكلام يزيد إدراك أن المحسنات البديعية تحدث في الكلام حسناً عرضياً حقيقةً، ففي بغية الإيضاح: إن هذه الوجوه هي المحسنات المعنوية واللفظية، وتصور معانيها والعلم بأعدادها وتفاصيلها ومنشأ الحسن فيها، وأن

(1) ينظر مقدمة بن خلدون ، ص407.

(2) ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاجي خليفة ، 232/1.

هذه المحسنات سميت بهذا الاسم لأنها ليست من مقدمات البلاغة ولا الفصاحة، وأن الحسن الذي تحدثه هذه المحسنات في الكلام هو عرضي وليس ذاتي[1].

أجد هذا الكلام في كثير من الآراء العلمية التي وصل إليها العلماء والمؤلفون، وعلى وجه الخصوص في علم البديع، كان المؤلفون يتفقون في هذا الرأي مؤيدين أن البديع سهل المأخذ من حيث اللفظ والشكل، والذي كان مبعثه المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية معاً لتجعل من الكلام حسناً وهذا تم وصفه بأنه عرضي، ولهذا اختلفت التعريفات إزاءه حتى وصلت إلى التسهيل والتبسيط.

وفي جواهر البلاغة مضامين نفيسة أجد منها توضيحاً مبسطاً لوجوه تحسين الكلام وتزيينه لتكسبه زيادة في الطلاوة والبهاء لغرض التأثير والتفعيل بتقديم تعريف بسيط يزيد من توضيح وإدراك المراد أن تلك الوجوه المعنية بالتحسين هي مجرد أساليب جُمعت مع الكلام، وطرق عديدة معلومة وضعت لتأدية وظيفة وهي تزيين الكلام وتنميقه، وهذا التحسين في الكلام لا يخرج عن أمور هي في عِلْمي المعاني والبيان وهما الموصوفان بالذاتي، وعلم البديع وصف بأنه عرضي، ووجوه التحسين هي إما معنوية أو لفظية[2].

وهذه النظرة العلمية أو الرأي العلمي يجعلني ألتفت إلى مسألة أن وجوه التحسين يمكنها أن تكون أساليب تدخل ضمن تركيبات الكلام، وهذا أضيف إلى سابقه من الكلام ، فالأساليب في الحقيقة تحتاج إلى تحسين الذي هو مرتبط بالألفاظ والمعاني، فإذا وقع حقيقةً أمر الأسلوب أو الطريق المعلوم والموضوع بالشكل المطلوب والمرغوب فإن من وجوه التحسين وقع تبعاً لذلك، وكل ذلك سعياً لتزيين الكلام المراد والمتكون من الألفاظ والمعاني في الجمل.

فهذا الخلاف العلمي بخصوص البديع من حيث استقلاليته أو تبعيته لفني البلاغة المعاني والبيان والنظر إلى الحسن فيه –أي في البديع– ذاتي أو عرضي وهذا متوقف

---

(1) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عبد المتعال الصعيدي ، 571/4.

(2) ينظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، للسيد أحمد الهاشمي ، ص298.

على القواعد السابقة من حيث الاستقلالية والتبعية طبعاً. فهذه الوجوه التي هي وظيفتها تحسين الكلام هي نفسها تختلف في ألفاظها ونبرات المنطوق والمكنون منه البهاء المرجو له، بمعنى أنه إن لم يكن هذا الجمال والبهاء في الكلام موجودين فإنه لم يُعبّر ولا يبحث في تلك الوجوه لذلك التحسين ولا فائدة منه، بل إن من غير ذلك كله يكون في الكلام ما هو مخالف ومخشي منه لوقوع القبح والركاكة وفقدان صفة الجذب في الكلام، وأنه قد قل وجوده في ألسنة العرب لاسيما في عصر الجاهلية وصدر الإسلام، ذلك لأن العرب تميزوا بحب الكلام وفصاحته واجتذاب المستمعين والمتلقين إليه لجمال ألفاظ عباراتهم وتأثيرها في الأنفس، وما تحمله من معانٍ وتعبيرات رائقة، "ومن المعلوم أن هذه الوجوه تورث الكلام حسناً عرضياً زائداً على الحسن الذاتي الحاصل بالفصاحة والمطابقة، وأن حسن الكلام بهذه الأوجه لا يعتبر حتى يحصل متبوعه الذي هو حسن البلاغة، وهذه الأوجه إنما تكون من البديع إذا لم يقتضيها الحال، أما إذا اقتضاها الحال فتكون من صميم البلاغة وليست من توابعها"[1]. فهذا الحسن متعلق بأوجه الكلام المقول، وعلاقته به وطيدة، وتبعاً لذلك يكون توظيف البديع أمراً محققاً ولازماً مادام الموضوع يشمل الجمال والتزيين، وهذا مرهون بمقتضيات الأحوال في العبارات حسبما سبق، وهذه الأحوال البلاغية نسبية غالباً أي أنها متغيرة بتغير الألفاظ مما يجعل الأمر ينحصر في العلاقة بين أوجه البديع وتغير مقتضيات الأحوال في الكلام.

وألاحظ مما سبق ومن خلال الإصدارات الحُكمية التي أدلى بها بعض العلماء أن مسألة الحسن في المحسنات البديعية كانت أحكاماً عرضية لا ذاتية، وكأنهم حكموا عليها بما يليق والشكل أو اللفظ، وقد علمنا إن المحسنات البديعية هي لفظية وأخرى معنوية، والحسن الذاتي كثيراً ما كان مقروناً بالمعاني أو بالصور البيانية، إذاً فثمة اشتراك في الحسن من الناحية المعنوية ومع ذلك فطابع العرضية للحسن كان في البديع الذي هو عبارة عن قسمين: محسنات لفظية، ومحسنات معنوية.

---

(1) توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي، المكتب الجامعي الحديث، مصر، الإسكندرية، ط1، سنة 1997م، ص8.

وعلى هذه المعطيات العلمية الرابطة بين علوم البلاغة، فإن المضامين الأساسية لها نتاج تركيباتٍ لفظية ومعنوية، من شأنها أن تقدم التأثير الذي يجعل المتلقي يختار ببصيرةٍ ما يروق له مما سمع أو أُسْمِعَ قولاً، فإن المحصّل العلمي لا يخرج عن تقرير ناتج عمَّا سبق وسلف عن حُسنِ ما اختير للحُسن الخاص بالبديع بأنه عرضي مع محاولة الاستفهام عن الموانع التي تمنع حسن البديع من أن يكون ذاتياً بعدما كان –البديع– يوماً ما مختلطاً مع فرعي البلاغة الآخرين، فهذا يقود إلى أن البديع سابقاً كان حسنه حسن باقي العلوم البلاغية إلى أن انفصل عنها فبات الحسنُ فيه عرضياً كما تم توضيحه.

ثانياً _ مسألة تقسيم البديع إلى لفظي ومعنوي .

أمر تقسيمات البديع إلى لفظي وآخر معنوي فيه رأي شديد الأهمية وهو "رأي العلماء" يعني الرأي العلمي إزاءه والمأخوذ به غالباً ، ومن جهة أخرى فإنَّ الرأي العلمي هذا، هو الواقع دائماً في قلب الرحى، أي أنه يكون بين التأييد وعدمه من جهة البحث والاجتهاد، وكل ذلك منشأه النظرة الدقيقة التي مرجعها الخبرة والمعرفة والفطنة مثلما الأمر عند العلماء والمؤلفين وأصحاب الرأي . فهؤلاء النخبة من الناس وهبهم الله سبحانه وتعالى عقولاً راجحة ونظرة عميقة، وبديهة سليمة وعين مبصرة، ومن ثم رأي سديد قَلَّ ما يختلف عليه اثنان لاسيما في المجالات العلمية منها، كما هو الحال في موضوع تقسيم البديع إلى لفظي ومعنوي.

فتقسيم البديع غير تقسيم البلاغة، وأول من حاول محاولةً علمية جادة لتقسيم البديع إلى لفظي ومعنوي هو السكاكي في كتابه "مفتاح العلوم" عندما تحدث عن تقرير البلاغة والفصاحة، مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين، وربما يكون مضمون ذلك بقصد تحسين الكلام ثم ينبه إلى أنه علينا أن نشير إلى الأعرق والأفضل منها، ثم يختم مقدمة كتابه عن البديع وماهيته، وماهية البلاغة بتوضيح أنها قسمان: قسم يرجع إلى المعنى والقسم الآخر يرجع إلى اللفظ حتى صار عنده البديع المعنوي والبديع اللفظي، وعدّد البديع اللفظي إلى ستة أنواع والبديع المعنوي نحو

عشرين نوعاً[1]. وهذا التقسيم من الناحية البلاغية والعلمية يبدو أنه قد نال رضا كثير من العلماء إن لم يكن كلهم، والدليل على ذلك أن كثيراً من المؤلفين البلاغيين قد ساروا على نهج السكاكي في هذا التقسيم، لأنه من الطبيعي ألاّ يخلو الأمر للاتجاه في تقسيم البديع إما إلى لفظٍ وإما إلى معنى، وذلك عندما سار أصحاب البيان كفرعٍ من فروع البلاغة على أنه علم مستقل بذاته وكذلك أصحاب المعاني على الوثيرة نفسها وجُعل البديع ذيلاً لهما إلا أن بعض أنصار البديع جعلوه علماً مستقلاً بذاته فأصبح لزاماً دراسة اللفظ والمعنى على حد السواء.

ومن التعبيرات العلمية أيضاً تكمن في أن المحسنات البديعية بقسميها لكي تحسن وتروق لدى القارئ والسامع لا مفر من أن تتجمع فيها بعض الأمور العلمية كالثبات على السجية، والبعد عن التكلف والتصنع، كذلك البعد عن التزاحم النصي لتحاشي الذم الهجَّاء ومن ثم يبتعد عنها السمع والقراءة، أما من ناحية المحسنات البديعية المعنوية فهي تكمن في بوتقة صورية غريبة، ولها طابع التأثير في النفس، منها وبها يثار الاستحسان والدعوة إلى إعمال الفكر بهدف نيل الإعجاب والقبول العرضي، لا لأنه لم يكن حسناً فحسنته تلك الأنواع البديعية، فهي لم تغير شيئاً من جوهره، بل إن الواقع أنها حسنت عرضه وصورته المقدمة والمعروفة مسبقاً والمعنى أن ذلك لم يكن تزييناً بل إنه الحال الذي كان فيه حسن العرض ومن ثم القبول، ومفاد هذا الرأي أن المحسن المعنوي مرتبته الأولى لأنه المقصود الأصلي وهو المعاني، وتصبح الألفاظ توابع لها ومكملةً لتلك المعاني[2]. وهذا كله ناتج عن الملاحظة والتطبيق العلمي، وجعل موضوع تقسيم البديع أرضاً خصبةً للدراسة وفتح المجال أمام الذوق البلاغي عند السامع والقارئ.

هذه النظرة العلمية الناتجة عن خبرة طويلة ومعرفة نيرة قد تحتاج في غالب الأحيان إلى ذلك الذوق الأدبي الذي ينمّي لدى الشخص ملكة التذوق للقول الفني الجميل وتوسع الأفق ، وإبداء الرأي العلمي، وكذلك تكشف للبليغ والفصيح الطريق

---

(1) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي ، ص532 وما بعدها.

(2) ينظر توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي ، ص9.

المسار وتنير دربه الذي ارتقاه بمراسه وفروسيته وتبصره كيف يلبس المعنى الشريف اللفظ الشريف، والبحث عما يتناسب من الألفاظ للمعاني لإكمال الحسن والجمال في صياغة الكلام وبناء العبارات[1]. وهذا الذوق الفطري هو الذي سهل عملية إصدار الحكم العلمي والرأي الأدبي على النصوص عموماً، ذلك لأن النظرة ليست مطلقة بل هي نسبية أي أنها تتغير بتغير صاحب الذوق ونظرته إلى تلك النصوص، بمعنى آخر الأمر متعلق بالعلاقة بين النص والناقد لأنه صاحب الحكم والرأي العلمي إزاء القضية .

وألتقي بابن حجة الحموي وهو يقدم تفسيراً مختصراً لمسألة معنى الجمال الخاص بالبديع من ناحية المعنى واللفظ قبل أن أعرض رأيه في موضوع تقسيم البديع، فالجمال الخاص بالبديع عنده أن العربي سابقاً كان له حاسة التذوق لجمال الألفاظ من حيث لغتها وتركيباتها المختلفة، وكان يفتنّ ويتألق بالإحساس بجمالها وسحرها، فكلما كان الكلام عنده حسن وجميل وعذب كان ذلك أكثر التصاقاً بالأسماع والقلوب فينعكس ذلك على الأذواق، لاسيما بترجمة المعنى الشريف بلفظ شريف، والتعبير عنه بأسلوب رشيق وجذاب، فيخلص الحموي في كلامه إلى أن البديع ليس ترفاً في الأسلوب الأدبي، أو تزييناً يمكن أن يُتخلّى عنه حيناً بعد حين، فحكم عليه بأنه تابعاً لعلمي البيان والمعاني، بل هو يتربع على عرش المقدمات العلمية فيقوم بدوره في تأدية المعاني وتحسينها من خلال الألفاظ الحسنة، وهذه المكانة العلمية الراقية دفعت بعض النقاد والبلاغيين يطلقون عليه وأنواعه اسم المحسنات، بل يسعون إلى فائدة أكبر وهي تقسيم البديع إلى محسناتٍ معنوية ولفظية[2]. فهذه اللمسة الجمالية الأخّاذة التي نبه إليها ابن حجة الحموي هي غاية في الأهمية لمسألة – تقسيم البديع– إذ أنها تساعد في التعبير بأسلوب جميل كنتيجة منطقية لذلك الذوق الرفيع، الذي يهدف الكاتب من خلاله إلى الرقي بأسلوبه مُظهراً مواطن الجمال في النصوص، وهذا ما كان يحدث سابقاً مع البليغ وعلاقته بالقول والكتابة. كما دافع الحموي في كلامه عن البديع بأنه

(1) ينظر تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، ص38.

(2) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي ، ج112/1.

ليس ترفاً في الأسلوب أو لهواً يُلعب به متى يُشاء، وقال بأنه يتربع عرش المقدمات العلمية.

فذاك رأي ابن حجة في مسألة معنى الجمال الخاص بالبديع، وها هو يعبر عنه ثانيةً ولكن في مسألة تقسيم البديع جاعلاً إياه قولاً فاصلاً في تقسيم محسناته البديعية إلى لفظية ومعنوية محدداً كلامه في أن هذا التقسيم إنما هو مفتعل لم يحالفه التوفيق، وقد شبه هذا الفصل بفصل الجسم عن الروح، وزاد بقوله أنه لا جمال للألفاظ إلا بوجود علاقة قوية مع المعاني، وكذلك تألق المعاني بقيمها لا تكون إلا بوجود تركيبات الألفاظ، وأنه لابد من نظرة تكاملية شاملة إلى الكلام، ثم يذهب بشرحه إلى حقيقة علمية أنه لا جمال حقيقي في الكلام إلا بوجود اللفظ والمعنى معاً، ويبدو أن ابن حجة في كلامه تأييد لرأي عبد القاهر الجرجاني، فقد ساق كلاماً له عندما أكد في نظرته للعلاقة بين اللفظ والمعنى، وأن المعنى عندما ينال الاستحسان يتبعه لفظ حسن، وفي المقابل يكون العكس، فالاشتراك بالحسن بين المحسنات المعنوية واللفظية ينتج عنه حسن معنوي ولفظي، ثم يشرح الحموي مسألة الاضطراب الناتج في تقسيم الكلام إلى بيان وبديع والذي سببه التكلف والمبالغة اللذان وقعا مع المحسنات اللفظية والمعنوية، ذلك الاضطراب الذي قُصِد به عند تداخل البيان الذي يهتم بالمعنى دون اللفظ بالبديع الذي يختص بالألفاظ، ثم يخلص ابن حجة إلى نتيجة مفادها أن البلاغة لا يمكن فصلها ولا يمكن لها أن تُستكمل إلا بفنونها الثلاثة وأنه ليس بمقدور أحد أن يحاول ولو محاولة أن يفصل بينها، ويعود فيقول أن بعض العلماء من دمج بعض أبواب البيان بالبديع، وأبواب البديع ضمن أبواب البيان، فابن حجة يؤيد وجود الألفاظ والمعاني معاً لاستكمال البلاغة[1].

يبدو أن رأي ابن حجة الحموي هو الصواب عندما أكد على أنه لا يمكن استكمال البلاغة بصورتها النهائية الجميلة إلا بوجود فنونها الثلاثة المعاني والبيان والبديع، وأن الفصل بينها أمر غير منطقي ومُخلٌّ بقواعد علم البلاغة ومبادئ الحسن في الكلام، إذاً فابن حجة هو من أنصار اللفظ والمعنى معاً وهذا الأصوب رأياً وتأييداً

(1) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي ، ج117/1، 118.

علمياً في ذلك لا عاطفياً لأن اللفظ يشكل مع المعنى الاستفادة المرجوة والمعنى مكمّل اللفظ في الكلام، فهذه وجهة نظره العلمية التي اسْتُشِفّتْ من خلال حديثه عن التقسيمات الخاصة بالمحسنات البديعية، واهتمامه بكون تلك المحسنات لفظية و معنوية واستحسانه لهذا التقسيم البلاغي.

ومن جهة أخرى وبنظرة علمية مغايرة بعض الشيء في تأييد المعنى أكثر من اللفظ ما يطرحه الشيخ عبد القاهر الجرجاني معبراً عن رأيه بصراحة وبأسلوب يوهم المتلقي بأنه يعطي اهتماماً متزايداً للمعاني أكثر من الألفاظ ولم ينكر أو يهمل اللفظ بشكل قطعي، فإن من ضمن كلامه بخصوص أفضلية المعنى نجده يقول: "وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً، ولا سمعاً حسناً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه وحتى تجده لا تبتغي به بدلاً"[1]،أي أن الجرجاني أراد القول بأنه لا يوجد تأليف للكلام أو تركيبٌ من لفظ ومعنى المؤدي إلى الانسجام المطلوب من ناحية اللغة والبلاغة والتأثير كالخطبة أو الدرس أو المحاضرة بالأسلوب اللائق إلا وكان المعنى عنصراً فعالاً فيه، بل هو المقصود به، أو أن المعنى هو الذي ساق ذلك التأثير أو الحسن، وإذا وقع ذلك فعلاً فإن المتلقي لا يرغب غيره من ناحية التأثير. أي أنه يزيد من قوة فكرة أن المعاني تقرب القلوب وتؤثر على النفس مما يحدث ذلك اتصالاً فعّالاً بين المعنى والقلب، واتصال اللفظ بالسمع.

وهناك ممن يؤيد فكرة تقسيم المحسنات البديعية إلى قسمين بوضعها في قالب التركيز المُنصبّ على اللفظ والمعنى: محسنات لفظية وفيها التحسين راجع إلى اللفظ، ومحسنات معنوية والتحسين فيها يرجع إلى المعنى[2]. فقد شاع هذا التقسيم بعد السكاكي فتناوله الكثير لإعجابهم به كفكرة أساسية وكاد الاتفاق يسود في البلاغة حتى المسميات منها، مثلما ظهر تفصيل في الوجوه البديعية المحسنة وكيفيتها الترتيبية فقال ابن يعقوب المغربي في إشارته إلى تفصيل الوجوه البديعية أنها: "وجوه تحسين الكلام

---

(1) أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، ص16.

(2) ينظر المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع نماذج تطبيقية، محمد طاهر اللادقي، مراجعة إبراهيم محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ، 1426هـ-2005م، ص205.

الحاصل بعد الرعاية السابقة "ضربان" أي تلك الأوجه فيها نوعان: أحدهما معنوي، والآخر لفظي"[1]. فابن يعقوب لم يفصل بالتقسيم إلا بعد تأكيده على رعاية مقتضى الحال، وعبر بالإشارة إلى الوجوه ولم يقل البديع رأساً وكلا الوجهين واحد من الناحية المعنوية.

أيضاً في الإيضاح لم يقسم البديع إلا بقوله: "هذه الوجوه ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ"[2]. ثم في أثناء شرحه وتفصيله لهذين الضربين استخدم المحسنات اللفظية والمعنوية، فأينما نظرنا في أعمال العلماء وتفصيلاتهم فإننا نجد التقسيم لا يخرج عن كونه قسمين لا ثالث لهما، وأن العلاقة لا تعدو مفهوم اللفظ والمعنى.

فتنشأ بنشأة الآراء العلمية حول تقسيم البديع وجهة نظر جديدة زِيدَ فيها عمَّا سبق من الأراء كما يبدو واضحاً عند صاحب طراز الحُلّة في المسألة الرابعة من مسائل كتابه الذي يبدي رأيه فيه حول تقسيم أنواع البديع، وذلك بحسب اللفظ والمعنى إلى أقسام ثلاثة: حيث تكمن تلك الأقسام في أولها المتعلق بخصوصيات بعض الأبواب البديعية كالتورية وتجاهل العارف التي تتعلق بالمعنى فقط، وآخر يتعلق باللفظ فقط والمتمثلة في التجنيس ورد العجز على الصدر، أما الأخير فهو الذي يتعلق باللفظ ولكن المعنى لا غياب لدوره وحظّه منه وفير، ويظهر ذلك في المقابلة والمطابقة، وهذا التقسيم له أنصار ومعارضون يحاول كلّ منهم إبراز رأيه العلمي بالحُجة والبرهان البلاغي إزاء تقسيم أنواع البديع[3]. هذا الرأي اختلف عن سابقيه من الآراء السابقة، ومع ذلك فهناك مؤيد ومعارض، فتميز هذا الرأي بأن جمع بين النوعين معاً وأدمج بينهما بعد التفريق، وهذا لم يبتعد كثيراً عن التقسيم المعروف، ولكن الرأي السليم في

---

(1) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس بن يعقوب المغربي، تحقيق خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 1424هـ-2003م، مج2/484.

(2) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ، ص333.

(3) ينظر كتاب طراز الحُلة وشفاء الغلة، تحقيق رجاء السيد الجوهري ، ص58.

التقسيم هو ما كان معمولاً به بين البلاغيين أي الذي ينادي بالمحسنات اللفظية وأخرى معنوية لأن فيه وضع حدّ بين النوعين ليكونا تحت إطار واحد يجمع بينهما في الكلام.

فرأى الباحث في تقسيم البديع إلى قسمين: لفظي ومعنوي هو أن ذلك التقسيم لاشك في أنه الصواب والأحكم، إذا ما وُضع في الاعتبار ودونما إهمال مسيرته التاريخية ودراسة مباحثه البديعية ، والنظر إلى بعض آراء أهل البلاغة حيال ذلك .

إيضاحاً للمسألة ... بالنظر إلى تعريف البديع بأنه وجوه تحسين الكلام، فهذه الوجوه ما هي إلا محسنات لفظية ومحسنات معنوية كما عرّفها العلماء، وتحسين الكلام هو الكلام المكوّن من اللفظ والمعنى، إذاً فركنا اللفظ هما أساس التقسيم، وإليهما يعود كل المقصود والمفهوم، فعين الصواب في حسن التقسيم يظهر عندما يؤخذ في الاعتبار جانب الألفاظ فقط فالحسن يكمن في جمال الألفاظ والشكل كما في الجناس والسجع وبتوافر الكلمات يكون هناك ما يسمى بحشو الكلم، وهذا الأخير لا يأتي بفائدة علمية تُذكر ومن ثم فإن المتلقي سيُصاب بالملل وتعمّ السآمة، وبذلك النهج مع كثرة الكلام لا يكون الحسن لتلك الألفاظ ذاتياً، أما إذا تم الأخذ في الاعتبار جانب المعاني فقط فإن الحسن يكمن حتماً في جواهر المعاني التي نتجت عن ألفاظها كما في الكناية والتورية ، ذلك الذي يرغبه المتلقي عندما يسمعه على رأي بعض أنصار المعاني، ومن ثم يكون الحُسن المرجو لتلك المعاني حسناً ذاتياً لا عرضياً، لهذا كان التقريب بين أنواع المحسنات البديعية في قسمين هو عين الصواب والأمثل من الناحيتين اللغوية والبلاغية، فسمّى العلماء القسمين: بالمحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، للعلاقة الوثيقة بين اللفظ والمعنى في الكلم العربي...

- وبهذا يخلص هذا الفصل إلى الآتي :

1. إيضاح علمي لمفهوم علم البديع لغةً واصطلاحاً عند بعض أهل علم البلاغة .
2. بيان نشأة علم البديع في الشعر وتطوره تاريخياً منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث .
3. معرفة سبب إصابة علم البديع بالجمود واستقراره في القرن السابع الهجري ، ثم التعريج على مسيرة التأليف في علم البديع تاريخياً إلى زمن ابن أبي الإصبع ثم إلى

العصر الحديث ، وعرض بعض المؤلفات الخاصة به ، ثم بيان موقف علماء البلاغة في ذلك ، وتوضيح الدور الوظيفي لعلم البديع في الأسلوب من حيث التأثير والتطور في مسألة التأليف .

4 . إيضاح مسألة ذاتية أو عرضية الحسن في البديع ، وأن ذلك الحسن هو عرضي لا ذاتي في البديع ، ومسألة تقسيمه إلى لفظي ومعنوي عند أهل البلاغة واستحسان تقسيمه بالكيفية التي هو عليها الآن .

الفصـــــــل الثالـــــــث

كتاب بديع القرآن

المبحـث الأول

مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع، وإسهاماته العلمية في هذا العلم

المبحث الثانــي

منهجه في مؤلفات علم البديع من حيث طرحه للمسائل وتناوله للقضايا وترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه

المبحث الثالث

مصادره في مباحث علم البديع في كتابه، والموازنة بينه والسكاكي والقزويني (نموذجاً) منهجاً وأسلوباً من حيث التأثير والتأثر .

المبحـــث الأول

مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع، وإسهاماته العلمية في هذا العلم

المطلب الأول:
مفهوم علم البديع عند ابن أبي الإصبع

المطلب الثاني:
إسهامات ابن أبي الإصبع في علم البديع

المبحث الأول :

مفهوم علم البديع عند ابن أبي الإصبع، وإسهاماته العلمية فيه .

يقول بعض أهل العلم في أهمية فروع علم البلاغة الثلاثة ومسيرتها وتحقيق ثبوتها عند الأشخاص، وأنها بارزةٌ وسائرةٌ في طريقها بين العلوم، فقيل في ذلك: إنه معلوم أن الأشياء في التحقيق والثبوت على مراتب أربع: الأولى تحققها في الذهن بالتصور وهي الأصل، والثانية تحققها في الأعيان، والثالثة في الألفاظ، والرابعة في الكتابة الدالة على تلك الألفاظ، وكل ذلك لتحقيق الحسن والجمال للبلاغة[1]. فمن بين تلك الفروع (البديع)، ومن بين هؤلاء ابن أبي الإصبع المصري الذي بذل جهده في دراسة هذا الفن فأبدع فيه، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على بناء الذوق البلاغي عند البعض، وهذا الذوق الأدبي أصبح له اهتمام كبير في هذه الساحة حتى يقال: فلان له ذوق أدبي، فكان تأثيره واضحاً في الجوانب البلاغية، حتى عرَّفه البعض بلاغياً بأنه: "قدرة صاحب الطبع الأدبي، والذكاء اللمَّاح، والقريحة النفاذة، على بيان المزايا البلاغية التي تحدث في النظم بسبب الفروق والوجوه التي تكون بين كلام وكلام، وشعرٍ وشعر، فيقف على أسباب الجودة والرداءة في تأليفه ونقده"[2]. فهذا الذوق البلاغي يزيد من قدرة الشخص الفصيح فيدفعه إلى العطاء ثم ينمّي لديه ملكة التأليف والنظم، وهذا مرتبط بمسألة ترتيب الأفكار والخواطر عنده فيكتمل الأسلوب المنظم والبليغ، وهذا ابن أبي الإصبع قد اهتم بالعلم والتأليف فكان من أبرز كتبه "بديع القرآن" الذي انصبّ فيه الاهتمام بالبديع في القرآن الكريم .

---

(1) ينظر كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي، مراجعة وضبط جماعة من العلماء، مكتبة المعارف، الرياض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ، 1980م، 122/1.

(2) تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، ص3.

المطلب الأول

مفهوم علم البديع عند ابن أبي الإصبع المصري

شغل هذا العلم كثيراً من علماء البلاغة الذين خاضوا في مفاهيم عديدة له، ووصولاً إلى مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع المصري الذي لا أكاد أجد هذا المفهوم منه صراحةً ولكنني أستشفه ضمنياً من خلال السياق، فعند الاطلاع على كتابه "بديع القرآن" بحثاً عن تعريفٍ أو تحديد علمي محصور في بضع كلمات كما فعل الذين سبقوه، لم أجد ذلك بوضوح ولكنه كان يقدم المفهوم العلمي للبديع من خلال حديثه عن الأنواع البديعية المختلفة، التي ينصبّ التركيز فيها حول جماليات الألفاظ وتنوعها وتضمينها للمعاني الكثيرة، ومن ثم البحث عن حسن الكلام بجميع أحواله ومقتضياته أي أنه كان يهتم بالناحية التطبيقية لعلم البديع لا تحديد المصطلح . لذلك فإنني ألاحظ أن مفهوم البديع عنده مشتملاً على فروع البلاغة الثلاثة من خلال كيفية ترتيبه لمباحث كتابه هذا، ولم يتحدث عن الفصل بين الفروع .

كما أنني أجد إشارةً من محقق كتاب بديع القرآن إلى أن ابن أبي الإصبع " قد أطلق لفظ بديع القرآن إطلاقاً شاملاً يتناول ما في القرآن الكريم من شواهد المعاني والبيان والبديع مختلطة"[1]. وهذا يشير إلى أن ابن أبي الإصبع لم يحدد تعريفاً لعلم البديع بل إنه سار على ما سار عليه بعض أهل البلاغة إزاء مفهوم البديع، ولكنه لم يقف ساكناً وجعل من البديع أمراً داخلاً ضمن فروع البلاغة جميعاً، أي أنه لم يكن كما كان الخطيب القزويني في تعريفه للبديع[2] فقد حدده بحدود علمية ووصفه بتحسين الكلام عن طريق تعدد وجوهه المختلفة كما في تعريفه، أما ابن أبي الإصبع فقد أيد الشمول والعموم.

وعلى خلاف تلك النظرة السابقة لما قيل عن البديع في كتابه "بديع القرآن" فإن إمعان النظر في كلام ابن حجة في خزانته الذي خصص كلامه عن البديع عند ابن أبي الإصبع، فإنني أجد كلاماً أكثر وضوحاً ويسراً لأعرف نظرة ابن أبي الإصبع في

---

(1) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص33 من الفصل الثاني له .

(2) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، ص333 .

البديع، وقد اتضح أنه عندما درس آراء سابقيه من العلماء بهذا الصدد فجمعها وقارن بينها حتى وصل برأيه الذي يخالف فيه أغلبيتهم لاسيما من علماء المغاربة والمشارقة إزاء تحذيرهم من الإفراط في البديع، إلا أن ابن أبي الإصبع المصري يرى رأياً مخالفاً يكمن في أن كثرة البديع لا تشين الكلام إذا استعمل قلةً أو كثرةً ، وعلى ذلك فإنه يعد البديع مشتملاً على علوم البلاغة كلها من معانٍ وبديع وبيان، وأن ابن أبي الإصبع يرى أن البلاغة عندما تكون في كليتها وعمومها من فروعها الثلاثة يكمن البديع عنده، وإنه لا يعترض في البديع الكثرة ولا القلة للتأثير على معناه، وإنما عارض على ما يسمى بالتكلف فيه الذي يهوي بمنزلة البديع العالية في الكلام[1]. فابن أبي الإصبع لم يعبأ لمسألة الكثرة والقلة في استخدام البديع في الكلام ولا يراه مخلاً لمعناه، لأن التكلف يُعدّ صورةً للمبالغة والإفراط في الاستخدام، وهذا يقود إلى التعقيد لا اللفظي فحسب بل المعنوي أيضاً، وهذا بدوره يقود القارئ إلى التشتت وعدم التركيز ومن ثم عدم الفائدة وفقدان قيمة البديع البلاغية والفنية التي كان يتمتع بها.

وفي بعض التوضيحات البلاغية إشارة إلى مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع المصري بعد عرض لإسهاماته لفنون البديع والتطرق إلى كتابيه "تحرير التحبير وبديع القرآن" وإضافة لمحسنات البديع التي سَبق إليها والتي لم يُسبق إليها، وأثناء ذلك إشارةً إلى أن البديع منذ ابن أبي الإصبع أو قبله أنه أخذ يشتمل على صور بلاغية أخرى غير اشتماله على الصور البيانية التي تكمن في علم البيان كما كان الشأن في السابق منذ ابن المعتز، تلك الصور التي عرفت واشتهرت بين البلاغيين والنقاد، بل إنه اشتمل عنده على كثير من صور علم المعاني[2]. والمعنى أن البديع عنده لم يكتف بالألفاظ فحسب بل تخطاها لاحتضان المعاني المكملة لتلك الألفاظ المزينة الرائعة لاستكمال الصورة البلاغية والفنية البديعية، حتى صار عنده البديع محصوراً بين علمي البيان والمعاني ومختلطاً بين علوم البلاغة الشاملة كما كان في السابق.

---

(1) ينظر خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، 110/1.

(2) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، ص359.

بعد عرض مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع يتضح أنه قد وافق في مفهومه هذا بعض علماء البلاغة ، عندما أتى بمباحث البديع داخلة في فروع البلاغة بشكل شمولي في كتابه بديع القرآن ، تماماً كما عنى به الجاحظ عندما أطلق البديع على فنون البلاغة المختلفة[1]، أيضاً ابن منقذ هو الآخر أطلق مفهوم البديع شمولياً على فنون البلاغة الثلاثة كما في كتابه البديع[2]، وقد خالف ابن أبي الإصبع في مفهومه للبديع بعض أهل البلاغة الذين عدّوا البديع ذيلاً لعلمي البيان والمعاني منهم الجرجاني الذي أطلق مفهوم البديع ليس على المعنى الشامل لفنون البلاغة الثلاثة وإنما يكون مكملاً لعلم المعاني ولا يسبقها ترتيباً[3]، أما السكاكي في مفهومه للبديع أنه أطلق على فنون البديع وجوه تحسين الكلام[4]، مما سبق أجد التعريفات قد اختلفت وأن المفهوم الذي شاع أكثر هو المفهوم الشامل للبديع بين أراء أهل البلاغة، إلى عهد السكاكي فكان أكثر تحديداً لمفهوم البديع . إذاً فابن أبي الإصبع وافق بعض أهل البلاغة في إطلاق مفهوم البديع على فنون البلاغة الثلاثة المختلطة، وخالف بعضهم ممن عدّ البديع ذيلاً لعلمي البيان والمعاني فبالتالي البديع عندهم لم يكن شاملاً لفنون البلاغة الثلاثة كما عند الفريق الأول، ولم يكونوا من الذين قالوا بوجوه تحسين الكلام ، وبهذا يتضح مفهومه عند ابن أبي الإصبع باتفاقه مع الفريق الأول وتحديد موقفه منه .

وعلى الرغم من أن ابن أبي الإصبع لم يتناول البديع تعريفاً ولم يقدم له مفهوماً صريحاً كما هو تعريف البديع كعلم، إلا أنه حام كثيراً حوله من خلال إطلاقه صفة العموم والشمولية عليه ضمن فروع البلاغة الثلاثة، مُظهراً في ذلك المقاييس البلاغية والفنية لعلم البديع، فانصبّ اهتمامه عليه، ويظهر ذلك من خلال تأليفه لكتابه "بديع القرآن" وقبله كتابه "التحرير" فهما يُعنيان بدراسة علم البديع .

---

(1) ينظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، 380/1 .

(2) ينظر البديع في نقد الشعر ، لأسامة بن منقذ ، ص2 .5 .

(3) ينظر أسرار البلاغة ، للجرجاني ، ص14 وما بعدها .

(4) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص532 .

إذاً يمكنني القول: إن مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع قد انحصر في إطلاقه على مختلف الفنون البلاغية كما سبق، ودونما وضع حدود لتعريفٍ مُقنّن له، بدليل أسماء الأبواب التي وردت في كتابيه منها على سبيل المثال : الاستعارة ، التشبيه ، الإغراق، الغلو ، الإبهام[1] ، التجنيس ، رد الأعجاز على الصدور ، الطباق ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم[2] ، وكل هذه المباحث هي مباحث علوم البلاغة الثلاثة . بل اكتَفَى بتوضيحه بالأمثلة والشواهد المختلفة، وحرصه على استخراجه من النصوص المختلفة، واهتمامه بتحديد ضروبه وأنواعه العديدة، ومنه بات ابن أبي الإصبع من أنصار البديع ورواده في علم البلاغة .

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص97،ص159،ص321،ص323،ص596 .

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص27،ص31،ص36،ص49 .

المطلب الثاني

إسهامات ابن أبي الإصبع في علم البديع

تبدو بصمات ابن أبي الإصبع المصري في البديع جليلة لاسيما وإنه من رجاله البارعين، فقد كانت له صولات وجولات فيه، فلم يكتف بأسلوب التتبع واقتفاء آثار الشعراء وتعليقات العلماء العلمية، بل وصل إلى الاستنتاجات العلمية والعقلية التي يستشفها مما يقرأه أو يسمعه فيكتبه، وهذه سمة العلماء المجتهدين، فقد أفرد لنفسه تأليفاً أو أكثر في البديع من بين تأليفاته الكلية، والذي زعم به أنه لم يُسبق إليه من قبل في ساحات البلاغة وفروعها. وفي ذلك يمكنني أن أُوجز إسهاماته من خلال كتابيه التحرير والبديع .

أولاً _ إسهامه في علم البديع في كتابه (تحرير التحبير) :

ففي كتاب "تحرير التحبير" الذي هو واحد من أبرز إسهاماته في البديع عموماً وفيه أجد ما يهم إزاء دور ابن أبي الإصبع المصري في البديع عند حديثه عن صناعة الكلام وفيه تكلم عن الأنواع البديعية التي أفرد لها جانباً دراسياً يخص الحديث عن البديع وقد تجسد ذلك في إتيانه بوصية أبي تمام للبحتري في عمل الشعر وتعليقه عليها، ذلك لأنه كان يرى أن أبا تمام قد ارتجلها ارتجالاً، فكانت في نظره بحاجةٍ إلى تحرير بعض معانيها وإيضاح إشكالياتها، وإضافة ما يمكن إضافته لها، وذلك عندما خصص لها باباً خاصاً سمَّاه "التهذيب والتأديب" في كتابه "تحرير التحبير"، أيضاً أفرد لها كلاماً عنها في كتاب آخر وسماه "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه"، وقد فضل ابن أبي الإصبع كتابه الأول تحرير التحبير عن الثاني وهو كتاب الميزان من حيث إيفاء الغرض وتحقيقه علمياً[1].

فباب التهذيب والتأديب، والميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه عملان علميان لا يخصّان إلا ابن أبي الإصبع بين المؤلفين، وهذه مساهمة في حد ذاتها لاسيما عندما يكون الأمر له علاقة بعلم البديع ، ثم إن ذلك يعنى بشيء من الدقة أنه ناقد وذو ذوق بلاغي عالٍ وفهم جيد لأعمال الآخرين ، وإبداء الرأي فيها .

---

(1) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص16، 17 من مقدمة المحقق .

فعندما ألف ابن أبي الإصبع كتابه :تحرير التحبير " ألفه ليدرس فيه الألوان البلاغية التي وجدت إلى عصره، ويستشهد لها بالمنظوم والمنثور ليثبت من وراء ذلك إعجاز القرآن الذي هو الغاية من الدراسة البلاغية "[1]. وقال ابن أبي الإصبع : "ولما أخذتُ في ذلك عنّ لي استنباط أبواب تزيد بها الفوائد ، ويكثر بها الإمتاع ، نسجاً على منوال من تقدمني ، واتباعاً لسنة من سبقني ، ففُتِح عليّ من ذلك بثلاثين باباً ، سليمةً من التداخل والتوارد ، لم أُسبق في غلبة ظني إلى شيء منها ، اللّهم إلا أن يوجد في زوايا الكتب التي لم أقف على شيء مما اخترعتُه ، فأكون أنا ومن سبقني إليه متواردين عليه ، وما أظن ذلك ".[2]

فكتاب "تحرير التحبير" قد فتح المجال أمام العلماء وطلاب العلم في مجال الدراسات البلاغية والنقد من حيث أسلوب ابن أبي الإصبع في المناقشات والابتكارات الأسلوبية والدفاع عن الرأي العلمي المطروح، أيضاً جمعه لأنواع البديع التي جعل منها أصولاً وفروعاً، معتمداً على النقل والنقد ، وأنه في تأليفه لكتاب "تحرير التحبير" قد تكلم فيه عن مائة وخمسة وعشرين نوعاً من البديع، وعند ذكر أنواع البديع أن المؤلف ذكر أنواعاً من البديع في كتابه التحرير وهي بعدد اثنين وعشرين نوعاً ولم يذكرها في كتابه "بديع القرآن" وذلك بسبب عدم اتفاقها وموضوع الكتاب المشار إليه، وهذه الأنواع هي: الهزل، ائتلاف اللفظ، وائتلاف المعنى، والتجزئة والتشطير، والترصيع والتصريع، والتطريز، والتوشيع، والإغراق، والغلو، والاشتراك، والتفريع، والإبداع، والاستعانة، والمشاكلة، والمواردة ، والحل، والعقد، والاتفاق، والهجاء في معرض المدح، والإلغاز والتعمية، وعلل بذلك لأن معانيها ومقاصدها لا تليق بالقرآن الكريم الذي نزل على الرسول ﷺ مُنزّهاً عن الفحش، فهو منبع الأخلاق والمبادئ السامية ورفيع عن تلك الصفات المشينة[3]. فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل صاحب الكمال، وآياته موصوفة بتمام الفصاحة وكمال البلاغة ، فتعالى الله سبحانه عن كل

---

(1) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص55.

(2) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص94 .

(3) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص56-60.

شيءٍ. أيضاً من عمله أنه كان "يسمى النوع البديعي في كتابه "تحرير التحبير" باسم وفي كتابه "بديع القرآن" يسميه باسم آخر"[1]. ومن قوله أيضاً : " وربما أبقيتُ اسم الباب وغيّرتُ مسمّاه إذا رأيتُ اسمه لا يدل على معناه "[2] لمناسبة واقعه وحاله كذلك كان كثيراً ما يخالف العلماء في بعض التعريفات للمصطلحات كما في الاستعارة وقف على تعريفات العلماء لها ثم كان له تعريف لها غير ما جاء به العلماء مُغيّراً في ذلك بعض الشيء[3].

هذا إيجازٌ لإسهامات ابن أبي الإصبع في البديع من كتابه "تحرير التحبير"، فقد تعمّدتُ الإيجاز فيه لأنه ليس المقصود بالدراسة .

ثانياً – إسهامه في علم البديع من كتابه "بديع القرآن" :

هذا الكتاب درس فيه شيئاً من بلاغة القرآن الكريم وأسلوبه، وفصاحته، وتركيبات ألفاظه وعلاقتها بالمعاني، بل خصه ببحث البديع في القرآن الكريم ، فجمع الأنواع البديعية التي عُرفت إلى عصره، كذلك جديده الذي اخترعه في كتابه "التحرير" ومثّل لهذه الأنواع من آيات القرآن الكريم، وخرج تلك الآيات من القرآن الكريم واستخرج منها الوجوه أو الصور البلاغية.

فقد وضح ابن أبي الإصبع في بديعه مخبراً عن نفسه بأنه قد أضاف عن سابقيه في عمل الأنواع البديعية، فاستنبط واحداً وثلاثين باباً لم يُسبق في غلبة ظنه إلى شيء منها إلا ما لم يقف عليه في الكتب، فكان هو ومن سبقه متواردين عليه، فصارت الفذلكة التي عملها نحو مائة باب وستة وعشرين باباً كلها في كتاب واحد في "تحرير التحبير" وعندما انتهى من عمل كتابه الذي وسّمه ببيان البرهان في إعجاز القرآن، وعلم أنه لابد له من تتمة تتضمن ما في الكتاب العزيز من أنواع البديع، فأفرد ما يختص بالقرآن الكريم، فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب[4]. ولهذا كان متميزاً بين

---

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص61.

(2) المصدر نفسه ، ص92.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص97 باب الاستعارة.

(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص14، 15 من مقدمة المؤلف وينظر فهرس موضوعات البديع .

أقرانه حتى "جمع آراء من سبقه إلى التأليف في علم البديع وزاد عليه، و رتبها وصنف فيها مصنفات قيمة ولم يعتمد على النقل فقط، بل على النقل والنقد معاً[1]. فهذا اعتراف منه بشيءٍ من إسهاماته العلمية في كتابه إزاء الأنواع البديعية لاسيما التي اخترعها ولم يسبق إليها على حد زعمه .

أيضاً في تأليفه لكتاب بديع القرآن وجمعه لأنواع البديع لم ينس إثباته ما لحسن الخاتمة في السور والآيات القرآنية مع حروفها لتعطي نمطاً سمعياً جميلاً مؤثراً، والألفاظ المفردة والمركبة ، والبحث فيها عن المعاني وعلاقتها بالألفاظ ، كما أنه ساهم في إثبات أن القرآن الكريم قد حوى صفات الأدب السامية ومميزاته النفيسة ، للتسهيل على الناس إدراكه ومعرفة إعجازه [2]. فجهده كان جلياً بعمله هذا وتركيزه على بعض ضروب البديع ومعانيها المختلفة ، ونظرته للموضوع من جهة بلاغية معمقة .

وبالنظر إلى كتابه " بديع القرآن" يتضح أنه ذكر فيه أنواعاً من البديع لم يذكرها في كتابه "تحرير التحبير" عند المقارنة بينهما بعدد تسعة أنواع وهى : التزويد ، والتفصيل ، والإلجاء ، والتنظير ، والاقتدار، وإثبات الشيء بنفيه عن ذلك الشيء، والزيادة ، والتفريق والجمع ، والرمز والإيماء [3].

فهذه الأنواع التسعة التي اجتهد ابن أبي الإصبع فيها وحرص على ذكرها في كتابة البديع، كما حرص على إبعادها من كتابه "التحرير" وفيه إشارة إلى أنها ليست مستحيلة الوقوع في كلام البشر كرد على الظن من المؤلف لاستحالة وقوعها عند البشر [4]. من الواضح أنَّ قصد المؤلف من حصر ذلك العدد من الأنواع البديعية في كتابه بديع القرآن ؛ لتوافقها وموضوعها بظنه ، وأبعدها عن تحريره؛ لعدم لياقتها أو تناسبها للمقام .

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، ص70.

(2) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص56 .

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، إلى هذه الأنواع في مواضعها . إلا أن الاقتدار سمّاه في تحرير التحبير باسم "التصرف" ، ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص582 ، وإشارة إليها أيضاً في تحرير التحبير له ، ص61 .

(4) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص61 .

أيضاً ما اجتهد فيه ابن أبي الإصبع كان في عددٍ من الأنواع البديعية التي ادعى أنها من مخترعاته وابتكاراته، ولكنها في الواقع هي لم تكن كذلك ولم تسلم له أي أنها لم تكن ضمن أعماله البديعية وأن الأمر مجرد تغيير الاسم فقط، وهي سبعة عشر نوعاً في كتابه بديع القرآن أذكر منها على سبيل المثال فقط لإيضاح مسألة اختلاف اسم النوع البديعي :

1ـ باب عتاب المرء نفسه[1] كما في بديع القرآن وفي تحرير التحبير[2]، جاء بنفس الاسم ولكن عند ابن المعتز في بديعه كان تحت اسم إعنات الشاعر نفسه[3].

2. باب ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام[4]في بديع القرآن ، وفي تحرير التحبير تحت اسم ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت [5] .

3ـ باب حسن الاتباع[6] تسميته في بديع القرآن و في تحرير التحبير[7] سماه بنفس التسمية . أما عند ابن رشيق القيرواني فقد اختلفت التسمية فكانت تحت مسمى نوع من أنواع السرقات [8].

4– باب الاقتدار[9] سمّاه ابن أبي الإصبع في كتابه بديع القرآن بهذا الاسم ، وفي كتاب التحرير فقد اختلف الاسم عنده فكان تحت اسم التصرّف [10]وفي الكتابين بنفس المعنى.

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص63 .

(2) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص166 .

(3) ينظر البديع ، لابن المعتز ، ص74 .

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص89 .

(5) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص224 .

(6) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص201 .

(7) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص475 .

(8) ينظر العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق القيرواني ، 242/2 .

(9) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص289 .

(10) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص582 .

5- باب المراجعة ورد بهذه التسمية عند ابن أبي الإصبع في بديع القرآن[1] والاسم نفسه ورد في التحرير[2] ، أما عند الرازي فإنها تحت اسم السؤال والجواب أو الاستفهام[3].

6- باب الإبهام : اتفق الاسم عند ابن أبي الإصبع في كتابيه البديع[4] والتحرير[5] وهو عنده بنفس المعنى ، أما عند السكاكي فقد اختلف الأمر فكان تحت اسم التوجيه[6] .

فهذا جهد ابن أبي الإصبع في هذه الأنواع البديعية لم يكن إلا في اختلاف التسميات العلمية لها ولكن المعنى والتعريف لها فواحد وموافق لبعضها تقريباً .

ومن جهة أخرى تحديداً ما يخص الجديد لابن أبي الإصبع فإني وقفتُ على عدة أنواع بديعية في كتابه "بديع القرآن" وقد بلغت نحو واحد وعشرين نوعاً من المحسنات البديعية في كتابه منها ما كان ابن أبي الإصبع مُنفرداً بها من تلك الأنواع ومنها ما كان في تعريفه لبعضها ينتابها التداخل واللبس في بعض تعريفات بعض الأنواع منها سواء في كتابه أو عند غيره ، وهي كما يلي : المواربة [7] ، والتلفيف [8] والتفصيل[9] قد يبدو انفراد ابن أبي الإصبع بتسمية بعض الأبواب البديعية ، وقد يختلف الأمر إذا ماعارضنا بين تسمية ومسميات الآخرين لبعض الأبواب . والنوع الآخر: البسط [10]

---

(1) ينظر بد يع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص300 .

(2) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص590 .

(3) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للرازي ، ص211 .

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص306 .

(5) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص596 .

(6) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص537 .

(7) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص94 ، ولم أجد من ذكره بهذا المسمّى فيما بحثّتُ.

(8) ينظر المصدر نفسه ، ص123 ، في هامشه تعليق عليه في المصدر نفسه والصفحة ذاتها .

(9) ينظر المصدر نفسه ، ص154 ، لم أجد فيما بحثتُ في المصادر من سمّى مثل هذا النوع . ولكنني أجد فيه تداخلاً بين توضيح المؤلف له وبين تعريف باب" الإسهاب " عند ابن منقذ في بديعه، ص182 .

(10) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص251 . لم يتكرر اسم هذا النوع عند غيره فيما بحثتُ ، إنما في بعض التعريفات فيه تقارب كما في باب التضييق والتوسيع والمساواة عند ابن منقذ في بديعه ص154 ، وفي باب الإطناب عند العسكري في الصناعتين ص209 ، مقارنةً بتعريف ابن أبي الإصبع له وكما أُشير إليه في هامش=

ثم نوع آخر سمَّاه "العنوان"[1]، ثم الإيضاح ، التخيير ، التمزيج ، الاستقصاء ، الحيدة والانتقال ، الشماتة ، التهكم ، التنديم ، الإسجال بعد المغالطة ، التسليم ، الافتنان ، إثبات الشيء بنفيه عن ذلك الشيء ، الإبهام ، القول بالموجب ، حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي ، المقارنة [2] ، إنما ذلك يتضح من خلال الأنواع المذكورة في كتابه وفي بعض كتب البلاغة الأخرى ، فعند التأمل في تعريفات تلك الأنواع ومسمياتها يخيل للناظر التداخل والتشابه الكبيران فيها لاسيما في معانيها مما أشكل الحكم عليها كما سبق الإشارة إليها ، أما في بعض الأنواع الأخرى على سبيل المثال فقط في جديد ابن أبي الإصبع المذكورة مثل : المواربة ، والتلفيف ، والإيضاح[3] وباقي الأنواع فإنه عند مقارنتها بمسمياتها وتعريفاتها بغيرها لم أجد لها تداخلاً أو تقارباً فيما بينها وبين الأنواع التي يمكن أن تتداخل مع معانيها عند بعض علماء البلاغة على وجه التقريب في الدراسة لا التأكيد فهذا التداخل وإن وُجد إنما يدل على محاولة المؤلف الجادة في سعيه إلى السبق العلمي والجديد في علم البديع .

فهذه الأنواع البديعية هي التي سلمت لابن أبي الإصبع المصري وما أسهم فيه المؤلف بجديد الأنواع البديعية، التي لم يسبق إليها من قبل العلماء السابقين على ما خلص إليه البحث، فقد برع وأجاد فيها بالتعريف والشرح والعرض بالأمثلة من الآيات القرآنية أو من الأبيات الشعرية، وقد حاولتُ نقل جديده بعدما سردتُ إسهامه الذي ادعاه في علم البديع ، ولكنها لم تسلم له جميع مجهوداته بقدر ما سلمتْ له هذه الأنواع التي باتت هي جديده ومن ابتكاراته البديعية والله أعلم .

= بديعه ص251 بأنه لا هو بالإيجاز ولا بالإطناب ، وهو الأرجح والأقرب للإقناع، كذلك في المثل السائر عند ابن الأثير ج354/2 .

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص257 . لم أجد تكراراً لهذا المسمّى ضمن الأنواع الأخرى عند غيره ولكن أرى في تعريف المؤلف له أنه يتداخل ويتشابه جداً مع تعريف باب التكميل عنده في المصدر نفسه ص143 ، كذلك يتداخل تعريفه مع تعريف باب التكميل عند أبي هلال العسكري ، في الصناعتين ص434 .

(2) ينظر باقي الأنواع في مواضعها في كتاب بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، بالرجوع والتأمّل في إشارات هوامشها لنفس المصدر .

(3) ينظر هذه الأنواع في مواضعها في كتاب بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص94 وما بعدها .

كذلك من جهة إسهامات ابن أبي الإصبع المصري فإن من الباحثين من يرى أن هذا المؤلف إنما أفرد كتاب بديع القرآن بالتصنيف في كتاب سمَّاه "بديع القرآن"، وعند الاطلاع عليه يتضح أن مصطلح البديع عنده يطلق على فنون البلاغة المختلفة، والدليل على ذلك خوضه فيه نحو مائة نوع مع بضعة أنواع أخرى من الأنواع البديعية أو ضروب البديع كما أطلق عليها ولا يسع المقام لذكرها كلها بل إشارة إليها كما سبق، ثم يُعبر عنه بأنه أول مصنف في بديع القرآن، الذي بذل فيه صاحبه مجهودات كبيرة حول محاولة كشفه عن أسرار البديع في القرآن الكريم خصوصاً، مع إظهار سمو وبلاغة وفصاحة القرآن الكريم على بلاغة البشر[1].

فقد كثر بذلك مؤيدوه ومعارضوه، وكل ذلك بغية الإفادة من اجتهاداته العلمية إزاء ذلك الموضوع، فكما أطلق مصطلح البديع على شمولية البلاغة المختلفة، كذلك تأليفه للكتابين المعروفين في البديع على العموم، وفي البديع خاصة في آيات الذكر الحكيم مما فتح المجال للمحاورين والنقاد باب الدراسة والبحث في ذلك .

وعندما تناول ابن أبي الإصبع أنواع البديع تناولها بصفة نقدية بدايةً، فوجد منها ما يحتاج إلى تغيير في أسمائها أو في تعريفاتها لاسيما التي لا تتفق مع مسمياتها، فاجتهد في التغيير فيها كما فعل في بعض الأبواب عندما خاض في شرحها والتمثيل لها بالأمثلة وكيفية تطابق المثال مع المسمى النوعي للبديع، فمن هذه الأبواب البديعية التي اجتهد فيها ابن أبي الإصبع: الاستعارة، والالتفات، وباب الهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والكناية والتشبيه والتسهيم ، وحسن البيان[2]. كذلك اعتمد ابن أبي الإصبع في بحثه ودراسته على مقارنته ونظرته العلمية العميقة ، ورؤيته للموضوعات التي تعتريه، حيث ناقش بعض أصحابه في أنواع البديع الأخرى لاسيما المخترعين لها واستقر على تغييره فيها، من هذه الأنواع: الالتزام، وتشابه الأطراف،

(1) ينظر البديع وإعجاز القرآن، محمد أحمد عثمان، ص83.

(2) ينظر هذه الأنواع في مواضعها من كتاب تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص97 وما بعدها.

والتوأم الذي سمَّاه الأجدابي[1] "بالتشريع"، فالالتزام عند ابن أبي الإصبع وعند الأجدابي هو النوع الأول أيضاً، كما سماه ابن المعتز لزوم ما لا يلزم وغيره، ومن العلماء من سماه الإعنات، وتشابه الأطراف كما سماه ابن أبي الإصبع، والأجدابي سماه "التسبيغ"، وهذه تعد من تغيير أسماء بعض أنواع البديع التي يراها ابن أبي الإصبع هي الصواب من الناحية البلاغية والعلمية[2].

كذلك كان له رأي علمي آخر في بعض الأنواع البديعية التي اجتهد فيها غيره ممن سبقه من حيث إنها غامضة وتحتاج إلى زيادة إيضاح وتفسير ومنها الأبواب الآتية على سبيل المثال: التتميم ، والإفراط في الصفة، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت، والاستثناء، والمشاكلة [3]. أيضاً منها التوهيم ، والتهذيب ، والاتساع ، والمجاز ، والإيجاز [4].

كما أنه في النوع البديعي المسمَّى في باب "السلب والإيجاب" سمَّاه وتكلم عنه في التحرير "بنفي الشيء بإيجابه"، وفي البديع تكلم عنه "بإثبات الشيء للشيء بنفيه عن ذلك الشيء"، أيضاً تسميته لنوعين آخرين في التحرير باسمين وهما "ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت" و"التصرف"، ثم غيرهما في كتابه – بديع القرآن– تحت اسم "ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام" و"الاقتدار"[5].

---

(1) هو: إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي، أبو إسحاق، لغوي باحث من أهل طرابلس الغرب ونسبته إلى إجدابية ، من مصنفاته "كفاية المتحفظ" توفي سنة 470هـ، ينظر ترجمته في معجم الأدباء، لياقوت الحموي، 82/1، بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع، ص229، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف الياس سركيس، 38/1، وبغية الوعاة، للسيوطي، 178/1 ، الأعلام، للزركلي ، 32/1 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص227–231.

(3) ينظر هذه الأنواع في مواضعها من كتاب تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص116 وما بعدها.

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص131 وما بعدها في مواضعها .

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص93.

وهذا ضرب لمقدرة ابن أبي الإصبع على التحليل والمقارنة والاستنتاج ثم النظر إلى الأمور العلمية نظرة معمّقة ، حيث استطاع أن يزيد من التعريفات العلمية ويصيغ لها الصيغ الملائمة التي تليق بمقامها العلمي في بحثه.

أما عن الأنواع البديعية الأخرى وهي الأغلب في كتابيه التحرير والبديع فقد كان دور ابن أبي الإصبع فيها أنه اجتهد في جمعها و لم يزد على سابقيه فيها، ولكن كان دوره فيها الإكثار من الشواهد وتحليلها، وتخريجها كما فعل العلماء بالشعر وصناعته، وأهدافها البلاغية فقد اختلف الإسهام هنا لابن أبي الإصبع في بعض الأنواع البديعية على إسهامه السابق، فقد تقلص دوره العلمي بموضوع الأنواع بلاغياً بينما كان بروزه من جهة التجميع وكذلك اهتمامه بمسألة الشواهد والاستشهاد بالأمثلة لتعزيز كلامه والبرهنة العلمية، وهذا جانب آخر من جوانب المساهمة والمشاركة الفعالة بخلاف الابتكار والتجديد. فمساهمة ابن أبي الإصبع كبيرة جداً في نظري وقياساً على ما سبق من التبيين، فالنقاد استنبطوا من أعماله أموراً واكتشافات ساعدت على المُضِي قُدماً نحو تطور البديع، ولم يكن هو مُلِمها في بعض الأحيان من وفرتها، كما سبق من التوضيح لأعماله الموصول إليها، ويبدو أنه فاته أن يسجل كل ما يصل إليه أو أنه كان لا يهتم بمسألة التدوين والحصر – والله أعلم– كما في التعريفات والتسمية لبعض الأنواع البديعية.

كما أن عناية ابن أبي الإصبع باللفظ وخصائصه كانت فائقةً وواضحة من حيث الموسيقا الخاصة بالألفاظ، والصعوبة والسهولة كانت مجموعة في ألوان عديدة، مع عدم إغفاله للمعنى وأثره في النفس، وربط اللفظ بالمعنى من حيث دلالات المعاني سهولةً وغرابةً واستعمالاً كما في باب ائتلاف اللفظ مع المعنى[1] ، ومثله ما سبق ذكره كذلك لم ينس تجميل المعنى وتكميله باللفظ والاستخدام كما في باب التورية والإبهام والمناقضة والإبداع [2] على سبيل المثال لا القيد من الأمثلة التي تعنى باهتمام المؤلف للخصائص الحسية والمعنوية وتأثيرها على النفس وصلتها باللفظ والمعنى لاسيما عند

(1) ينظر مواضعها في بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص77 .

(2) ينظر هذه الأبواب في بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص102 وما بعدها في مواضعها .

تداخل المعاني من حيث احتمالها المستخدم وقوة الكلام المتضمن في السياق ولفت الاهتمام له[1].

وهذا وجه أخير لما وصلتُ إليه في بحثي بما يخص ما قدمه ابن أبي الإصبع المصري للألوان البديعية المختلفة، واهتمامه بمسألة اللفظ والمعنى وخصائصهما ومقاييسهما الفنية والأدبية، ومما نتج عن ذلك بما تحدثه الألفاظ والمعاني من تأثيرات على النفس لدى المتلقي، وعلاوةً على ما قدمه ابن أبي الإصبع ذكراً واختراعاً للأنواع البديعية أنه بهذه الأخيرة كانت له محاولة علمية في ربط العلاقة بين حاضره والماضي الخاص بعلم البلاغة لاسيما نشأة البديع ومفهومه وتطوره ووجوده من قبل في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة، وما كان في الشعر العربي (الجاهلي- والإسلامي- والحديث) على حد السواء، مما يبني قاعدة انطلاق عند العلماء والمجتهدين في مجال البلاغة المختلفة، فكان ابن أبي الإصبع مع من واكب من العلماء محاوراً وناقداً ومخترعاً أيضاً، فقدم الشروحات المدعّمة بالشواهد العلمية المتنوعة لاحتوائها على جميع جوانب الألفاظ والمعاني، وبتأليفه لكتابين يُعنيان بالبديع "التحرير وبديع القرآن" نهج فيهما نهجاً راقياً ينم على الخبرة والذوق الرفيعين، حملهما مسؤولية تعداد الأنواع البديعية، التي حصرها من اختراعاته تارةً ومن سابقيه تارةً أخرى رابطاً بين هذا وذاك، وهذا ما يميز ابن أبي الإصبع، فقد عُدَّ من رجال البديع بل إنه مولع به كثيراً، حتى إن أصحاب البديعيات من بعده اعتمدوا على أعماله البديعية بشكل واضح، فقد جمع من البديع ما جمع، وألف فيه كتابين مما دفعه ذلك إلى أن مدح النبي ﷺ بمدحٍ لطيف، وهذا ما جعل أصحاب البديعيات من بعد ابن أبي الإصبع يصوغون القصائد البديعية في مدح الرسول الكريم ﷺ مضمنين كل بيتٍ نوعاً أو أكثر من أنواع البديع متألقين في ذلك ومتنافسين حتى كثرت تلك القصائد وكثر ظهور أصحابها في ساحات الشعر والبلاغة[2]. لأنه كما أسلفتُ ابن أبي الإصبع لم يكتب ما يقوله فحسب بل ناقش العلماء وحاور أصحاب الرأي السديد في البلاغة وابتكر فيما

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص102، وينظر تحرير التحبير له ، ص596-611.

(2) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص32.

خاض فيه ليدونه ويضيفه إلى الابتكارات العلمية حتى بات من المحاورين الجيدين ، ومؤلفاً في ساحة التأليف والكتابة. وما يهم في ذلك أيضاً إبرازه لشخصيته العلمية أسلوباً ومنهجاً، ولاشك أن هذه الإسهامات العلمية التي قدمها تعد أعمالاً بديعة في حد ذاتها آخذاً مباحثه البديعية من المصادر العلمية والمراجع الهامة علماً وتاريخاً التي تعنى بدراسة علم البديع مفهوماً ونشأةً وتطوراً الذي شغل العديد من علماء البلاغة والأدب قبل ابن أبي الإصبع المصري وبعده، حتى صار واحداً من رجال البديع وأنصاره.

المبحـــث الثانـــــي

منهجه وأسلوبه في مؤلفات علم البديع من حيث طرحه للمسائل وتناوله للقضايا وترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه .

المطلب الأول: المنهج الذي اتبعه ابن أبي الإصبع في مؤلفات علم البديع

المطلب الثاني: تناوله للقضايا وطريقة طرحه لمسائله

المطلب الثالث: أسلوبه في عرضه للقضايا

المطلب الرابع: بيان ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه .

المطلب الأول

المنهج الذي اتبعه ابن أبي الإصبع في مؤلفات علم البديع

أولاً . منهج ابن أبي الإصبع في كتابه "تحرير التحبير":

كتاب "تحرير التحبير" الذي ألفه ابن أبي الإصبع في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن الكريم، والمطلع على الكتاب يجد أنه :

1. كان واضحاً أنه قصد فيه إلى تطبيق الأنواع البديعية التي كانت معروفة آنذاك في القرآن الكريم، ثم في شعر الشعراء ، كذلك فإن كتاب التحرير والبديع يتفقان في المنهج والصورة العامة[1] ، أي أن وجه الاتفاق يكمن في كون كتاب التحرير وهو الأسبق تأليفاً إلا أنه يدرس البديع بشكل أوسع نثراً وشعراً وإن كتاب البديع خصّه المؤلف لدراسة البديع في القرآن الكريم فحسب ، فهذا معنى الصورة العامة أما المنهج فقد ربط المؤلف العلاقات الوثيقة بين الأنواع البديعية العديدة مع تنوع أغراضها قرآناً، وشعراً ، موظفها في محاولته للتطبيق إياها.

2- تميز منهج ابن أبي الإصبع بالصفة العلمية المعتمدة على عرض الحقائق بالبحث والاستقصاء[2]، واستطاع بهذا المنهج أن يلفت انتباهنا إلى مسائل عدة في البلاغة، كما هو واضح من أنواعه البديعية التي استطاع أن يدرجها في كتابه مع مقدرته العلمية والمنهجية على مناقشة خصومه ومحاورة أنصاره في المسائل البلاغية لاسيما السابقين منهم.

3- أيضاً أظهر المؤلف جوانب التحسين البديعي الذي تقيده الألوان البديعية البلاغية ذو الطابع الذاتي، وحث على فهم القديم وآراء السابقين للاستفادة منهم، كما أكد دراسة الألفاظ في التحرير والتحبير باعتبارها الأساس للصناعات الأدبية[3]. وهذه نظرة للأمور من المؤلف، إذ ساعده منهجه على تخطي بعض العقبات التي واجهته،

---

(1) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص59.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص62.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص63.

واستطاع أن يضع بعض الضوابط البلاغية التي يراها في الدراسة والبحث لوضع أساس علمي لهذا العلم .

4- ومن منهجه المتّبع أن بيَّن ضرورة دراسة الشواهد الأدبية، ومعرفة ما تحويه من آداب وتجارب ترفع من المستوى الخلقي والأدبي، أيضاً من ذلك دراسة شخصية المتكلم وتحليل نفسيته مع ربطه ببيئته التي يعيشها وأثر ذلك من الناحية الأدبية، كذلك أبان صلة البلاغة بالمعارف العامة علوماً وفنوناً[1].

5- كذلك قسّم كتابه "التحرير" ثلاثة أقسام رئيسة: فالأول تكلم فيه عن الأصول وهي الأبواب في أنواع البديع، والثاني: تكلم فيه عن الأبواب التي عدها فروعاً، وفي الثالث: تكلم عن باقي أسرار كتابه من الأنواع البديعية بالشرح والتحليل والأمثلة[2].

6- المؤلف كان دقيقاً في تقسيمه وبحثه حتى أنه واضح من عباراته أنه لم يرد الإطالة بالشرح والأمثلة كذلك ترتيب الأنواع، وكان يحذر من الخلط والإكثار المخل بالمعاني، وهذا يدعو إلى الاقتصار والإيجاز، فمنهجه ذلك كان بنظرة عامة للموضوع وإذا نظرنا إلى الأنواع البديعية فنختار منها بعض الأمثلة للتوضيح والتعرف على منهج المؤلف فيها يكون أكثر فائدة وأصلح، ففي باب الاستعارة[3] عنده تُستشف دعوته إلى ما يحرره من حسن المحاورة ومناقشة الآخرين للمفاهيم من أصحاب الرأي العلمي، وفي باب الطباق[4] يوجه المؤلف إلى بناء العبارات المركبة من الألفاظ، والتأليف بين الكلام عند المتكلم قبل الأضداد والتشابه، كذلك في باب التهذيب والتأديب تُلاحظ دعوته إلى الكشف عمَّا يشكل عليه من غريب الألفاظ وإعرابه، ويحرر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه ، وحرصه على أقوال النقاد وأصحاب الرأي في حقيقة البلاغة، والفصاحة، وإعداد محاسن الكلام وعيوبه، وإحداث معالم التنقيح في العبارات[5].

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص64.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص88.

(3) المصدر نفسه ، ص97.

(4) المصدر نفسه ، ص111.

(5) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص401.

حيث تنقل المؤلف في تأليفه بين الموضوعات المختلفة خدمة لموضوع شامل ألمَّ فيه أغراضاً بلاغيةً عديدةً.

7 – ابن أبي الإصبع في كتابه "تحرير التحبير" علاوة على تحليلاته كان يسرد الأفكار، ويرتب ما يؤلف كما فعل في الأنواع البديعية مع التنوع الشديد فيها، وفهماً لمضمون قولته: "ولما انتهى استخراجي إلى هذا العدد، أمسكتُ عن الفكر في ذلك ليكون ما أتيتُ به وفق عدد الأصول من هذا الشأن"[1]. فهذا ترتيب جميل للأفكار المحملة بالمعلومات والمرصعة بالمعاني الكثيرة.

8– منهج ابن أبي الإصبع في باقي مؤلفاته مع وجود شح في المعلومات فيها إلا أن مضامينها عُرفت من الكتب والمراجع العلمية كما يظهر أنه في كتابه "الأمثال" كان يعتمد على التقسيم والترتيب أولاً ثم أدخل عليه منهج التحليل والاستنباط العقلي وذلك واضح من خلال ما عبر عنه حفني محمد شرف بعبارات: "ابتدأ"، "وألحق بها" ثم "أنه استخرج الأمثال"[2]، فمن مثل هذه الكلمات يُعرف عملُه ونهجه في الكتاب، وهو في منهجه بهذا الكتاب يتقارب مع منهجه في التحرير مع فارق المضمون.

9– منهجه في كتابه أنه يعتمد على تطبيق القواعد والأساسات الفنية المخصوصة للعلوم التي تخضع للوزن والقياس كالعروض والقوافي، وفي كتابه "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه"[3].

10 – إن الالتفات إلى موضوع بلاغي يهدف إلى البحث عن أقل الكلام بأكثر المعاني، أي أنه من غير حذف لبعض الاسم، أو عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له، كاقتصاص القصص عن غير خلل، ولا مغادرة الألفاظ منها، كذلك للتسميات علامات تعرف بها المسميات، ويتضح ذلك في النوع المسمى "بالإيجاز" عند ابن أبي الإصبع[4].

---

(1) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري ، ص94 مقدمة المؤلف.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص51.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص52.

(4) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الإيجاز، ص459.

فهذا منهج ابن أبي الإصبع في كتابه "التحرير"، ويمكنني أن استجمع شيئاً من بين أسطر كتاب "بديع القرآن" الذي هو ثاني مؤلفاته للتعرف على منهجه المتبع فيه، فكما أسلفتُ أن بديع القرآن يتفق مع التحرير في المنهج والصورة العامة، وربما يُعرف موضوعه من عنوانه، ولعل المؤلف قصد منهجاً في كتابه إلى تطبيق الأنواع البديعية التي عرفت إلى عصره في القرآن الكريم، وإن كان أكثر شواهده التي وردت فيه وردت كذلك في كتاب تحرير التحبير[1]. فهذه الخطوة العلمية تكمن في كون المؤلف ليس مبتكراً فحسب بل ساعياً في التطبيق والتنفيذ لما يصل إليه من عمل، كما في وصوله إلى هذا العدد من الأنواع البديعية.

ثانياً _ منهج ابن أبي الإصبع في كتابه " الخواطر السوانح " :

منهج ابن أبي الإصبع المصري في مؤلَّف آخر له تضمن موضوع البديع جزءاً منه وليس بالقدر الكبير، ألا وهو كتاب "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح"، الذي وقفتُ عليه أثناء البحث بمكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة بمصر، فهو كتاب صغير الحجم .

وفي الحقيقة إن هذا الكتاب ليس مخصوصاً للبديع فقط ، إنما جزء منه يعنى موضوع البديع ، فالمؤلف تطرق في بعض فصوله لهذا الموضوع فكان منهجه فيه:

1- بأن انتهج المؤلف منهجاً علمياً مبوباً ومفصلاً عندما قسمه إلى ثلاثة أركان وكل ركن فيه إلى بابين، وانتهى بموضوعه إلى مسألة الفواتح المعجمة أصل المعربة والإشارات في ذلك حتى كانت بلاغتها، فقارن بينها وبين الإشارات في شعر الفحول[2]. كان ابن أبي الإصبع يتكلم في كتابه "الخواطر" عن أسرار فواتح سور القرآن الكريم، فعرّج على شيءٍ من البديع، وحول الفكرة العلمية إلى بلاغية بالاستنتاج والاستدلال وربط المعاني المختلفة في الكتاب الواحد.

2- أما عن بديع الفواتح المعنية فيقول عنه المؤلف في الباب الثاني من الركن الثالث منه في استنباط المعجزات المعجّزات لذوي البلاغات في جميع الأوقات قد تقر دلالة

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص59.

(2) ينظر كتاب الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع المصري، ص63.

الفواتح المعجمة، والقسم المتسم بالقسم من الفواتح المعربة على الصانع والمصنوعات، وثبت أن المعجمة أقسام ، وعدة الجميع أربعون فاتحة دلت بمفرداتها ومعانيها على قدرة الله عز وجل[1].

3- أيضاً في منهجه يعبر ابن أبي الإصبع موظفاً البديع فيقول ضمن كلامه: وفصلتُ في البلاغة كل كلام في بابها، وكل خطاب اتصل في بديعها بأسبابها، وذلك أنها انفردت من أبواب البديع بثلاثة أبواب هي: الإشارة، والإرداف ، والتمثيل، لا يخرج الإعجاز منها إلا بطريق هذه الأبواب دون غيرها من أبواب محاسن الكلام لكونها كلام مفردات، وما عدا هذه الأبواب من أبواب البديع إنما يأتي في الجمل المؤتلفات، هذا إلى كونها ألفاظ سهلة مخارج الحروف، مع رونق الفصاحة والخلو من البشاعة، مؤتلفة في معانيها، تدل بطرق الاستدلال على معناها بوضوحٍ تام[2]. يستند ابن أبي الإصبع بالآيات القرآنية وفواتيحها التي عددها لفظاً ومعنى، ليوضح قدرة الله عز وجل وإعجازه القرآني، وحكمته في خلقه، ولإثبات أن كلام الله سبحانه وتعالى لا مثيل له بلاغةً وفصاحةً، ويتجلى بديع القرآن الكريم في ألفاظه ومعانيها الوفيرة، والكامنة في الجمل المؤتلفات، إشارةً وإردافاً وتمثيلاً.

ثالثاً _ منهج ابن أبي الإصبع في كتابه "بديع القرآن" :

1- تضمن منهج المؤلف في كتابه "بديع القرآن" الكشف عن أسرار ما في تلك الأنواع البديعية من عجبٍ عجاب من الناحية البلاغية، فالمؤلف وصل إلى أن المحسنات البديعية وأنواعها في كتابه "البديع" أنها ليست مقصورة على الشعر والنثر، بل هي موجودة ومتأصلة في القرآن الكريم[3]. وهذا يوضح الاقتصار الدقيق في البحث والتخصيص في نوع الموضع المراد دراسته ، علاوةً على الهدف العام وهو معرفة الأسرار البلاغية في النصوص .

---

(1) ينظر كتاب الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ، لابن أبي الإصبع ، ص111.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص112.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص91.

2- برز ذوق ابن أبي الإصبع الأدبي الرفيع من خلال عرضه للموضوعات البلاغية التي تربط بين أطراف أغراض البلاغة كما في الاستعارة [1]والتشبيه وغيرهما من المواضع عندما برز رأيه وإتيانه الشواهد المتنوعة، ونظرته لآراء بعض العلماء في الموضوع ذاته.

3- من مقدمة المؤلف في كتابه "البديع" يفهم دوره في محاولته الجادة لربط القديم بالجديد، واستنباطه ما يختص بالقرآن الكريم معتمداً على كثرة الشواهد القرآنية[2]، لإثبات مسألة الإعجاز القرآني الذي مبعثه بلاغة القرآن الكريم وأسلوبه الأمثل.

4_ كذلك حرصه على ابتكار أنواع جديدة من البديع، وبيان ذلك من قوله: "وأكون قد أتيت من ذلك بما لم أسبق إليه، فأفردتُ الأبواب المختصة بالكتاب العزيز"[3]، والوصول إلى المخترعات أو إلى الجديد من الأنواع البديعية هو أحد أهداف المؤلف، ولم يكن إلا بعد دراسة ابتكارات السابقين للأنواع البديعية، أيضاً فالمؤلف يرتب ما وصل إليه، وما هو كائن أصلاً وموجود في الآيات القرآنية من أساليب البلاغة وصفات أدبية رائقة.

5- بما أن "بديع القرآن" هو مفرد من "تحرير التحبير" وأنه أكثر منه تخصصاً فإن هناك تفاوتاً فيما بينهما من حيث تعداد المباحث ، وتكلم عن مائة باب وتسعة أبواب من الأنواع البديعية [4]، فكانت إسهامات المؤلف كثيرة منها ما كانت لسابقيه من علماء البديع، ومنها ما كانت ادعاءات للسبق، ومنها ما كانت من ابتكاراته البديعية التي أضافها لأنواع البديع.

6- ضمن منهجه المسار عليه أن قدم تقسيماً رائعاً لكتابه "البديع" كان على ثلاثة أقسام رئيسة، فاعتمد على العرض خلالهما للاستشهاد البلاغي بالآيات القرآنية للأنواع

---

(1) ينظر بديع القرآن لابن الإصبع المصري ، ص17 وما بعدها .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص15 من مقدمة كتابه .

(3) المصدر نفسه ، ص92.

(4) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

البديعية، والجديد من الأصول والفروع من أقسام الكتاب، أما القسم الأخير فقد خصصه لاختراعاته البديعية لأنواع البديع[1].

7- فابن أبي الإصبع في تصنيفه وترتيبه لأبواب البديع التي أدرجها في كتابه اتخذ لها منهجاً يسير عليه، ومع ذلك يتشابه الأمر في الكتابين، فهنا في باب الاستعارة بكتاب البديع، كما هو الحال في كتاب "تحرير التحبير"، لنفس الباب "الاستعارة" كان منهج المؤلف يحمل طابع العلم والتقصي للحقائق فأراه يوازن بين آراء العلماء ويرجح، ومن ثم يتخذ لنفسه الرأي السديد[2].

8- ثم مضى المؤلف في كتابه على تنوع المنهج مع كل الأبواب، ولم يكن على نمطٍ واحدٍ في المنهج، فتارةً ما كان النوع نقلياً ومنه ما كان تحليلياً وقد لازم التطبيق كل الأبواب البديعية، إلا أنه كان يتوسع في بعض الأحيان، ثم التوضيح لتلك الأنواع والتمثيل لها بالأمثلة، وأحياناً أخرى كان لا يتسع بالشرح ولكنه لا يخل بالمعنى. كذلك يظهر المنهج فيه بأنه تحليلي ونقدي يهدف إلى الموازنة بين طرفين أو أكثر، ونقد النصوص مع تقديم الأدلة للإثبات[3] .

9- كما أنه في بحثه قد يختلف مع سابقيه أو حتى معاصريه في تسمية بعض الأنواع البديعية وقد يستقر على تسمية يختارها على أساس القواعد والمعطيات التي أمامه في الدراسة كما في باب تجاهل العارف[4]، وكذلك الحال في باب الإفراط في الصفة[5] وغير ذلك من المساهمات فالأبواب كثيرة التي اهتم بها في كتابه .

10- كذلك سعى المؤلف في منهجه للتركيز على جماليات الألفاظ وربطها بالمعاني التي لها علاقة بالأنواع البديعية في الآيات القرآنية دون غيرها، والكشف عن أسرارها الجمالية وصفاتها الأدبية.

---

(1) ينظر بديع القرآن ،لابن أبي الإصبع المصري ، ص94.

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة، ص17 وما بعدها.

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب الإيضاح ، ص259.

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب تجاهل العارف، ص50.

(5) ينظر المصدر نفسه ، باب الإفراط في الصفة، ص54.

11- أيضاً بيان إعجاز القرآن الكريم وإظهار القيم البديعية من خلال تطبيق الأنواع البديعية والاستشهاد بآيات الذكر الحكيم، واستنباط الاستدلالات المعنوية واللغوية عن طريق علاقة اللفظ بالمعنى.

12- وأبرز ما يميز منهج المؤلف في هذا الكتاب هو اختياره لاسم الكتاب وتخصيصه بالكيفية التي قدمها لنا في مقدمة كتابه مما زاد من جمال الكتاب وحسنه، واستنباطه لتلك الأنواع البديعية، التي حصرها كما سبق، ثم تميزه لها من حيث نقله إياها من سابقيه، والتي ادعاها وسلمت له اختراعاً وابتكاراً ضمن أعماله.

- إذاً استخلاصاً مما سبق لأهم ما يميز منهج ابن أبي الإصبع في مؤلفات علم البديع وقد حاولت استجماع قبساً من هذه الميزات التي بمنهجه وتميز بها عن غيره من علماء البلاغة:

1- فمن خلال كتبه وفحواها التي تم التعرف إليها سواء التي وقعت بين يدي أو التي عُرفت بواسطة الكتب الأخرى، أن ابن أبي الإصبع كان ينتهج في بعض الأحيان منهجاً تحليلياً مقارناً من حيث الموضوع والنوع كما في بعض الأنواع البديعية في كتابيه "بديع القرآن، والتحرير" في باب الاستعارة[1] على سبيل المثال لا الحصر، وأحياناً أخرى ينتهج منهجاً علمياً بحثاً، كما في كتابه "الخواطر السوانح"[2] في فصل يخص البديع، وتبويبه لكتابه تبويباً يليق بالموضوع وفروعه، فبان لي أن المؤلف له المقدرة على التنوع في المنهج.

2- حرص المؤلف على استهداف الأغراض البلاغية لفظاً ومعنى فتجسد ذلك في تنوع الأنماط البديعية الموصول إليها بالشرح واستيفاء المقاصد لها.

3- عند دراسة ابن أبي الإصبع الإعجاز من خلال الآيات القرآنية ثم الأشعار تميز منهجه بكثرة الموازنات التطبيقية في غير قليل من أبوابه المدروسة[3]. فابن أبي

---

(1) ينظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع ، باب الاستعارة ، ص17، وكتاب تحرير التحبير لنفس المؤلف، باب الاستعارة، ص97.

(2) ينظر كتاب الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع، ص63.

(3) ينظر إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، محمد إبراهيم شادي، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، بدون طبعة، سنة 1426هـ، 2005م، ص46.

الإصبع انتهج أوجهاً في منهجه لاسيما هذه التطبيقية من الموازنات الواضحة في عمله للأنواع البديعية في كتابه.

4- بالرغم من تنوع المنهج عند ابن أبي الإصبع في مؤلفاته إلا أن التقارب فيها جلي وإيجابي، وأن مبدأ التقسيم في عمله هو المعمول به ودراساته قائمة على أساسه، وأن ذلك مبني على التقصي في البحث والتحليل، إلى جانب الاختراع وكثرة الشواهد، مع حسن التوظيف لتطبيق القواعد وربطه بالأسلوب اللائق في مؤلفاته.

5- منهج ابن أبي الإصبع بالدرجة الأولى يهدف إلى تطبيق الأنواع البديعية التي درسها استشهاداً بالأمثلة سواء أكان ذلك من القرآن الكريم أو من الشعر ، مصحوباً بالتحليل وإبداء الرأي.

6- تميز منهجه بالطابع العلمي الذي يعتمد على عرض الحقائق بالصورة العلمية .

7- دراسة الشواهد المختلفة التي يتم استخدامها في الأنواع البديعية، والكشف عن أسرار البلاغة، وصفات الأدب ومميزاته واستخلاص الصور البلاغية المتمثلة في المحسنات البديعية المستهدفة في الدراسة، وإظهار جماليات الألفاظ والمعاني.

8- لاحظتُ من مؤلفات ابن أبي الإصبع التي أطلعتُ عليها الخاصة بالبديع أن هناك هدفاً موحداً تقريباً يكمن في بيان الإعجاز القرآني من خلال ما تحمله الآيات القرآنية من أسرار بلاغية وجماليات بديعية وأدبية.

9- حرصه على إحكام مسألة التقسيمات التي يتبعها ويسير عليها لإظهار الجديد من مخترعاته للأنواع البديعية التي سلمت له أخيراً.

10- انطلق ابن أبي الإصبع بأعماله نحو الجديد ليضيف عن سابقيه شيئاً من الجديد للبلاغة وذلك فيما قاله عن سبب تأليفه لكتابه "بديع القرآن".

- هذا مجمل ما يمكن أن يقال عن منهج ابن أبي الإصبع المصري في مؤلفاته لعلم البديع، ومحاولة إسهامه في إرساء أساسات الأنواع البديعية، وترصيعها بالجماليات اللفظية والمعنوية، لإظهار الحسن البديعي عليها، وإحداث شذرات التأثير في نفس المستقبل.

المطلب الثاني

بيان تناوله للقضايا البلاغية في كتابه "بديع القرآن" .

في تأليف ابن أبي الإصبع لكتابه "بديع القرآن" تعرض في بحثه وتجميعه للمعلومات لكثير من القضايا البلاغية المختلفة، وقد كان في منهجه المتبع يخوض في شرحه للمباحث الخاصة بالبديع . وفيما سبق تطرقت إلى منهجه ولكن في مؤلفاته بصفة عامة ، أما في هذا المقام فالحديث يخص منهجه في تناوله للقضايا .

ولذلك فقد يتداخل المنهج وتناول الموضوعات ببعضهما بعض، بمعنى آخر يرتبط المنهج بطريقة تناول القضايا المختلفة، ولكن المقصود هنا هو الكيفية التي لجأ إليها المؤلف في تأليفه، والتي كان عليها ترتيب أفكاره واستجماعها في كتابٍ واحدٍ، فتطرق إلى موضوعات علم البديع بالشرح والأدلة، وجمال عرضه وحسن استرساله للكلام بالموضوع الواحد، وقد كان تناوله للموضوع يختلف من باب إلى آخر من أبواب البديع فمنه الاقتصار ومنه التطويل ومنه ما بين هذا وذاك وسأبين ذلك – إن شاء الله تعالى– ومع ذلك الإيجاب كله إلا أنه أوقع نفسه في موقف النقد فأحببتُ أن أبدأ بما بدأ به من أبواب البديع وهو باب الاستعارة[1]، التي معناها: " تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه"[2].

فالناظر إلى كتابه "بديع القرآن" لاسيما في عنوانه تحديداً يتبادر إلى ذهنه أنه يدرس فيه البديع الذي في القرآن الكريم لا غير وقد فعل، إلا أنه ابتدأ بالأمثلة من الشعر[3] ثم بالأمثلة من القرآن الكريم التي من المفترض أن يبدأ بها من حيث مبدأ اسم كتابه، ولكن الجانب الإيجابي غلب على الجانب السلبي في عرضه للقضية بالأمثلة والتوضيح، وقد فعل ذلك في جُلِّ الموضوعات، فتناول الموضوع بالتعريف ومقارنة آراء العلماء وترجيح الرأي السديد في بعض الموضوعات كما في باب

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص17.

(2) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة ص97.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص18.

الاستعارة، فتناوُلهُ للموضوع بلاغياً يبدو بتسليمه لطبيعة الموضوع بمعنى أدق: أنه في بعض العناوين يسترسل الأمثلة والشرح بغض النظر عن تركيزه لنوع من الشواهد أو أكثر ولكنني لا أراه يعدل أو بالأحرى يساوي في التوضيح في بعض الموضوعات البديعية.

كما في باب المماثلة[1]، التي هي: "تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها في الزِّنة دون التقفية"[2]. أيضاً بعد تعريفه لها لم يقدم ابن أبي الإصبع فيها إلا الكلام القليل في صفحةٍ واحدةٍ من كتابه متناولاً ضمن الشرح أربع آيات قرآنية من سورة الطارق وآيةً واحدة من سورة يوسف "عليه السلام" ثم أتى ببيت شعري، فتناول هذا الموضوع بشيء من التبسيط والاختصار، كذلك فعل في "التحرير" باب المماثلة[3]، بينما صاحب الصناعتين تناول نفس الموضوع "المماثلة"[4] بشيء من الاتساع والشرح والأدلة، أي أنه كان على عكس ابن أبي الإصبع في تناوله لهذا الموضوع، كذلك في باب الإدماج[5] وهو: "أن يدمج المتكلم إما غرضا في غرض، أو بديعاً في بديع، بحيث لا يظهر في الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين، والآخر مدمج في الغرض الذي هو موجود في الكلام"[6]. وهذا الموضوع تناوله ابن أبي الإصبع بالتبسيط أيضاً فاستشهد في شرحه الذي لم يكد يتعدى الصفحة أو يزيد استدل بآيةٍ واحدة من القرآن الكريم ثم قارن بين الإدماج والمبالغة والمطابقة، فكان هذا التناول بمثابة الوصف فقط، أما في كتابه "التحرير"[7] فقد زاد في الشرح مثل الذي في كتابه "البديع" مع استدلاله لنفس الآية، ولم يطل الشرح لقصدٍ في نفسه –والله أعلم– أم أنه

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب المماثلة، ص107.

(2) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(3) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، باب المماثلة، ص297. تناول ابن أبي الإصبع موضوع المماثلة في التحرير بأن زاد فيه بعض الشيء، ويبدو أنه هنا قصد الاختصار، ينظر، التحرير، ص297.

(4) ينظر كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، باب المماثلة، ص389.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإدماج، ص172.

(6) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(7) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإدماج، ص449.

اكتفى بما قال . وهو أيضاً لم يطل في ذلك وبه يوافق ابن أبي الإصبع في طريقة شرحه وتقديمه للموضوع من حيث تقديم الشواهد وعرضها مع محدودية المعاني، وعند ابن منقذ كان الموضوع داخلاً مع باب التعليق فخالف بهذا ابن أبي الإصبع في العرض[1] أما في كتاب الإيضاح لموضوع الإدماج[2] فقد خاض فيه القزويني شرحاً مطولاً ملماً لجوانب الموضوع. أما عند باب سلامة الاختراع من الاتباع[3] وهو: "أن يخترع الأول معنىً لم يُسبق إليه ولم يتبع فيه"[4]. فقد اختلف الأمر في تناوله لهذا الموضوع اختلافاً بسيطاً، ففي كتابه "البديع" اقتصر على الاستدلال بآيةٍ قرآنيةٍ واحدة مع بعض الشرح والتعريف والطلب إلى النظر للموضوع ببلاغة غرابة التمثيل والمبالغة وخروجها مخرج الصدق لأنها من كلام الله عز وجل، وفي كتابه "التحرير" لنفس الباب[5] كان الأمر فيه اتساع في الشرح وزيادة، ولكن دونما إفراط، وهذا تناول آخر للموضوع ولنفس المؤلف وعلى العكس ما كان في كتاب العمدة فالتناول فيه كان مخالفاً حينما جاء في باب المخترع والبديع[6]. والشرح فيه وفير على خلاف ابن أبي الإصبع، فهذا الأخير كان تناوله للموضوع مبنياً على الاختصار متخذاً أسلوباً بلاغياً وجيزاً. وبين الاختصار والتطويل أحاول التطرق إلى التوسط في الشرح والتناول للموضوعات التي صال فيها وجال ابن أبي الإصبع كما في باب حسن البيان[7] الذي هو: "الإبانة عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة عن اللبس"[8] الذي كان تناوله البلاغي لهذا الموضوع بحد الاعتدال حيث يعرف ويوضح ثم يستدل بالآيات القرآنية بالشكل الوافي بالنسبة لكتابه "بديع القرآن" كذلك الحال موافقاً جداً لنفس المأخذ والتناول

(1) ينظر البديع في نقد الشعر، ، لأسامة بن منقذ، باب التعليق والإدماج، ص58.

(2) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، باب الإدماج، ص368.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب سلامة الاختراع من الاتباع، ص200.

(4) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب سلامة الاختراع من الاتباع، ص471.

(5) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(6) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، لابن رشيق القيرواني، باب المخترع والبديع، ج217/1.

(7) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن البيان، ص203.

(8) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن البيان، ص489.

للموضوع في كتابه "التحرير" لنفس الباب[1] إلا أن الاستشهاد بالشواهد يختلف فالأخير أكثر فيه من الشعر و في كتابه "البديع" لم يأتِ فيه إلا بالآيات القرآنية دون الشعر في هذا الموضوع.

أيضاً في باب التنظير[2] هو: "أن ينظر الإنسان بين كلامين إما متفق المعاني أو مختفي المعاني ليظهر الأفضل منها"[3] هو أيضاً كان فيه ابن أبي الإصبع سالكاً التوضيح بين الإيجاز والإسهاب من حيث عرض المعلومة، أيضاً مسألة الشواهد فيه كانت من الآيات القرآنية، ثم بعض الأبيات الشعرية وكل ذلك مصحوب بالتوضيح غير المطول مضمناً لمحتوى ومعاني الآيات والنظر إلى معاني الشعر. كذلك في موضعٍ آخر تناول ابن أبي الإصبع نوعاً آخر وهو موضوع الطباق[4] وهو عند ابن المعتز المطابقة ويقال: "طابقتُ بين الشيئين إذا جمعتهما على حذوٍ واحدٍ"[5]. تناوله بنمط توضيحي ليس بطويل شمل شرحه الاستدلال ببعض الآيات القرآنية دون الشعر، يوضح معاني الآيات القرآنية لتوظيف الطباق ومعرفته، ولم يستخدمه باسم المطابقة كمصطلح، كذلك في كتابه "تحرير التحبير" استخدمه باسم الطباق[6]، فكان تناوله فيه مساوياً أو متقارباً جداً بشرحه في كتابه "بديع القرآن" أي أنه لم يكن مخالفاً في الكتابين في تناوله لهذا الموضوع الذي لا قصر فيه ولا أطال.

أما في كتاب الصناعتين فإن صاحبه تناوله باسم المطابقة[7] وقد أطال فيه الشرح والتفصيل بشكل كبير وبه يخالف ابن أبي الإصبع في هذا الموضوع من حيث التناول والأخذ وفي العمدة لم يخالف صاحبه ابن أبي الإصبع في التناول والشرح كثيراً بل كان متقارباً معه إلا الشيء اليسير منه بل خالفه في التسمية حيث سماه

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص489 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التنظير، ص238.

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الطباق، ص31.

(5) كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، ص36.

(6) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب الطباق، ص111.

(7) ينظر كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، باب المطابقة ، ص339.

"المطابقة"[1] فوافق بهذا أبا هلال العسكري ولكن المعنى واحد لكلا الاسمين، أما صاحب الإيضاح فقد سماه أيضاً "المطابقة"[2] فخالف في التسمية ابن أبي الإصبع، ولكنه لم يخالفه في طريقة عرضه وتناوله للموضوع شرحاً، إذاً في هذا يكون ابن أبي الإصبع قد اقترب كثيراً من غيره الذين سبقوه والذين خلفوه عمراً في طريقة التناول لمثل هذه الموضوعات، بل وموافقاً لهم، والفارق بسيط وغير مؤثر.

أما الأبواب البديعية أو الموضوعات التي تناولها ابن أبي الإصبع بشيء من التطويل والإسهام في التعليق أو التحليل غير المخل بالمعاني كما في باب الإيجاز[3] الذي عنده هو: "اختصار بعض الألفاظ ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم"[4]. حيث تناوله ابن أبي الإصبع بالشكل الواسع مستمداً معلوماته وشرحه من الآيات القرآنية التي استدل بها في الموضوع ثم اتخاذه للأبيات الشعرية الوفيرة لتدعيم المعنى رابطاً الألفاظ بالمعاني ليضفي على الموضوع الأهمية والفائدة العلمية حتى وصل شرحه إلى عشرين صفحة من التوضيح والتعليل وهذا التناول يأخذ صفة الاتساع والتفصيل، ولم يكن يجعل الموضوع غامضاً ويتركه، بينما تناوله في كتابه "تحرير التحبير" ولنفس الباب[5] بوجه الاعتدال في الشرح ولم يصل به إلى ما وصل إليه في كتاب "بديع القرآن" وهنا الأمر فيه اختلاف بين التطويل وعدمه، أما في كتاب العمدة باب الإيجاز[6] لم يكن مؤلفه قد تناوله إلا بالشيء اليسير والموجز وهو لم يكن كما عند ابن أبي الإصبع، أما في كتاب الصناعتين في نفس الباب[7] فإن مؤلفه كان فيه موافقاً في الشرح والتناول المطول الذي استوفى فيه جوانب الموضوع وعناصره، أما

(1) ينظر كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، باب المطابقة ، ج5/2.

(2) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ، باب المطابقة ، ص333.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإيجاز، ص179.

(4) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(5) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإيجاز، ص459.

(6) ينظر كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ج207/1.

(7) ينظر كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص193.

في كتاب "المطول" باب الإيجاز أيضاً[1] فإن صاحبه تناوله باختصار شديد وهذه فروق في التناول بين هؤلاء المؤلفين لنفس الموضوع وهذا يعد اختلافاً جلياً في عملية الإحاطة بالموضوع والإلمام به.

كذلك الحال نفسه بالنظر إلى باب آخر كما في باب الإيضاح[2] عند ابن أبي الإصبع وهو: "أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه"[3]. من جهته أن هذا النوع البديعي – كما أوضحتُ سابقاً – أنه من أعماله غير المسبوقة ولهذا لا يظهر هذا النوع على ما بحثتُ في باقي كتب البلاغة المعروفة بهذا الاسم، فالمؤلف كان له هذا الموضوع في التناول بالوضعية المطولة جداً حملت التفسير والتوضيح بالإكثار من الشواهد القرآنية المتنوعة من عدة سور قرآنية ليضفي على الموضوع شيئاً من الإيضاح وجمال الوصف، تناوله أيضاً بإلمام جوانبه البلاغية المعنية، وعلى العكس من تناوله لنفس الموضوع في بابه[4] من كتاب "التحرير" أنه لم يكن شرحه فيه تطويل بل كان موجزاً بعض الشيء وهذا انتقال في التنوع للموضوع مع انفراده في تأليف هذا النوع البديعي إلا أنَّ تناوله له بالشرح كان له وجهان مختلفان.

ـ وإن اتفقت بعض التعريفات الواردة عند ابن أبي الإصبع مع بعض من سبقوه فقد اختلفت أحياناً من حيث الطول والإيجاز والصياغة والغموض والوضوح مع بعض تعريفات غيره . وأذكر منها على سبيل المثال استخدام ابن أبي الإصبع في تعريفه للاستعارة بأنها:" تسمية المرجوح الخفيّ باسم الراجح الجليّ"[5]صفة الاختصار بينما ابن المعتز عبر عن نفس الباب[6] بأسلوب أكثر وضوحاً من ابن أبي الإصبع وابن رشيق[7] نقله بعدة تعريفات مختلفة ، أما الجرجاني فأوضحها أكثر فقال بأنها:" هي أن

---

(1) ينظر كتاب المطول بشرح تلخيص المفتاح، للتفتازاني ، ص52.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإيضاح، ص259.

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإيضاح، ص559.

(5) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص19 .

(6) ينظر البديع ، لابن المعتز ، ص2 .

(7) ينظر العمدة ، لابن رشيق القيرواني ، ج224/1 .

يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"[1] أيضاً السكاكي عرفها بأنها:" أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"[2] ثم الرازي[3] فتعريفاتهم تكاد تختلف في الأسلوب وتتفق في المعنى، أما القزويني الذي جاء بعد ابن أبي الإصبع فإنه يقدم تعريف الاستعارة بأنها:" ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له "[4]بنفس المعنى وبأسلوبه الخاص . وأما من ناحية عدم الاتفاق في بعض التعريفات على سبيل المثال تعريف التجنيس عند ابن أبي الإصبع بأنه:" للتجنيس أصلان: هما جناس المزاوجة، وجناس المناسبة، تفرع فيها عشرة فروع: منها لفظي منها معنوي"[5]، يختلف تماماً عن التعريف عند ابن المعتز، وهو: "أن تجئ الكلمة تُجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[6] ، أما ابن رشيق فتعريفه ينتابه الغموض حيث يرجعه إلى ضروبه بأنه: "ضروب كثيرة منها المماثلة، والتجنيس المحقق، ومنه المضارعة، ومنه المشاكلة، ومنه المنفصل، والمضاف والمزاوجة، ومنه الطباق"[7]، ويختلف عنهم أيضاً الجرجاني في تعريفه للتجنيس وموقعه في العقل[8]، وأما عند الرازي[9] فيتقارب لتعريف السكاكي، أما السكاكي يعرفه بأنه:" تشابه الكلمتين

---

(1) أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجاني ، ص30 .

(2) مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص477 .

(3) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للرازي ، ص162 .

(4) الإيضاح ، للقزويني ، ص274 .

(5) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص27 .

(6) البديع ، لابن المعتز ، ص25 .

(7) العمدة ، لابن رشيق ، ج265/1 .

(8) ينظر أسرار البلاغة ، للجرجاني ، ص14 .

(9) ينظر نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للرازي ، ص87 .

في اللفظ"[1] فإن تعريف التجنيس عندهما يختلف عن غيرهما بأن ركزا على اللفظ والمفرد والمركب والتشابه في الألفاظ لا سيما عند السكاكي .

فالتعريفات عند ابن أبي الإصبع وغيره ممن سبقه كانت مختلفة بعض الشيء من حيث السياق للتعبير عنها على الرغم من الاتفاق الكبير في الوصول إلى معناها ومضمونها في أغلب الأنواع البديعية ، أما عن التعريفات التي لا تتفق في التعبير والمضمون فإنها قليلة ، ولهذا فإنني ألاحظ في كتاب ابن أبي الإصبع (بديع القرآن) أن تعريفاته الواردة فيه تأتي أحياناً على صورة تعريفات واضحة وأحياناً تكون بصفة تحديد الأنواع فقط ، وأحياناً بالإشارة إلى التعريف أي أنها متعددة الصور والأنواع ، فهي لم تأتِ على نمط واحد في التقديم وهذا يرجع إلى كيفية تناول القضايا في العرض والتبيين في كتابه .

إذاً فابن أبي الإصبع يتعامل مع القضايا البلاغية بطريقة مرنة وفيها لياقة أدبية، فكما أوضحتُ آنفاً مع الأمثلة السابقة أنه أحياناً يتناول الموضوع بشكل واسع وكثير الجوانب، وأحياناً أخرى يتناوله بشيء من الاقتصار على المعنى والوصف فحسب، أي إنني أستطيع القول بأنه متنوعُ التناول حيال تعرضه لمثل هذه الموضوعات، ويبدو أنه لا يكترث لغيره في الشرح بمعنى آخر إنه لا يلتفت كثيراً إلى التقليد والتتبع في الكتابة والتحليل كما سبق توضيحه، وأنه يعالج القضايا البلاغية، ويكشف عنها بعض الأمور الغامضة التي تكون في مغزاها أسرارٌ بلاغية هامة فيقدمها بالشرح والتوضيح والتوظيف تبعاً لذلك .

---

(1) مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص539 .

المطلب الثالث

أسلوبه في عرضه للقضايا .

فإن الأسلوب الذي تميز به ابن أبي الإصبع المصري بشكل عام، هو أنه ليس بالمعقد، ولا بالركيك في الوقت ذاته إنما كان يتميز باللطافة والعذوبة، وأنه قادر على إيصال المراد بالشكل المناسب كما يلي:

1- سلك ابن أبي الإصبع في مؤلفاته الأسلوب العلمي بالدرجة الأولى الذي يقوم فيه بالتحليل وإبداء الرأي ومناقشة المفسرين في ذلك كما في كتابه "بديع القرآن" في موضوع "جمع المختلفة والمؤتلفة"[1] يرجح الرأي ويقدم الحجة العلمية بالشواهد لاسيما الشواهد القرآنية ثم الشعرية .

2- وفي "تحرير التحبير" كذلك كان أسلوبه المسلوك فيه الأسلوب العلمي الذي يعتمد على أداء الحقائق والدقة والبحث والاستقصاء كذلك الأسلوب الأدبي الذي غايته اللذة والتأثير[2]. كذلك توظيفه لهذا الأسلوب الأدبي في كتابه كما في باب ائتلاف اللفظ مع الوزن[3]. والأمثلة على ذلك كثيرة من الأنواع البديعية التي جمعها المؤلف ابن أبي الإصبع في كتابه.

3- أيضاً في كتابه "الخواطر السوانح" استخدم المؤلف نفس الأسلوب العلمي الذي يتفوق فيه ذوق العالم على ذوق الأديب إلا في القليل النادر فإنه يلتزم الأسلوب العلمي الأدبي للإفادة والتأثير وكذلك عند المقارنة وتوظيف ذلك عندما درس موضوع الفواتح المعجمة والمعربة، ومقارنته لها وبين الإشارات في شعر الفحول، ودراسة مقابلة الحروف والأرقام بالطريقة الحسابية[4]. فعند دراسته لفواتح سور القرآن الكريم ومعارف أخرى كعلوم الفلك والحساب والحروف، ومقارنتها بمعطيات أخرى مشابهة في شعر الشعراء، فهذا الأسلوب علمي أدبي مقارن.

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب جمع المختلفة والمؤتلفة، ص127.

(2) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص62.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص221.

(4) ينظر الخواطر السوانح في أسرار الفواتح، لابن أبي الإصبع المصري، ص63.

4- كذلك أسلوبه كان يميل إلى السهولة والتبسيط محاولاً الابتعاد عن أسلوب الغموض والإبهام، وتغلب السهولة والرقة والانسجام عليه، مع حسن الذوق والمحافظة على المعنى عند شرح الآيات أو الشواهد البلاغية، وحسن اختيارها وتحليلها، مع العناية بالجانب التطبيقي في بعض المسائل الأدبية والبلاغية كما في استشهاده ببعض الآيات القرآنية في الأنواع البديعية كما في التشبيه [1].شرحه وتفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[2].

ذلك تشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه، مع عذوبة الألفاظ وحسن الدلالة، وقوة المعاني[3]. كذلك من مسائل التحليل الأدبي والبلاغي تعليقه أن في التشبيه نوعاً آخر فيه تقدير الأداة كما في شعر امرئ القيس (الطويل):

مُهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضة ** ترائبُها مصقولةٌ كالسّجَنجلِ[4]

والمعنى: أن المهفهفة: الضامرة اللحم وخفيفة الحجم، والمفاضة: ضخمة البطن، والسجنجل: المرآة بالرومية ، والترائب: موضع القلادة من الصدر، ومصقولة: مجلوة[5]. فهذا ضرب من أسلوبه في السهل البعيد عن التعقيد اللفظي والمعنوي وعن غريب الكلام وركاكته.

5- كذلك من مميزات أسلوب ابن أبي الإصبع كثرة الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وشواهد الأبيات الشعرية، مع ميله إلى الاهتمام بالأسلوب القرآني لاسيما الأسلوب البلاغي فيه ، على سبيل المثال ما في التجنيس والطباق[6]. استحضار المؤلف للشواهد القرآنية بكثرة دليل على اهتمامه بها وحرصه على تقديم التفسير

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، باب التشبيه ، ص58 .

(2) سورة النور، الآية 39 .

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، باب التشبيه، ص58.

(4) ديوان امرئ القيس، ص115.

(5) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب التشبيه، ص161، ينظر ديوان امريء القيس ، ص115.

(6) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التجنيس والطباق ، ص27 ، 31 .

والتبيان لها، وكذلك الأحاديث النبوية ثم الشواهد الشعرية فيربط العلاقة البلاغية والنقدية بينها بشيء من رونق الأسلوب البلاغي والأدبي.

6- إن ابن أبي الإصبع كان يميل في أسلوبه الكتابي إلى التعبير البديعي الواضح من عباراته في توصيل الفكرة ، ويظهر ذلك في أغلب أبواب كتابه ولكن على سبيل المثال الكناية والتورية[1]،أي أنه أكثر من استخدام الأنماط البديعية دراسةً وكتابةً حتى شغف بالبديع وضروبه وأمثلته قرآناً وحديثاً وشعراً، كما في كتابه "البديع" الذي ركز فيه على البديع في القرآن الكريم، وكذلك كتابه "التحرير" قرآناً ثم كتابه "الخواطر السوانح" درس فيه أسرار الفواتح للسور القرآنية وحروفها، كذلك علوم الفلك من الناحية البديعية، حتى اتسم أسلوبه بهذا الطابع البديعي الجميل، وبوضوح أكثر فأمثلة هذا الأسلوب كثيرة جداً منها على سبيل المثال لا القيد: الاستعارة[2]، حيث شرح المؤلف أطرافها واستخدم الألفاظ استخداماً رائعاً ثم عرض الرأي العلمي للموضوع.

ومن الأمثلة التي استشهد بها المؤلف في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[3]، فإن الشرح الذي قدمه المؤلف تضمن النقل البديع للمعاني حيث تكلم عن أطراف الاستعارة كالمستعار منه وهو "الشراء" هنا، ثم تحدث عن ترشيح لفظي الاستعارة في الآية الكريمة وهما: "الربح والتجارة" لِمَا بين الشراء والربح والتجارة[4] من علاقة .

ومن الشعر نقل المؤلف بعضه مثل قول الشاعر زهير (الطويل):

لـــدى أســـدٍ شـــاكي الســـلاح مقـــذَّفٍ ** لـــــه لبـــدٌ أظفـــارُه لـــم تُقلَّـــم[5]

وفي هذا المقام شرح المؤلف بنفس الأسلوب البلاغي الاستعارة ووضح إفادتها المبالغة في التشبيه فالتبست به، كما أنه ينبه على أن من حق الاستعارة أن يطوى

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الكناية والتورية ، ص53 ، 102 .

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب الاستعارة، ص17.

(3) سورة البقرة، الآية 16.

(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص19.

(5) ديوان زهير ابن أبي سُلمى، ص84.

منها ذكر المستعار فلا يعرف إلا من فحوى الكلام المقصود[1]. ولهذا سمى هذا الأسلوب بالأسلوب البديعي، لأنه يدور حول البلاغة والأنواع البديعية، كذلك يتجلّي أسلوب المؤلف هذا في أنواع أخرى من الأنواع البديعية مثل الكناية[2]، التي شرح معناها بأسلوب بديع في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[3]، فقال هي كناية عن الجماع على أصح القولين، والسر: هو النكاح[4]. وفي أسلوب بديعي آخر من المؤلف يوظف البديع توظيفاً تطبيقياً في باب التصريع[5]، عندما تطرق إلى شعر امرئ القيس في بيته الذي قاله من (الطويل):

ألاعِمْ صباحاً أيها الطلل البالي ** وهَلْ يعمن من كان في العصر الخالي[6]

وهذه من تحيات الجاهلية لكونها في أوقات الليل والنهار، والطلل، ما شخص من الآثار[7]. وذاك في مثال التصريع العروضي ، أما في مثال التصريع البديعي كذلك عندما استدل المؤلف بشعر نفس الشاعر والقصيدة نفسها في البيت:

ألا إنني بال على جَمَل بَال ** يقود بنا بَال ويتبعنا بَال[8]

وفي معنى البيت: بال، مضى بالحب، على جمل بال، كأنه القوس في ضموره وانحنائه لقطعة الفيافي في الهواجر، أي أن الجمل ضمر من كثرة السفر والترحال يشبهه بالقوس في الانحناء، وأما القائد والتابع هما في قصد الشاعر الغلامان اللذان يرافقان المسافر في السفر ووصفهما بأنهما هزيلان وذلك من أثر الأسفار، وأثر

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص26.
(2) ينظر المصدر نفسه ، باب الكناية، ص53.
(3) سورة البقرة، الآية 235 .
(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الكناية، ص54.
(5) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، باب التصريع، ص305.
(6) ديوان امرئ القيس، ص122.
(7) ينظر ديوان امرئ القيس، ص122.
(8) المصدر نفسه ، ص126.

الخدمة والرعاية والعمل نهاراً وليلاً من تعب السهر والحرص على أصحابهما[1]. وهذا من الأسلوب البديعي الذي سلكه المؤلف وأضفى عليه شيئاً من الرونق والجمال في السياق، وقد سقتُ تلك الأمثلة البلاغية التي تقصد البديع بالدرجة الأولى لتوضيح أنواع البديع والتفريق بينها كأمثلة تفادياً الإطالة بذكرها كلها.

7- أما من ناحية توظيفه للبديع من حيث الإسراف فيه من عدمه، فإنه لا يبدو لي أنه مُسرف في البديع، فعند الاطلاع على تعليقات المؤلف على الشواهد التي أوردها توضح أنه لم يسرف في استعمال البديع، لأنه قصد في كتابه ودراسته أنماط البديع ، فمن الطبيعي أن يقدم الشواهد والشروحات لها، أيضاً لم يحمّل الشواهد والنصوص أكثر مما يجب أن تتحمل، بل إنه أورد ألواناً فهذبها واتخذ مبدأ تطبيق الشواهد وتحليلها، وتقديم تعاريف ألوانه البديعية، فنشأ عن ذلك التحليل الكشف عن سر الجمال الموجود فيها، واستخراج ما بها من ألوان بديعية مختلفة ،على سبيل المثال باب المساواة والإشارة والإرداف والتمثيل[2]. حيث قدم المؤلف تحت هذه الأنواع البديعية على سبيل المثال في كتابه قدم النمط ثم التعريف به ثم مسألة إتيانه شواهد كل نوع منها ثم يختم لها بالشرح والتعليق البلاغي . فعمل استخراج الشواهد والقيام بتحليلها ومحاولة التطبيق الفعال للألوان البديعية، ثم محاولة الكشف عن سر الجمال الموجود فيها أصلاً هو في حد ذاته نوع الأسلوب الذي يوصل إلى النتيجة العلمية المرجوة، إذ أنه ليس من السهل الوصول إلى مثل هذه النتائج، أو سلك مثل هذه الأساليب، ولهذا كان ابن أبي الإصبع واحداً ممَنْ سلك ذاك الأسلوب إن لم يكن أبرزهم، مع كثرة شواهده، وتنوعه للشواهد البديعية في كتابه .

---

(1) ينظر ديوان امريء القيس ، ص126 .

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص79 ، 82 ، 83 ، 85 .

المطلب الرابع
بيان ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه

لـم تتوافـق مبـادئ ترتيـب مباحـث علـم البـديع عنـد علمـاء البلاغـة، ولا أعنـي اختلافهم في وجهات النظر العلمية إنما قصدتُ من ناحية التدوين والتقسيم من حيث اللفظ والمعنى، بمعنى آخر أن منهم من جعلها بشكل مختلط في كتبهم ، ومنهم من قسم ورتب الأنواع البديعية فجعلوها محسناتٍ لفظية وأخرى معنوية فكان ترتيب مباحث علم البديع عند بعضهم حسب اللفظية وسموها محسنات لفظية ورتبوها بالعدد الذي يرونه مناسباً، أو حسب المعنوية وسموها محسنات معنوية ورتبوها بالشكل الذي وصلت إليه.

ومن هؤلاء الذين قالوا بهذا الترتيب _ لفظية ومعنوية _ كثيرون أمثال السكاكي في مفتاحه، والقزويني في إيضاحه، والذين لا يرون بهذا الترتيب بل جعلوها مختلطة من حيث الترتيب هم أيضاً كُثُر كابن المعتز ، وأسامة بن منقذ ، وابن أبي الإصبع وما يهم في هذا الصدد هو ابن أبي الإصبع في ترتيبه لمباحث علم البديع في تحريره وبديعه على سبيل المثال لا العد .

فابن أبي الإصبع المصري لم يرتب مباحث علم البديع على أساس مبدأ اللفظية والمعنوية إنما خالف بعض علماء البلاغة ووافق بعضهم و جعل ترتيبه مختلطاً مثله مثل أسامة بن منقذ وابن المعتز وقدامة بن جعفر، كما قال ابن أبي الإصبع في كتابه "تحرير التحبير" في مثل هذا الصدد: "ولما أخذت في ذلك عنَّ لي استنباط أبواب تزيد بها الفوائد، ويكثر بها الإمتاع، نسجاً على منوال من تقدمني"[1]. وقد قصد بذلك في مقدمته تلك العلماء الذين سبقوه واطلع على كتبهم وقد يكون تأثر بهم وانتهل من مناهلهم[2].

---

(1) تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، ص94.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص3 مقدمة المؤلف وما بعدها.

فقد رتب ابن أبي الإصبع مباحث علم البديع في كتابه "بديع القرآن" ترتيباً أظهر فيه أنه أدمج اللفظ بالمعنى في الترتيب، أي أنه لم يخصص قسماً للأنواع البديعية اللفظية وقسماً للمعنوية، ولكنه جعل الترتيب لها مختلطاً ومتداخلاً أي يكون النوع البديعي على سبيل المثال محسناً بديعياً معنوياً واحداً كالاستعارة[1]، ثم يلحقه بنوع آخر من المحسنات البديعية اللفظية "كالتجنيس"[2] مثلاً، ثم الطباق ثم رد الأعجاز على الصدور وهكذا، مع ما لاحظته في كتابه ولكن الأمر ليس مطلقاً وجبرياً إنما يغلب عليه هذا النظام المتبع في ترتيب أول المباحث ثم يكون الترتيب مختلطاً وبشكل عشوائي كالذي بدأ به المؤلف وهو "الاستعارة" فكان الحال كذلك مع ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه "تحرير التحبير" حيث كان النظام في ترتيبه مطابقاً جداً لكتابه "بديع القرآن" أيضاً بدايته كانت الاستعارة[3]، إلا أن عدد المباحث أو الأبواب كان أكثر عدداً وذلك راجعٌ إلى طبيعة تأليف الكتاب – تحرير التحبير – لأنه يدرس البديع عموماً بخلاف كتاب "بديع القرآن" الذي يدرس البديع في القرآن الكريم، فطريقة تناوله للمباحث في كلا الكتابين كانت متوافقةً ومتطابقةً ولا اختلاف فيها.

ولا أعلم ما إذا كان ابن أبي الإصبع قد عمد إلى هذا الترتيب بمبدأ علمي أم أنه قصد ترتيباً حسب الألفاظ والمصطلحات، وأعتقد أنه مال إلى منهجه ذلك في الترتيب ورأى أنه الأنسب لمباحث كتابه الخاصة بعلم البديع من حيث الإقناع والاستفادة ، بحيث يقدم النوع البديعي لوحده ثم يتقدم بتعريفه وتوضيحه وتدعيمه بالشواهد المتنوعة في الغالب بين شواهد قرآنية وشعرية والشرح لها قد يكون مطولاً أو موجزاً كما أسلفتُ آنفاً.

وأنه بهذا لم يكن ابن أبي الإصبع منفرداً أو مبتدعاً في هذا النمط من الترتيب لمباحث علم البديع بل وافق غيره، ووافقه أيضاً بعضٌ من علماء البلاغة حتى وصل بترتيبه هذا إلى مائةٍ وثمانية أبواب من المحسنات البديعية.

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة، ص17 وما بعدها.

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب التجنيس، ص27

(3) ينظر تحرير التحبير، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص97 وما بعدها.

فابن أبي الإصبع يكون قد خالف بعض علماء البلاغة في ترتيبه لمباحث علم البديع من حيث وضع نظام للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية فعلى سبيل المثال من هؤلاء العلماء السكاكي المتوفى سنة 626 للهجرة فهو قبل ابن أبي الإصبع زمناً، والذي رتب مباحث علم البديع على قسمين أحدهما معنوي والآخر لفظي[1] ومثال من جاء بعده هو الخطيب القزويني المتوفى سنة 739 للهجرة الذي رتب مباحث علم البديع على نمط السكاكي بحيث جعلها تحت نوعين تقسيم معنوي وآخر لفظي كما في كتابه الإيضاح[2].

وبهذا يكون قد خالف ابنُ أبي الإصبع بترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه هذا الترتيب، أما الذين وافقهم ابن أبي الإصبع من علماء البلاغة في مسألة ترتيب مباحث علم البديع أمثال ابن المعتز المتوفى سنة 296 للهجرة، الذي رتب مباحث علم البديع بترتيب لا يخضع للتقسيم السابق بين المحسنات البديعية المعنوية واللفظية، وإنما كان ترتيبه كما في كتابه "البديع" الذي ابتدأها بالاستعارة[3] ثم باقي الأنواع الأخرى التي تناولها بالشرح، كذلك الحال مع أسامة بن منقذ المتوفى سنة 584 للهجرة فقد وافقه ابن أبي الإصبع في ترتيبه لمباحث علم البديع كما في كتابه "البديع"[4] من غير تقسيم لها يذكر، بل كانت جميع المباحث مرتبة ومندرجة مع بعضها كما فعل ابن أبي الإصبع في كتابه.

إذاً فابن أبي الإصبع لم يكن في ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه "بديع القرآن" مخترعاً بل إن هناك من سبقه في ذلك، ولهذا يكون احتمال التقليد في ترتيب المباحث في كتابه وارد، واحتمال الاجتهاد في الترتيب لها أيضاً وارد، وأنه في الوقت ذاته لم يسر على خط الذين سبقوه في هذا التقسيم النوعي للمحسنات البديعية بقسميها المعنوي واللفظي بالشكل الوارد آنفاً، بل وإنه أتى بترتيب رآه الأصلح والأفضل لتلك

(1) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي، ص533.

(2) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص333.

(3) ينظر كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، ص3 وما بعدها.

(4) ينظر البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، ص12 وما بعدها.

المباحث لاسيما التي في كتابه، على الأقل ألتمسُ له هذا المبدأ، وأن هذا الترتيب في المباحث مسبوقٌ إليه كما أسلفتُ ، ومع ذلك فإنه من الصعب الجزم ما إذا كان ابن أبي الإصبع قد بنى فكرته على أساس النوع أم على المعنى، ومع ذلك فالواضح أنه بنى فكرته على أساس دمج الأنواع العديدة حتى قرر بدايتها بجانب أساسي في البلاغة وهو الاستعارة كما في كتابه "بديع القرآن" وهذا الدمج في الترتيب أظهر الشكل النهائي للمحسنات البديعية المعنوية واللفظية، ورتبها بالكيفية التي كانت في كتابه، مبتدأً إياها بباب الاستعارة، وخاتماً لها بباب حسن الخاتمة وحصرها بعدد أبوابها الذي وصل إلى مائة وثمانية أبوابٍ في كتاب واحد سماه "بديع القرآن" .

المبحـــث الثـــالث

مصادره في مباحث علم البديع
في كتابه والموازنة بينه وبين السكاكي والقزويني (نموذجاً) منهجاً وأسلوباً ومسألة التأثير والتأثر

المطلب الأول – مصادره في مباحث علم البديع في كتابه

المطلب الثاني – موازنة بينه و بين السكاكي والقزويني (نموذجاً) منهجاً وأسلوباً

المطلب الثالث – مسألة التأثير و التأثر

المطلب الأول

مصادر ابن أبي الإصبع في مباحث علم البديع

المصـادر والمراجـع لهـا فوائـد علميـة وأدبيـة وفكريـة، لاسـيما إن كانـت مـن المصادر الغنية بالمعارف، وهي تعد دعائم المؤلفات وشراييها، بل تعمل على تقوية الأسفار وزيادة قيمتها العلمية. وقد درج بعض العلماء على ذكر مصادرهم التي اعتمدوا عليها في تأليف ما كتبوا ومن هؤلاء ابن أبي الإصبع فقد ذكر في مقدمة كتابه البديع حوالي ستة وثمانين مصدراً اعتمد عليها في تأليفه لكتابه، وقد كانت تلك المصادر على النحو التالي :

1_ كتب علوم القرآن الكريم : مثل كتاب إحياء علوم الدين ، للغزالي ، وكتاب جواهر القرآن للغزالي[1] ، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى لفخر الدين بن الخطيب[2]

2_ كتب الحديث : لم يذكر منها المؤلف في كتابه كما فعل مع الكتب الأخرى إنما ذكر كتاب شرح حديث أم زرع، للقاضي عياض[3] .

3_ كتب التفسير : وهي عديدة منها كتاب "الكشاف"[4] للزمخشري المتوفى سنة 538هـ ، أيضاً كتاب الوسيط في التفسير للواحدي، وكتاب تفسير ابن عطية[5].

4_ كتب الآداب : كتب الآداب والطرائف الأدبية كثيرة جداً التي استخدمها ابن أبي الإصبع في مباحث كتابه منها: كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، وكتاب المقامات

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، ص10 مقدمة المؤلف .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص5 مقدمة المؤلف .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص11مقدمة المؤلف .

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص5 من مقدمة المؤلف .

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص6 من مقدمة المؤلف .

للحريري[1] المتوفى سنة 516 للهجرة، وكتاب الأمثال للميداني[2] وكذلك كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصبهاني[3].

5_ كتب البلاغة : هي كثيرة أيضاً في كتابه، مثل نقدي قدامة[4]، وقدامة بن جعفر متوفى سنة 337 للهجرة هو من الأجيال السابقة لابن أبي الإصبع، وكذلك كتاب البديع لابن المعتز[5] وعبد الله بن المعتز المتوفى سنة 296 للهجرة وهو من السابقين للمؤلف ابن أبي الإصبع، ومن أهم كتب البلاغة آنذاك كتابا "دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة"[6] للجرجاني المتوفى سنة 471هـ وكذلك كتاب "الصناعتين"[7] لأبي هلال العسكري المتوفى سنة 395 للهجرة، وكذلك كتاب "العمدة"[8] لابن رشيق القيرواني المتوفى سنة 464 للهجرة، وهما أيضاً سابقان لعهد المؤلف.

6- كتب إعجاز القرآن الكريم: منها كتاب النكت في الإعجاز[9] للرماني المتوفى سنة 384 للهجرة، وهو مخطوط ومحفوظ بدار الكتب المصرية[10]، منذ ذلك العهد حتى أبصر النور مع الطباعة وهو من المصادر التي تعنى بعلوم القرآن الكريم ومعاني آياته الكريمة، أيضاً كتاب "الإعجاز"[11] للباقلاني المتوفى سنة 403هـ .

7- كتب اللغة: مثل كتاب كفاية المتحفظ لأبي اسحاق الأجدابي[12] .

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص12 من مقدمة المؤلف.

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص7 من مقدمة المؤلف.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص9 من مقدمة المؤلف.

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص4 من مقدمة المؤلف.

(5) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(6) ينظر المصدر نفسه ، ص5 من مقدمة المؤلف .

(7) ينظر المصدر نفسه ، ص4 من مقدمة المؤلف .

(8) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(9) ينظر المصدر نفسه ، ص4 مقدمة المؤلف .

(10) ينظر المصدر نفسه ، ص5 من مقدمة المؤلف.

(11) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(12) ينظر المصدر نفسه ، ص12 مقدمة المؤلف .

8- كتب التاريخ والتراجم: مثل كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، وكتاب دمية القصر للباخرزي[1] .

9- كتب النقد: مثل كتاب قلائد العقيان لابن خاقان[2]، ورسالتا الحاتمي في الشعر للحاتمي[3] ، وكتاب المنصف لابن وكيع[4] ، وغيرها كثير ولا أودُّ الإطالة لأنها لا طائل منها في هذا المقام، وهذه الكتب لاشك أنها ذات قيمة علمية عالية، لاسيما وإنها من أقلام وأفكار علماء علا صوتهم آنذاك، والتي جمعت بين القِدم والأصالة، وهي في تاريخها قد سبقت عهد المؤلف، وبعضاً منها كانت تقرب عهده، ومنها ما وقع في عصرنا بين رحى التحقيق والدراسة، ودخلت مرحلة الطباعة، ومنها ما هو مفقود .

10- كتب ذات علاقة بموضوع كتابه: من ناحية عنايتها بالموضوع من عدمها فإن المؤلف يصرح في كتابه "بديع القرآن" أنه سعى في تأليفه بمقابلة العلماء في علم البيان، بل كل من له عناية بتدبُر القرآن الكريم ومعانيه، ومَنْ له نظرة في نقد جواهر الكلام ثم يقول جمعته من كتاب وكتابين، ويشير إلى الكتب التي منها ما هو منفرد بهذا العلم، ومنها ما هذا العلم داخل في أثنائه ، ويمثل لذلك بقوله: كنقدي قدامة ويسرد باقي الكتب مع مؤلفيها[5]، التي أشرتُ إلى بعضها، والواضح أنها كتب بلاغية وأخرى أدبية، أيضاً كتب في علوم القرآن الكريم والتفسير، واللغة.

11- كتب رجع إليها مباشرة: من حيث كون المصادر التي استعان بها المؤلف موجودة ومعروفة أم أنها نادرة ومفقودة. فمن خلال عرضه لتلك المصادر العلمية في كتابه المعنى اتضح أن جُلَّها موجود ومعروف، والدليل على وجود تلك المصادر وشهرتها أن المؤلف كان قد ذكر الكتب التي استقى منها المعلومات دونما تعليق، أما المفقود منها فإنه يشير إلى أنه لم يقف عليه وربما يكون عرف فحواها من كتب أخرى،

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص8 مقدمة المؤلف .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص11 مقدمة المؤلف .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص10 مقدمة المؤلف .

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص7 مقدمة المؤلف .

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص4 من مقدمة المؤلف .

فالموجود عنده منها عندما يذكرها صراحةً بقوله: "جمعته من كتاب وكتابين"[1]، ثم ذكر المصادر واحداً تلو الآخر مع ذكر اسم مؤلفه مثل كتاب "الوسيط في التفسير"[2] للواحدي، وكتاب "البيان والتبيين"[3] للجاحظ.

12- كتب مفقودة: المصادر التي عَرفَها المؤلف ونقل منها ولكنه يشير إلى أنها مفقودة، ومثال ذلك: كشفه عن مصدر واحد مفقود كتاب "الحالي والعاطل"[4] للحاتمي، ويصرح ابن أبي الإصبع بأن الحاتمي في كتابه "الحلية" قد أشار إلى الكتاب الأول "الحالي والعاطل"، أنه لم يظفر بمن يعترف بوقوفه عليه، إلا ابن منقذ في (بديعه) [5]، وهذا يعني أنه مفقود ولم يقف عليه مع عثوره على كتاب "حلية المحاضرة"، أما باقي المصادر المدونة في كتابه فإنه لم يشر إليها بأنها مفقودة، بقدر ما أشار إلى الاستعانة بها والتزود منها بحثاً في كتابه "بديع القرآن". وهذا يعني أنه وقف عليها جميعها على أغلب الظن -والله أعلم-.

وهناك إشارة من محقق كتاب "بديع القرآن" في هامش تحقيقه إلى عدة كتب بأنه لم يقف عليها ويصفها بأنها مفقودة مثل: كتاب الحاتمي "الحالي والعاطل"[6]، وكذلك كتاب "تزييف نقد قدامة له"[7]، و"رسالة الآمدي في الرد على قدامة"[8]، أيضاً كتاب "كشف الظلامة للموفق البغدادي"[9]، وكتاب "الجامع الكبير في التفسير للرماني"[10].

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص4 من مقدمة المؤلف .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص6 ، من مقدمة المؤلف .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص8 ، من مقدمة المؤلف .

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص4 ، من مقدمة المؤلف .

(5) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها ، من مقدمة المؤلف .

(6) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها ، من هامشها .

(7) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها ، من هامشها .

(8) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها ، من هامشها .

(9) ينظر المصدر نفسه، ص5 ، من هامشها .

(10) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها ، من هامشها .

وكذلك كتاب "التفسير لابن صمادح"[1]، وغير هذه الكتب التي وصفها بأنها غير موجودة وأنه لم يعثر عليها فيما لديه من مصادر أثناء بحثه آنذاك، بينما المؤلف ابن أبي الإصبع لم يشر إلى فقدانها بل أشار إلى وقوفه عليها وإعداده لها أنها من المصادر في كتابه .

13- كيفية نقل المؤلف من المصادر: من خلال أبواب البديع في كتابه "بديع القرآن" يتضح أنه راجع المصادر والكتب فينقل عن مؤلفيها ويقارن أحياناً أو يوازن بينهم، ويظهر ذلك واضحاً من تعبيره وأسلوبه في باب الاستعارة على سبيل المثال بعبارات مثل: "فقال الرماني"[2]، وتارةً يقول: "وأبطل ابن الخطيب ذلك"[3]، ومعنى هذا كما فهمتُه من المضمون أو الشرح أن المؤلف ينقل من كتب المؤلفين ويطلع على آرائهم العلمية إزاء الموضوع، ثم يشير إلى ذلك في كتابه وبأسلوبه الخاص، وكذلك ساق في باب تجاهل العارف، بأن ذلك تسمية ابن المعتز[4] ولم يذكر كتابه، وإذا ما أردنا التحقق من ذلك في كتاب ابن المعتز لوجدناه فعلاً بعبارة "ومنها تجاهل العارف"[5]، فقد سمَّاه ابن المعتز بهذا الاسم دون غيره من العلماء، وقد تكرر ذلك الأسلوب للمؤلف في أبواب عدة من البديع، فأشار في باب آخر مثل: باب التمثيل بأنه قد "فرَّعه قدامة"[6]، وفي الواقع عند قدامة في كتابه المرجوع إليه اتضح أن العنوان كما هو[7]، والأمثلة في ذلك كثيرة ولكنني أردتُ تأكيد أن المؤلف كان حريصاً على نقل المعلومة وربطها بالموضوع وبصاحبها الأصلي، ولكن دونما أن يذكر لنا اسم كتابه في أبواب أو مباحث علم البديع، ولكنه في ذكر أسماء تلك المصادر ومؤلفيها مسبقاً في مقدمته لهذا الكتاب كان واضحاً، ويبدو أنه بأسلوبه هذا قد اكتفى بإيصال المعلومة للقارئ وبالربط بين المعلومة والمصدر وصاحبه، وقد أشرتُ إلى ذلك آنفاً، فقد ذكر المصادر ومؤلفيها جملةً وعلى الترتيب ضمن موضوع الكتاب وقبل

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص6 ، من الهامش .

(2) المصدر نفسه ، ص17 ، باب الاستعارة .

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) ينظر المصدر نفسه ، باب تجاهل العارف، ص50.

(5) كتاب البديع، لابن المعتز، ص62.

(6) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التمثيل، ص85.

(7) ينظر نقد الشعر، لقدامة بن جعفر، ص158.

شروعه في مباحث علم البديع التي رتبها في كتابه وهي كثيرة، وقد سقتُ منها بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر مخافة الإطالة في السرد.

14- مفاد القول: إن هذا الكتاب في جملته تظهر فيه الروعة والاستفادة العلمية لاسيما إذا ما أُمعِنَ النظر في مصادر بحثه التي أوردها المؤلف في كتابه، مع التركيز الجيد على الكتب التي كانت معروفة في عصره، وباتت في عصرنا هذا من الكتب النادرة أو حتى المفقودة ، ومن هذه الكتب الشهيرة والمفقودة كتاب "نظم القرآن"[1] للجاحظ، الذي بات مغيّباً يُسمع عنه ولم يُر، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على اهتمام المؤلف، وثقافته وأصالة تأليفه، وقوة همه، والهدف العلمي للمؤلف والكتاب، وذلك شيء من التبسيط عن المصادر العلمية التي استخدمها ابن أبي الإصبع المصري في كتابه "بديع القرآن" التي لم أستطع أن أوفيها حقها من التبيان والتوضيح لما لها من قيم علمية وأدبية ،وإنما ذلك للتوضيح والعلم ليس إلا...!

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص8 من مقدمة المؤلف .

المطلب الثاني

موازنة بين ابن أبي الإصبع والسكاكي والخطيب القزويني (نموذجاً) منهجاً وأسلوباً .

أولاً – منهج وأسلوب السكاكي

ثانياً – منهج وأسلوب الخطيب القزويني

أولاً – منهج وأسلوب السكاكي :

منهج وأسلوب ابن أبي الإصبع سبق الحديث عنه آنفاً في المبحث الثاني من هذا الفصل، وذلك لارتباط محتويات أو المادة العلمية بالبحث .

أما منهج وأسلوب السكاكي فإنه من أعلام القرن السابع الهجري. ومن مؤلفاته كتابه الشهير الموسوم "بمفتاح العلوم"، الذي جمع فيه معالم بلاغية ولغوية جميلة، فظهر من خلاله منهجه وأسلوبه .

أولاً– منهجه: (طريقة ترتيبه لمباحث كتابه، وطريقة عرضه لها، ونوع شواهده).

1– منهجه في مباحث كتابه لعلم البديع: رتب السكاكي مباحث كتابه ترتيباً قسمه قسمين رئيسيين هما: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ[1] ، وقد وصل عدد تلك المباحث المعنوية في كتابه نحو ثمانية عشر نوعاً واللفظية نحو خمسة أنواع. أما ترتيبه لها فإنه جعل القسم المعنوي هو الأول واللفظي الثاني، وبهذا الترتيب يكون السكاكي قد جاء بتقسيم لم يقلد فيه أحداً من أهل البلاغة ولكن القزويني جاء بعده فقلد السكاكي في ذلك، وبهذا يكون السكاكي مخالفاً في ترتيبه ذلك بعض أهل البلاغة أمثال ابن المعتز ، وابن منقذ ،وابن أبي الإصبع، وكذلك ابن الأثير .

2– طريقة عرضه لها أنه يأتي بالنوع البديعي في كتابه ثم يقدم له تعريفاً ويستشهد له ببعض الشواهد قرآنية كانت أم شعرية كما في نوع المطابقة[2]، ثم يقدم الشرح والتوضيح وهكذا الحال في كل الأنواع البديعية في كتابه، وأحياناً يتسع في الشرح لشواهده وأحياناً أخرى يقلل منها .

3– أما نوع شواهده في كتابه : فإنها ما بين شواهد قرآنية وأخرى شعرية وبعض الأحاديث النبوية، فالشواهد القرآنية عند السكاكي كثيرة وهي الأكثر عدداً من غيرها، أما الشواهد الشعرية عنده فهي كثيرة أيضاً ولكنها أقل عدداً من الشواهد القرآنية بالقدر البسيط وبعض الأحاديث النبوية .

---

(1) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي، ص532.

(2) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي، ص533.

4- أما شواهده من حيث منهجه في إيراده لها فإنه يقدم الموضوع ثم يلحقه بالشاهد وأحياناً يقدم له الشرح وأحياناً أخرى يكتفي بذكر الموضوع والشاهد أو الشاهدين فقط بالنسبة للأنواع البديعية كما هو الحال في موضوع المشاكلة ومراعاة النظير[1] وهذا النمط يغلب على موضوعات كتابه في الأنواع البديعية ، أما بالنسبة لموضوعات بداية كتابه فإن الحال يختلف، حيث إنه يقدم الموضوع ثم الشرح لشواهده كما في موضوع اسم الفاعل واسم المفعول[2] في الجزء الخاص باللغة في كتابه فإنه في بعض الأحيان يقلل من شواهده مع كثرة العناوين عنده إلا أن الشواهد يبدو عليها المحدودية، أيضاً في إيراده للشواهد أحياناً فإنه يورد الشاهد ناقصاً بنصف بيت فقط ومجهول القائل ، وهذه الحالات كثيرة عنده كما في موضوع حروف النصب[3] ، وأحياناً أخرى يأتي بالشاهد كاملاً ومنسوباً إلى قائله كما في موضوع نواصب الفعل[4] . أما بالنسبة للأنواع البديعية عنده فإنه يورد شواهده للموضوع بتقديم الشاهد الشعري على الشاهد القرآني في أغلب الأحيان ثم يقدم الشرح كما في موضوع المطابقة[5] وموضوع التقسيم[6] وأنه يورد شاهده القرآني مسبوقاً بلفظ "قوله عزّ وعلا" كما في موضوع الجمع[7] وكذلك موضوع الجمع والتفريق والتقسيم بلفظ " قوله عزّ سلطانه" [8] وفي موضوع الإيهام بلفظ " قوله سبحانه"[9] وفي بعض الأحيان يكون بلفظ " سبحانه وتعالى " أيضاً يأتي بالآية كاملة أحياناً وأحياناً لا يأتي بها كاملة . أما الشاهد الشعري فإنه يورده بلفظ كقوله أي دون ذكر اسم الشاعر وهذا الموضوع يكثر وجوده في كتابه ومثال ذلك

---

(1) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي ، ص533 .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص97.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص162 ،163.

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص171 ،172.

(5) ينظر المصدر نفسه ص 533.

(6) ينظر المصدر نفسه ، ص 535.

(7) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(8) ينظر المصدر نفسه ، ص 536.

(9) ينظر المصدر نفسه ، ص 537.

موضوع التوجيه وسوق المعلوم مساق غيره[1] وأحياناً يورده بذكر اسم الشاعر فيقول: كقول الشاعر ويذكر اسمه كما في موضوع الاعتراض[2] ، وأما الأحاديث النبوية فيوردها أحياناً بالمعنى أي بطريق غير مباشر وأحياناً أخرى يأتي بألفاظ من الحديث فقط كما في موضوع التشبيه[3] . فهذه طرق عديدة ومختلفة لأوجه الإيراد في الشواهد .

5- أما عن مسألة التطويل والاختصار عنده فإنه لم يكن كتابه يتسم بالتطويل المخل إنما أطال في الشرح في القسم الأول من كتابه لا في الكتاب كله، أما بقية أجزاء الكتاب فكانت مبسطة وينتابها شيء من الاختصار لا سيما في القسم الخاص بالبلاغة وقد أشار إلى تلخيصه ذلك في مقدمته عندما قال: " وما ضمّنْتُ جميع ذلك كتابي هذا إلا بعد ما ميزتُ البعض عن البعض التمييز المناسب، ولخصتُ الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك، ومهدّتُ لكلٍ من ذلك أصولاً لائقة، وأوردتُ حججاً مناسبة "[4] فمنهج السكاكي في إيراد شواهد كتابه المفتاح، كان يتسم بالتنوع ، وشواهده كانت أكثر من نوع إنما تلك الشواهد لم تكن بالوفيرة العالية إنما كانت حسب تنوع الموضوع .

6- إذ أن منهجه اعتمد على التقسيم والتبويب في كتابه "المفتاح" عندما قال فيه، "وجعلتُ هذا الكتاب ثلاثة أقسام"[5]. إلى أن جعل البلاغة أو علمي المعاني والبيان عنده في القسم الثالث من كتابه، وأن هذا المنهج طابعه فلسفي .

7- شواهده البلاغية كانت وسطاً بين القلة والكثرة ، أي أنه لا يفرط ولا يهمل في الشاهد ، فقد يكتفي بما يأتي به من شواهد مع عدم الإفراط في الشرح والتوضيح.

8- من خلال النظر إلى ما وضحه وصنفه من الصور البلاغية ومن منهجه فيها أنه لم يعطِ السكاكي الاهتمام الأكبر لعلم البديع كالعلمين الآخرين المعاني والبيان ، وهذا اهمال لبعض جوانب الموضوع في كتابه .

---

(1) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص 537.

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص 538.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص 445.

(4) المصدر نفسه ، ص 37.

(5) المصدر نفسه ، ص39.

ثانياً- أسلوبه :

1- تميز السكاكي بأسلوبه البلاغي باختصاره المميز الذي أشار إليه في مقدمة كتابه دون أن يلجأ إلى التطويل المفرط، وهذا الاختصار المحمل بالمعاني كان لابد له من توضيح وشروحات.

2- بأنه يحمل صفة الوصف، واتخذ الاستنباط كأسلوب من خلال ما يستمده من معاني وتفسيرات بعض الآيات القرآنية ، واستعانته بتفسيرات غيره لها كما في موضوع تفصيل اعتبارات المسند [1] عندما تحدث عن معاني هذه الآيات واستمد بعضاً من ذلك من أراء غيره وهذا عمل جيد يضفي على التأليف الجديد من الكلام .

3- هناك بعض المآخذ عليه بالأخص التي ساقها الخطيب في فاتحة كتابه عندما استدرك كلامه بعد مدحه الكثير له في مضمون كلامه: أن مصنَّفه غير مصون من الحشو والتطويل والتقصير، وقابلاً للاختصار، وإنه مفتقراً إلى الإيضاح والتجريد، وهو محتاجٌ أيضاً إلى الأمثلة والشواهد، ثم أضاف بأنه لم يبالغ في اختصار لفظ مصنَّف السكاكي[2].وهذا ما كان واضحاً أيضاً من تعليق صاحب المطول عندما أوضح بإشارته إلى حل أكثر غوامض "المفتاح" و"الإيضاح" معاً، وهذه الأكثرية من الغموض هي صورة للكتاب[3]. فهدف القزويني والتفتازاني واحد ومشترك من حيث إن كتاب "المفتاح" يحتمل في دراسته أموراً مهمة مثل الاختصار والتوضيح وإضافة الشواهد والإكثار منها، وهذا ما يمكن إعداده من المآخذ العلمية النقدية للخطيب على الأسلوب العلمي للسكاكي.

4- ومن مآخذ بعض العلماء أو النقاد على نهج وأسلوب السكاكي أمثال القزويني عندما درس كتابه "المفتاح" ولخصه أثار دراسة المقارنة بين أسلوبه وأسلوب الجرجاني بكثرته للأمثلة والشواهد، حتى نُقد السكاكي في مسائل عدة منها ما يمس بعض المتون

---

(1) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص305 وما بعدها .

(2) ينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، ص37.

(3) ينظر المطول شرح تلخيص المفتاح، للعلامة سعد الدين مسعود التفتازاني، ومعه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني، تصحيح وتعليق أحمد عزو عناية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1425،1هـ، 2004م، ص99.

مثل موضوع المسند والمسند إليه على سبيل المثال وعندما كان السكاكي بأسلوبه الذي يوهم بعض التنكر لذلك الموضوع فأعترضه الخطيب في ذلك كما في نمط أسلوبه مع موضوعات أخرى ضمن جوهر الموضوع[1]. هذه المآخذ العلمية لا تعيب الباحث أو المؤلف بقدر ما تلفت الانتباه إلى قوة عمله والاهتمام به .

5- أنه سلك أسلوب التدرج في الكتابة فمقدمته كانت مثقلة المعاني قليلة الألفاظ، ويبدو من ألفاظه المستخدمة أنه أراد مخاطبة ذوي الألباب الراجحة أو مَنْ هم يتميزون بالفطنة والنظرة العميقة ، وذلك من خلال تعبيره "وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي، صنفتُ هذا، وضمنتُ لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية، وسميته: (مفتاح العلوم)" [2]. فقد عُرف عن هذا السفر البلاغي بقوة مضمونه، وروعة أسلوبه، وإيجاز تركيباته، واحتوائه على المسائل الرئيسية اللغوية والبلاغية .

تلك بعض مقتطفات من مسارات منهج وأسلوب السكاكي التي جُلَّها مستنبطة من كتابه "مفتاح العلوم"، الذي طالما تمسك به أهل البلاغة والأدب، فهذا ما أمكنني أن أجمعه عن منهج وأسلوب السكاكي .

ثانياً - منهج وأسلوب الخطيب القزويني :

الخطيب القزويني هو أحد رجال البلاغة المشهورين الذين قدموا الكثير والكثير لفروع البلاغة، وأن مثل هؤلاء المؤلفين لاشك أنهم ساروا في كتاباتهم ومؤلفاتهم على مناهج محددة واتخذوا أساليب معينة حتى كان لهم ما كان. وأحاول هنا أن أوضح منهجه وأسلوبه بشيء من التبسيط.

أولاً_ منهجه من حيث (مباحثه، وطريقة عرضه لها، ونوع شواهده، وإيراده لها) .

1- منهجه في إيراد مباحث كتابيه "التلخيص، الإيضاح" حيث رتب مباحثه على أساس التقسيم فقسمها قسمين رئيسيين هما: قسم المحسنات المعنوية وقسم المحسنات

---

(1) ينظر مآخذ الخطيب على السكاكي، إعداد أحمد عبد الجواد محمد عكاشة، إشراف محمد عبد الرحمن الكردي، رسالة ماجستير مركونة، مصر، القاهرة، سنة 1398هـ، 1978م، ص30، 31.

(2) مفتاح العلوم، للسكاكي، ص39.

اللفظية[1] ، فبلغ عدد المحسنات المعنوية عنده في التلخيص حوالي تسعةً وعشرين نوعاً، أما المحسنات اللفظية فبلغ عددها نحو أربعة عشر نوعاً ، وأما في الإيضاح فقد بلغ عدد المحسنات المعنوية عنده حوالي ستةً وعشرين نوعاً واللفظية نحو خمسة أنواع فقط .

2- ترتيبه لها كان بتقديم القسم المعنوي على اللفظي مستهلاً المعنوي بنوع المطابقة[2] ويختمه بنوع الاطراد في كلا الكتابين، أما اللفظي فبدأ به بنوع الجناس[3] ويختمه بنوع التلميح ، وبهذا يكون الخطيب القزويني قد سار على نهج السكاكي في هذا التقسيم أو الترتيب لمباحث كتابه .

3- أما طريقة عرضه لها في كتابه أنه يقدم النوع البديعي أو الموضوع ويعرفه ثم يأتي له بالشواهد والشرح كما في الجمع والتفريق في كتابيه[4] وهذه الشواهد أحياناً قرآنية وأحياناً شعرية ، وهكذا الحال مع كل الأنواع البديعية في كتابيه .

4- ونوع شواهده في كتابيه فكانت بين الشواهد القرآنية والشواهد الشعرية وبين الأحاديث النبوية، فالشواهد القرآنية عنده في كتابيه فهي كثيرة، ولكنها في كتاب التلخيص كانت أقل عدداً من الشواهد الشعرية ، فوفرة الشواهد الشعرية أكثر من الشواهد القرآنية ، أما في كتابه الإيضاح فإن الشواهد القرآنية أكثر بعض الشيء من الشواهد الشعرية، وأما شواهد الأحاديث النبوية في كتابيه فهي قليلة العدد ، ومن النادر ما تأتي على الصورة الكاملة ، بل هي في أغلب الأحيان تأتي على شكل إشارات أو معاني[5] يأتي بها المؤلف في شرحه من باب الاستدلال.

5- أما شواهده من حيث منهجه في إيراده لها فإنه يأتي بالشاهد بعد الموضوع ويقدم الشاهد القرآني على الشاهد الشعري مخالفاً في ذلك السكاكي ، ثم يأتي بالشرح لها كما

---

(1) ينظر تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني، ص 175 وما بعدها، وينظر الإيضاح ، للقزويني ، ص333 وما بعدها .

(2) ينظر المصدر نفسه ، ص 175 ، وينظر المصدر نفسه ، ص333 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص198 ، وينظر المصدر نفسه ، ص375 .

(4) ينظر تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني، ص 182 ، وينظر الإيضاح ، للقزويني ، ص352 .

(5) ينظر تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني ، ص217 .

في موضوعات الأنواع البديعية كموضوع المقابلة[1] على سبيل المثال ، فهذا النوع من الإيراد يغلب على موضوعات كتابيه . أيضاً في إيراده للشواهد في كتابيه فإنه يأتي بها بصفة كاملة في أغلب الأحوال بل إن حرصه في ذلك واضحاً في كتابه التلخيص، أما في الإيضاح فشواهده تكاد تكون كاملة إلا في بعض المواضع منها موضوع الاستعارة فقد أتى المؤلف بشطر بيت من الشعر مع الشرح له[2]

6- أما إيراده للشواهد القرآنية فإنه يأتي بها بعدة صيغ أو ألفاظ مثال ذلك لفظ " قوله تعالى" فهذا اللفظ يُستخدم بكثرة في كتابه الإيضاح إن لم يكن في جميع الآيات القرآنية مثال موضوع الجمع[3] . إلا في بعض المواضع في كتابه فإنه يستخدم لفظ "كقوله تعالى"[4] وهذا اللفظ استخدامه نادر جداً ، أما في كتابه التلخيص فإن اللفظ الشائع استخدامه عنده فهو لفظ "قوله تعالى" يكاد يكون هو المعتمد عنده ، أما بالنسبة للشواهد الشعرية فإنه يستخدم عدة ألفاظ منها "قول الشاعر"[5] . وأحيانا لفظ "كقول الشاعر" ويذكر اسمه كما في موضوع التقسيم[6] وأحياناً لفظ "كقوله" فقط كما في التفريق[7]. وأحياناً بصيغة المجهول بلفظ "قول الآخر" كما في التقسيم[8]. وفي كل الأحوال يذكر اسم بحر الشعر المستشهد منه .أما كتابه التلخيص فإنه كذلك يورد شواهده الشعرية بعدة ألفاظ منها يذكر لفظ "قول ويذكر اسم الشاعر" كما في تعريف الفصاحة[9] وهذا اللفظ وفير عنده ، بل هو في كل موضوعاته المستشهد فيها بشواهد شعرية ولم أجد غير هذا اللفظ في تلخيصه .

---

(1) ينظر تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني ، ص177 .

(2) ينظر الإيضاح ، للخطيب القزويني، ص285 ، 287 .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص352 .

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص289 .

(5) ينظر الإيضاح ، للقزويني ، ص352 .

(6) ينظر المصدر نفسه ، ص353 .

(7) ينظر المصدر نفسه ، ص352 .

(8) ينظر المصدر نفسه ، ص353 .

(9) ينظر تلخيص المفتاح ، للقزويني ، ص39 .

7- أما بالنسبة لمسألة التطويل والاختصار عنده فإنه قد أشار إلى ذلك في كتابه التلخيص بعبارة " ألفتُ مختصراً يتضمن ما فيه من القواعد، ويشتمل على ما يُحتاج إليه من الأمثلة والشواهد "[1] . فمن فحوى هذه العبارة يتجلى مرادها من الاختصار ورغبته في أن يجعل كتاباً يلخص فيه ما كتبه السكاكي وما رآه القزويني من اختصار في كتاب المفتاح يكون اختصاراً غير مخل وغير شديد الاختصار . أما الإيضاح فقد سمّاه القزويني كذلك لتبسيطه للقول فيه ليكون موضحاً لكتابه التلخيص وشارحاً جمل كتاب المفتاح الغامضة التي تحتاج إلى شرح ، وقد صرّح القزويني بذلك في كتابه الإيضاح بقوله: " فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ، ترجمته بالإيضاح وجعلته على ترتيب مختصري الذي سمّيته "تلخيص المفتاح" وبسّطتُ فيه القول ليكون كالشرح له ، وأوضحتُ مواضعه المشكلة ، وفصّلتُ معانيه المجملة " [2]. وكان واضحاً من شرحه لموضوعات كتابه فساقها بأسلوب لطيف ، وإتيانه بالشواهد المتنوعة التي خدمت فكرته فصار سهل المنال والفهم .

8- استطاع القزويني في الإيضاح أن يجمل أبواب البلاغة في تقسيم جيد، وتنظيم ظاهر، وأمثلة وافرة مؤدية للأغراض الموضوعية[3]. ذلك لأنه برز من بين كتب البلاغة الكبيرة، فتناول فروعها الرئيسية ودرس علاقاتها ببعض، ثم إن أمثلته كانت كثيرة وكافية للموضوعات .

9- اتخذ القزويني في كتابه "الإيضاح" نهج الإكثار من الشواهد ووفرتها، كذلك تطبيقاته البلاغية كثيرة وموضحة بالقدر المطلوب حتى وصل درجة الخلاصة المحملة بالفوائد والاهتمامات[4]. كما في موضوع "القول في التشبيه"[5] على سبيل المثال فقد أتى القزويني بالشواهد والأمثلة الوافرة لتوضيح معاني التشبيه لتضفي على الموضوع مرحلة إكمال التراكيب بين الألفاظ والمعاني، ولإحداث التأثير في النفس.

---

(1) تلخيص المفتاح ، للقزويني ، ص37 .

(2) الإيضاح ، للقزويني ، ص7 .

(3) ينظر الإيضاح، للخطيب القزويني، ص6.

(4) ينظر الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ص6 .

(5) المصدر نفسه، ص209.

10- أن القزويني في مقدمة كتابه "الإيضاح" أشار إلى منهجه الذي نهجه فيه، عندما صرح بأن جعل كتابه على ترتيب مختصره الذي سماه "تلخيص المفتاح"، ثم وضح بأنه قد بسط فيه القول ليصبح كالشرح له، ثم قصد كل ما خلا عنه كتابه المختصر والمفتاح للسكاكي[1]. فمن خلال كلماته "الترتيب" و"التبسيط" و"التوضيح" و"التفصيل" وكذلك البحث عن الناقص والذي افتقد من المختصر والمفتاح، يوضح الخطيب نمط منهجه الذي اتبعه، فهذه الكلمات تشير إلى تقسيمات الكتاب وعملية تنظيمه في التأليف.

11- منهجه في كتابه الموسوم "بتلخيص المفتاح" كان متضمناً لنظام استخلاص القواعد التي وجدت في "المفتاح"، وإضافة إليه بعض الأمثلة التي يحتاجها والشواهد التي يفتقرها، ثم نهج التهذيب والترتيب اللذان هما أقرب ما يكون من الترتيب والتهذيب اللذان تناولهما السكاكي في كتابه[2].

إذاً فالقزويني عمد في عمله هذا إلى استهداف استخلاص القواعد الأساسية، واجتهد في بعض الأمور كالشواهد والأمثلة .

12- بالنظر إلى الموضوع -البلاغة- الذي خاض فيه الخطيب في كتابه "التلخيص" نلحظ مسألة الاختصار والتلخيص وعدم الاهتمام بالتحليل البياني والعلمي لتفصيلات الكلام، كما في موضوع الإرصاد[3] على سبيل المثال لا الحصر، وموضوع المزاوجة[4] وكذا "الرجوع"[5] عنده لم يكن الاكتفاء بالأدلة والشواهد وتحليلها بما هو ملائم للموضوع، فالذي يحتاجه القارئ ليس العرض فقط بل إلى التفصيل البلاغي المقارن وربط الدلالات بالعبارات وألفاظها، فقد ينقل في الموضوع الواحد الاستشهاد بالآية الواحدة فقط أو حتى البيت من الشعر دونما زيادة فيه، وربما ألتمس للقزويني

---

(1) ينظر الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ص7.

(2) ينظر تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ص37.

(3) ينظر تلخيص المفتاح ، للخطيب القزويني، ص178.

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص179.

(5) ينظر المصدر نفسه ، ص180.

مطابقته لعنوان الكتاب بما يعبر عنه بمعناه، وعند ذلك لا يضطر المؤلف إلى التطويل غير المحبذ عنده، وقد أشار إلى ذلك في مقدمته للكتاب.

13- فالقزويني أخذ بالاتجاه الكلامي كالسكاكي فهما من مدرسة واحدة بهذا الصدد، وقد درسوا البلاغة شمولياً باعتمادهم على هذا المنهج على رأي الباحثين كما سبق، "وإنَّ الخطيب القزويني – وإن تابع السكاكي في منهجه- لم يترسم خطاه تماماً، وإنما حاول أن يرتب ويقدم ويؤخر ويضيف جديداً"[1]. فهو لم يتقيد بخطى السكاكي وإنما كان له تصرف منهجي في تأليفه واختصاراته بما حصل من علمٍ يُعطى وبما تجود به قريحته مع ما وجده في كتاب السكاكي.

14- ربما يدخل نهج الخطيب في تأليفه منهج الشروحات الأخرى لكتاب السكاكي التي كانت ملأى بمسائل فلسفية، ومفعمة بمسائل كلامية وأصولية، والسبب في ذلك كما يعلل عنه هو موت الملكات الأدبية والمواهب الفنية[2]. على الرغم من امتداح العلماء لكتابي الخطيب "التلخيص والإيضاح" إلا أن الأمر لا يخلو من أنها كتب تُعنى بالاهتمام بكتاب "السكاكي" في البلاغة، فمنها ما هو ملخص له، ومنها ما كان شرحاً له، ومع تلك القيمة البلاغية والعلمية لكتب القزويني إلا أن ذلك لا يمنع النظر الممعن في منهجها ووضعها جانباً لجنب مع الشروحات المعنية الأخرى.

15- ومن جهةٍ أخرى إذا ما نظرنا إلى منهج الخطيب من جانب الشرح والتوضيح، ومن خلال ذلك، يتضح أن دراسة البديع عند الخطيب كمثال: توضح منهجه المتبع خلاله أنه لا يستقيم ولا تتضح معه صورة الفهم لاسيما من ناحية الصور البديعية .

وقد عُلِلَ بذلك عند تحليل تعريف القزويني للبديع من جانب الانتقاد كما عند السُّبكي من ناحية التطبيق والوضوح ومعرفة التحسين بعد رعاية مقتضى الحال، وقد أدلى السُّبكي برأيه في هذا الصدد بعدم الاشتراط للتطبيق ولا وضوح الدلالة في البديع، عندما عقب على تعريف البديع من قبل علماء البلاغة لاسيما عند الخطيب القزويني

---

(1) البهاء السُبكي وآراؤه البلاغية والنقدية، عبد الفتاح لاشين ، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر، القاهرة،ط1، 1389هـ، 1978م، ص16.

(2) ينظر البهاء السُبكي وآراؤه البلاغية والنقدية ، عبد الفتاح لاشين ، ص3.

فقد دعم السُّبكي رأيه في مسألة اشتراط التطبيق، ووضوح الدلالة مؤكداً أن البديع لا يشترط فيه التطبيق ولا وضوح الدلالة، وأنه من وجوه التحسين قد يوجد دون الآخرين[1]. معللاً ذلك بالشرح بأسلوبه المبرهن، وختم كلامه في هذا بعبارة "هذا هو الإنصاف وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين، ولا يخفى أن هذا التعريف من الرسوم غير الحقيقية لما فيه من التعدية التي هي أمر إضافي"[2].

يعني بذلك تعريف البديع كما عُرِّفَ، ومن تعبيره "ولا يخفى" فيه إلقاء لمعانٍ مهمة أن الأمر وكأنه معلوم ومشاع، وقد وصفه بالتعدية والإضافة . وهذا المأخذ على منهج الخطيب يجعل النقاد يرونه بمثابة نقاط ضعف أو قصور في المنهج، لأن الدراسة البلاغية نادرٌ ما يُحتَمَل أن يُهمَل فيها مثل تلك الجوانب ككشف السر البلاغي وإهمال ربط الجواهر بالسياق يؤدي إلى خلل المعنى المتعلق باللفظ في الكلام إلا أن الفارق بين الخطيب والسكاكي هو أن الخطيب لم يجمد مكانه كما فعل السكاكي بل سعى إلى الإضافة والجدة في عمله .

ثانياً- أسلوبه :

1- سلك في تأليفه اتجاهاً تميز بالأسلوب الفلسفي العلمي المبني على المنطق الذي يُعنى بتحديد المفاهيم والنتائج واستخلاصها من الكلام كما في موضوع القول في الوصل والفصل عندما استخلص عدة نتائج فيعبر بعبارات تشير إلى ذلك، منها على سبيل المثال يقول: "إن القصد من كذا.. وكذا" ثم يستمر في الكلام استنتاجاً بعبارة "أما الصورة الأولى... فيقول كلامه" ثم" أما الصورة الثانية كذا، والثالثة وهكذا "[3] ثم يأتي بالشاهد، وكل عبارة مصحوبة باستنتاج وتعليق من عنده .

2- ابتعد بأسلوبه عن التطويل المخل بالموضوع تارةً وتارةً أخرى يعمد إلى الشرح كما في كتابيه التلخيص والإيضاح، وفي المقابل اعتمد أسلوب الاختصار ويظهر ذلك

---

(1) ينظر كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين السُّبكي، تحقيق خليل إبراهيم خليل ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1422هـ، 2001م، 328/4.

(2) كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين السُّبكي، 329/4.

(3) ينظر الإيضاح ، للقزويني ،ص151 .

واضحاً من خلال مقدمته في التلخيص، ثم إن ذلك الاختصار البلاغي قاد إلى الأسلوب المباشر في التعبير والاستشهاد بالشواهد في كتابه وفي معظم موضوعاته الرئيسية والفرعية كما في تعريفه للفصاحة[1]، والبلاغة[2] . وكذلك الأمر في المحسنات اللفظية[3] بشكل عام . أما في كتابه "الإيضاح"، فقد عمد القزويني إلى شيء من التوضيح والشرح وقد صرح بذلك في مقدمة كتابه الإيضاح في عبارة "فأوضحت مواضعه المشكلة"[4]، وعبارة "فصلتُ معانيه المجملة"[5]. أراد القول اجتهدتُ في توضيح الغامض، وتفصيل المعاني الموجزة، أيضاً عبارة "عمدتُ إلى ما خلا عنه المختصر"[6]، والتفصيل في بعض المواطن التي عمد المؤلف إلى الشرح فيها والتوضيح والاستناد إلى الإكثار من الأمثلة كما في القول في الكناية[7]، فكتابه "الإيضاح" كان بمثابة إفساح الطريق أمام التفريغ ما في جعبته من أقوال وشروحات، لما كان في التلخيص من اختصار وبروز الغموض في ثناياه .

3- من حيث الصياغة والتركيب فإنهما أساسيان في عمل النصوص وإنشائها، وقد يختلفان من كاتب إلى آخر، بل وتُعرف الشخصية من خلالهما، وكذلك الحال مع الخطيب القزويني فقد كان من أحسن الذين هذبوا المفتاح وصاغوه صياغةً جديدة، مزج بين السكاكي وبين أهل مصر والشام في التحديد المنطقي، وتحكيم الذوق وعرضه بطريقة تناسب الدارس والمدروس في البلاغة[8]. وأحياناً يتخذ القزويني الأسلوب الوصفي عند عرض قضية ما كما ذكر السُبكي في الفصاحة في المفرد التي وصفها القزويني بذلك وينتقده فيه[9] .

---

(1) ينظر تلخيص المفتاح، للخطيب القزويني، ص38.

(2) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص198.

(4) الإيضاح ، للخطيب القزويني، ص7.

(5) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(6) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(7) ينظر المصدر نفسه ، ص313.

(8) ينظر البهاء السُبكي وآراؤه البلاغية والنقدية، عبد الفتاح لاشين، ص3.

(9) ينظر المصدر نفسه، ص56.

4- إن الكتاب "الأصل" الذي أخضعه العلماء للدراسة والبحث وهو "المفتاح" أنه كان يتسم بالغموض وصعوبة الصياغة وهذا طبعاً ينعكس على تلخيص وشرح القزويني، وأسلوبه وهذا استنتج من مقدمة كتاب "عروس الأفراح"، تصريحاً واضحاً بأن "كتاب المفتاح" ليس بحاجة إلى الإيجاز والاختصار بقدر ما هو بحاجةٍ إلى الشرح والتحليل وعرض المزيد من الشواهد والنصوص مستوفية حظها من التحليل والدراسة البلاغية التطبيقية ثم يعاد التصريح بأن تلك الشروح التي صنفت على المفتاح لم تكتمل عملية القيام بتلك المهمة على كثرتها[1]، فَيُفهم من هذا الكلام أن الشروحات التي من بينها أعمال القزويني لم تكن تفي بالغرض المطلوب، وهذا يقود إلى النظر في الأسلوب المرتبط بالمنهج ربما انتابهما بعض القصور، ثم يختم المقدمة بأن كتاب "عروس الأفراح" هو أفضل وأهم الشروحات المصنفة وأنفعها، تعليلاً بأنه اشتمل على شرح وافٍ، ونكات عزيزة، ومسائل نادرة قل إن توجد منشورة في كتاب غيره[2]. كما في موضوع "أبواب علم المعاني"[3]، حيث يشير إلى عبارات الأصل ويقدم لها الشرح مفصلاً بأسلوب يميل به إلى الاتساع والمرونة التعبيرية، كذلك في موضوع "الفن الثاني في علم البيان"[4]. فعندما يصرح بمثل هذا التصريح يقود الفهم إلى أن تلك الشروحات لازالت غامضة في أسلوبها ومغزاها .

5- من جهة أخرى ما استشففتُ من مؤلفاته أنَّ طابع السهولة والتسهيل يعمّان كلامه المكتوب، وأن التعقيد منه بعيد، إذ يضفي صفة الرونق والتألق .

6- أما من حيث التناول التأليفي الواضح من مؤلفات الخطيب القزويني أنه سلك طابع الشفافية في التنقل بين المباحث وترتيبها وتوزيعها في كتابه واسترساله لترتيب أفكاره وتنسيقها، ونراه يعلل نقله لكلام غيره، فتارةً يستخدم العبارات المباشرة، وتارةً أخرى يلجأ إلى المعاني والإشارات، ثم يتخذ أسلوب التحليل ، كأن يقول مثلاً " فيه

---

(1) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للسُّبكي، 5/1.

(2) ينظر المصدر نفسه ، 7/1.

(3) ينظر المصدر نفسه ، 218/1 وما بعدها.

(4) ينظر المصدر نفسه ، 134/3 وما بعدها.

نظر" أو لفظ" مما ذكر" وأحياناً استفهاماً بعبارة "فكيف يصلح للتعريف" أو يدلي برأيه فيقول:" والأقرب أن يقال " وذلك عندما يأتي بكلام غيره ثم يعلل ذلك بتقديم رأيه إما موافقاً أو معارضاً ، ثم يبرهن كلامه بالشرح والتفصيل، مثال ذلك موضوع القول في الإيجاز والإطناب والمساواة[1] فتلك العبارات تشير إلى نمط أسلوبه حسب مقتضى الحال أو الموضوع، فيجسد تناوله لكافة جوانب الموضوعات ويلملمها في كتاب مبسط يجسد الأسلوب البلاغي .

(1) ينظر الإيضاح ، للخطيب القزويني ، ص175 .

المطلب الثالث
مسألة التأثير والتأثر

اعتقد أن الذي جعل أمر التأثير والتأثر يطفو على السطح هو التركيز الشديد على الموضوع المعني، وبما أن هذا البحث يدور فحواه حول البديع، فإن هذا الأمر لاشك أنه المقصود بذاته، ومن هنا أقول: إن التأثير الذي كان من السكاكي والأثر الذي خلفه علمياً هو وابن أبي الإصبع والخطيب القزويني بحكم المكانة العلمية لكل منهم عند الموازنة بينهم لا يخلو من التفاوت فيما بينهم.

فالسكاكي هو الأسبق زمناً من ابن أبي الإصبع والقزويني ومما لاشك فيه أن كتابه "المفتاح" ينعقد أثره العلمي حول محاولته العلمية الظاهرة في التقسيم الذي أجراه على البلاغة لاسيما في البديع وبأسلوبه ومنهجه كان له التأثير والأثر في بعض علماء البلاغة، مما لفت الانتباه وفتح مجال الدراسة فيه لأن ذاك التقسيم لم يكن معروفاً آنذاك بل إن أحداً لم يتجرأ على هذا العمل قبله، ولاشك أن عمله ذلك مثير للاهتمام ويستحق من العلماء الاهتمام به .

فتأثر السكاكي بغيره على وجه التمثيل أنه دعم استكمال كتابه من مؤلفات وآراء السلف عندما رأى الحاجة إلى جهدهم مثل تلخيص الفخر الرازي وكتابي الجرجاني الدلائل والأسرار والكشاف للزمخشري فكان الاستيعاب دقيقاً[1]وأنه "استمد مباحث علم المعاني من تلك الأسس التي بنى عليها عبد القاهر نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز"[2].فهذا الاستمداد من نظرية النظم يشير إلى تأثره الكبير بما قاله الجرجاني وغيره من العلماء فأصاب قريحته على الظاهر، وهذا الذي كان من السكاكي هو تأثر بالغير ممن سبقه، ولكنه لم يقف عند هذا الحد بل وصل بتأليفه لكتاب "المفتاح" أن كان له التأثير على مَنْ جاء بعده من أهل البلاغة وهذا ينمُّ على أهمية

---

(1) ينظر مفتاح العلوم ، للسكاكي ، ص 19 .

(2) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، مصر، ص102.

هذا الكتاب حتى بات أساساً يسار عليه إزاء التقسيمات البلاغية لاسيما القسم الثالث منه، وموقف ابن أبي الإصبع من السكاكي من حيث التأثر أنه كان من معاصريه ولكن لا يبدو أنه تأثر به كما هو ظاهر، وليس هناك ما يدل على وجود التأثير على ابن أبي الإصبع من السكاكي وأنه لم ينقل عنه، ولم ينهج منهجه ، بل إن طريقة التقسيم والتبويب للأنواع البديعية عند ابن أبي الإصبع _ كما سبق توضيحها _ لم تكن على منهج السكاكي، حيث قسّم السكاكي مباحث كتابه للأنواع البديعية على قسمين رئيسيين هما: المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية وتندرج تحتها الأنواع، أما عند ابن أبي الإصبع فلم تكن كذلك، أي أنها لم تكن مقسمةً عنده قسمين، بل كانت مختلطةً ما بين محسنات معنوية وأخرى لفظية كما في كتابه "بديع القرآن" ، وكما عند بعض أهل البلاغة _ كما سبق توضيحه في البحث _ ولعل السر في ذلك البعد المكاني لكل منهما، فقد اتجه ابن أبي الإصبع اتجاهاً بلاغياً أدبياً يعتمد على العاطفة والذوق ، أما السكاكي فكان اتجاهه بالبلاغة اتجاهاً عقلياً فلسفياً يعتمد فيه على العقل والأمثلة المنطقية، وقد عُدَّ السكاكي بأنه أول من اتجه بالبلاغة إلى هذا الاتجاه الفلسفي .

الاختلاف في الاتجاه البلاغي لا شك أنه يؤثر جداً على فاعلية النص وتأثيره من شخص إلى آخر، وهذا ما كان لهذين العالمين باتخاذ لكل منهما اتجاهه الخاص به وتبعاً لذلك الاختلاف في المنهج والأسلوب . ومع ذلك فإن أبرز من تأثر بهم ابن أبي الإصبع المصري في نهجه العلمي وأثروا فيه ويظهر ذلك من خلال كتابيه التحرير والبديع ، ونقله منهم ما يفيد عمله العلمي من أمثال:

1- **الزمخشري** : الذي كان له الأثر الواضح في اتجاه ابن أبي الإصبع العلمي البلاغي لا سيما في كتابه "تحرير التحبير" فقد نقل وأخذ عنه الكثير على ما يبدو من أسرار البلاغة ويظهر ذلك واضحاً من استنباطه من كلام وتفسير الزمخشري لبعض الآيات القرآنية ، فدل ذلك على أن ابن أبي الإصبع ينقل من تفسيره وكلامه[1] ويكون

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التهكم ، ص568 .

ذلك مُلاحظاً عندما تكون هناك كثرةً في كتب التفسير التي تهتم بالبحث عن المعاني ثم يكون الاختيار على كتب دون غيرها مما يدل ذلك على الاتباع والاهتمام.

2- ابن المعتز: قال ابن أبي الإصبع : "ابن المعتز قد غلّب اسم البديع على اسم المحاسن ، فسمى كتابه "البديع" وهو جامعٌ لهما معاً فاقتدوا به ، لأنه المخترع الأول للتصنيف ، فسمى كل من وضع كتاباً في ذلك باسم إما مصرّح بالبديع أو راجع معناه إليه "[1] وتحت ما كتبه ابن أبي الإصبع عن هذين العالمين (ابن المعتز وقدامة) وعن جهدهما في وضع الشواهد مواضعها، وعن التدقيق والتصحيح وتجنب التداخل وأنهما المخترعان الأولان في البديع ثم تحدث عمن جاء بعدهما إلى زمنه[2]. فدلّ ذلك على أثر ابن المعتز في ابن أبي الإصبع، فابن المعتز صار من رواد علم البديع الذي يستقي من منهله طلاب العلم، لاسيما كتابه "البديع" الذي لا يخلو مؤلف أو كتاب في البلاغة إلا والرجوع إلى كتابه أمراً كثير الوقوع.

3- قدامة بن جعفر: وهو من رجال البلاغة والشعر وله الأثر الكبير في ابن أبي الإصبع المصري لأنه يعد من أبرز علماء البلاغة، فكثيراً ما كان المؤلف يشيد بذكره وكذلك نقله عنه وأحياناً اتباعه في بعض ألوان البديع، وما يدل على نقله من قدامة كلامه: " إلى أن جمعتُ من ذلك خمسةً وتسعين باباً أصولاً وفروعاً ، فالأصول منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه : وهما قدامة بن جعفر الكاتب، وابن المعتز "[3]، ويتأكد هذا الكلام من خلال تأليفه لكتاب "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه". وفيه دفاع وتأييد، وتحليل[4]. وحتى فارق الزمن يشير إلى سبقه للمؤلف ومن أخذه من كتبه وما أنتجه من علم يشير إلى تتلمذه عليه.

---

(1) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص87 مقدمة المؤلف .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص13مقدمة المؤلف .

(3) المصدر نفسه ، ص14مقدمة المؤلف ، ص42 باب الالتفات، وكذلك في تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع، ص85 ، 86 مقدمة المؤلف .

(4) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص406 ، باب التهذيب والتأديب .

4- **الرماني**[1]: هو أيضاً من الذين أثروا في ابن أبي الإصبع على ما يبدو، وتأثر به ونقل عنه في كتابه البديع بقوله في موضوع الاستعارة : " فقد اختلف في تعريف الاستعارة، فقال الرماني: هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اللغة على سبيل النقل "[2] وهذا النقل لا يكون إلا من كتاب "النكت في إعجاز القرآن" آخذاً بآرائه واتجاهاته العلمية، وطريقة التوضيح.

5- **شرف الدين التيفاشي:** من خلال مؤلفات ابن أبي الإصبع نجد أنه أخذ عنه فيما يخص البديع وهذا دليل على تأثره به أيما تأثر عندما قال عن التيفاشي: " وهو آخر من ألّف فيه تأليفاً في غالب ظنّي، وجمع ما لم يجمعه غيره لولا مواضع نقلها كما وجدها ولم ينعم النظر فيها، وبعض الأبواب التي تداخلت عليه "[3]. يبدو أنه اطلع على بديع التيفاشي ودرس أبوابه جيداً ،ولم ينتقده إلا في الشيء اليسير، على عكس من انتقدهم كثيراً ما قال عن بديع ابن منقذ ونعت ما سار عليه بالفساد والشتات عندما قال: "وإذا وصَلْتَ إلى بديع ابن منقذ وصلتَ إلى الخبط والفساد العظيم، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل، وضم غير البديع والمحاسن إلى البديع، كأنواع من العيوب، وأصناف من السرقات ومخالفة الشواهد للتراجم وفنون من الزلل والخلل"[4] وذلك مع اعترافه قبل تصريحه هذا بأنه نقل من كتاب ابن منقذ وضمه إلى الكتب المعتَمَد عليها في علم البديع .

6- تأثره بأبي تمام من الشعراء: فهو يعده ذا مكانة في البديع والشعر، حيث يتقفّى أثره، وهذا واضح من خلال ما كتبه عنه في وصية أبي تمام للبحتري في صناعة الشعر، وقد تأثر ابن أبي الإصبع المصري به في حبه للبديع، وصرح بأنها جاءت

---

(1) هو: علي بن عيسى بن علي بن عبدالله، أبو الحسن الرماني، باحث معتزلي مفسر من كبار النحاة، أصله من سامراء ولد وتوفي في بغداد 384هـ ومن أشهر مؤلفاته "النكت في إعجاز القرآن" . ترجمته في وفيات الأعيان ، لابن خلكان ، 331/1 ، وبغية الوعاة ، للسيوطي ، 344، الأعلام، للزركلي ، 317/4 معجم الأدباء ، للحموي . 191/4

(2) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ، ص17 .

(3) تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص91 مقدمة المؤلف .

(4) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

محتاجة إلى تحرير بعض معانيها وإيضاح ما أشكل منها[1] كذلك مما قاله عن أبي تمام بما يؤكد اهتمامه به قال: " وعلى ذلك أدلّة لا يتسع هذا المكان لذكرها، وقد أتيتُ بها مُستقاةً في كتابي المنعوت (الميزان) الذي شرعتُ في عمله أرجح فيه بين كلام قدامة وبين كلام خصومه ولم يتكمّل "[2]. ثم أتى بالأمثلة له في هذا الباب كتوضيح لكلامه .

هؤلاء الذين تأثر بهم ابن أبي الإصبع المصري وأثروا فيه، فهم بمثابة مشايخه حيث تقفى آثارهم في كتبه ، ينقل عنهم الكثير من الآثار العلمية، ومن جهة أخرى فإن كثيراً من أهل البلاغة واللغة من تأثر بابن أبي الإصبع واتبعوه منهجاً وأسلوباً، فاتجهوا في السير وراء تتبع البديع وأبوابه حتى صاروا من رجال البديع فيما بعد ، فمن هؤلاء الذين تأثروا بابن أبي الإصبع :

1- **السيوطي جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن الشافعي** : في إتقانه الذي نقل فيه عن ابن أبي الإصبع فصلاً كاملاً في بدائع القرآن، كما تحدث عن أنواع كثيرة من البديع التي تحدث عنها ابن أبي الإصبع، كما سلك سبيله في النقل حيث قال في فصل بدائع القرآن: " أفرده بالتصنيف ابن أبي الإصبع ، فأورد فيه نحو مائة نوع وعدّدها ذكراً "[3]. وقد استدل بكلام ابن أبي الإصبع في أكثر من موضع في كتابه، كما سرد مجموعة كتب كان قد استدل بها في تأليف كتابه ، ومن تلك الكتب ذكر مؤلفات ابن أبي الإصبع وهي: بديع القرآن، والبرهان، والتحرير، وكتاب الخواطر السوانح ، وذلك ضمن عدة كتب ذكرها في كتابه الإتقان[4] وهذا يعدُّ نقلاً فيما انفرد به ابن أبي الإصبع في البديع . فتأثر السيوطي بابن أبي الإصبع كان واضحاً من خلال الأنواع البديعية المذكورة في كتاب السيوطي . أما أصحاب البديعيات فإن أثره

---

(1) ينظر تحرير التحبير ، لابن أبي الإصبع المصري، باب التهذيب والتأديب ، ص406 .

(2) المصدر نفسه ، باب الانسجام ، ص429 .

(3) الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، 249/3 .

(4) ينظر المصدر نفسه ، 19/1 .

فيهم كان كبيراً؛ لأن بديع ابن أبي الإصبع كان لهم مفتاحٌ لأبوابه وطريقٌ يُسار عليه في مؤلفاتهم، من هؤلاء:

2- **صفي الدين الحلي** : هذا الشاعر من الذين نقلوا عن ابن أبي الإصبع أنواعاً من البديع في بديعيته المشهورة[1]. حيث يكون مدعماً أبواب كتابه بكلام ابن أبي الإصبع تارةً، ومؤيداً لرأيه تارةً أخرى في مواضع عديدة من شرحه لكافيته البديعية .

3- **ابن حجة الحموي** : هو صاحب خزانة الأدب الذي سار على نهج ابن أبي الإصبع وسلك سبيله حتى أنه لم يزد على بديعه شيئاً، وينقل عنه نقلاً كثيراً، ويختلف عن غيره باتباعه لشواهد ابن أبي الإصبع بشكل كبير فذكر أن " ابن أبي الإصبع المصري يرى أن كثرة البديع لا تشين الكلام إذا استعمل قلةً أو كثرةً ، فقد أورد في كتابه "بديع القرآن" آيةً عدد ألفاظها سبعة عشر، واستخرج منها واحداً وعشرين ضرباً من البديع "[2] . ثم ذكر الآية والتوضيح لها .

- تلك كانت نخبة من المؤثرين في حياة ابن أبي الإصبع العلمية، والمتأثرين به علمياً ومنهجياً وفكراً، ويعد هذا الكم من رجال البلاغة ليس بقليل ، ولا بالأمر الهين أن يكون لهم المؤلفات والمساهمات العلمية والشعرية لا سيما على الصعيد الأدبي على مر العصور، ويبقى أثرهم وتأثرهم تتناقله الأجيال، عبر الشروح والتحليلات لتلك المؤلفات، ومن جهة أخرى فلا بد أن يكون لهم تلاميذ يقتفون آثارهم العلمية وينهجون مناهجهم ويسلكون مسالكهم العريقة إثر المراحل العلمية التي يمرون بها .

_ أما الخطيب القزويني فيبدو عليه التأثر بالسكاكي واضحاً ويتأكد ذلك من خلال كتابيه "**التلخيص والإيضاح**" اللذان يُعنيان بدراسة كتاب "**مفتاح العلوم**" للسكاكي ففي التلخيص ينبه على أهمية الكتاب وجمال تصنيفه، وشهرته بين كتب البلاغة من حيث نفعه وحسن ترتيبه وعملية جمعه للأصول[3]. وفي مقدمة الإيضاح يعبر صراحةً بأنه

---

(1) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، لصفي الدين الحلي، ص288 باب الاستتباع ، ص240 باب السلب والإيجاب ، وص146 باب العكس .

(2) خزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة الحموي ، 110/1 .

(3) ينظر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني، ص37.

ترجم كتابه بالإيضاح، وأنه عمد إلى جعله على ترتيب مختصره المسمى "تلخيص المفتاح" ثم يشير إلى تبسيطه القول فيه ليكون كالشرح له، وتوضيحه للمواضع المشكلة، وتفصيله للمعاني المجملة[1]. فمضمون هذين الكتابين يشير إلى الاهتمام الكبير بمضمون كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي أيضاً تأثر القزويني بالسكاكي حتى أنه زاد في الاهتمام بتفصيله للعام، وشرحه للغامض ما في كتاب السكاكي.

أيضاً تظهر أهمية كتابي القزويني البلاغية في أن تلخيصه كان مهذباً أكثر من مفتاح السكاكي فقدم في مباحثه فأوفر، وزاد فيه ما تجب الزيادة في كتب البلاغة، والأسلوب فيه كان أوضح من أسلوب السكاكي، وبعد فراغه من هذا التلخيص شعر بأنه يحتاج إلى شرح فوضع كتابه "الإيضاح" كشرح له، فكان يشير فيه أحياناً من كتابي عبد القاهر الجرجاني، وأحياناً من كتاب السكاكي، ويتخلله بعض النقد فكان الكتاب بين إيجاز التلخيص وإسهاب كتابي عبد القاهر الجرجاني حتى كان الكتاب في متناول إعجاب الغير[2].

جمع القزويني ما بين الاستنباط العلمي وجودة التلخيص المفيد، الذي احتوى في بعض الأحيان أوجه المقارنة وبأسلوب رشيق كما في كتابيه السابقين. ومع ذلك التأثير الذي طرأ على الخطيب القزويني لما كان من السكاكي إلا أن القزويني عقد فصلاً عج جوهره بالاعتراضات التي وجهها إلى السكاكي عندما اعترض على تعريفه للحقيقة اللغوية ومنها إلى ما كان من كلامه بالتدخل العلمي في موضوع الاستعارات وتفصيله لها حيث لم يعجبه كلام السكاكي في ذلك فكان له التدخل والنقد وكذا مع عدة موضوعات أخرى في نفس الكتاب[3]. فهذا الاعتراض النقدي من الخطيب ينمُّ عن التتبع والاهتمام والتقصي منه للأثر العلمي الذي كان من كتاب السكاكي ففي التأثر كان المقابل النقد، منها ما نوه إليه شوقي ضيف وهو تلخيص لكتاب مفتاح

---

(1) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص7.

(2) ينظر بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، عبد المتعال الصعيدي، 6/1،5.

(3) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص346.

العلوم والذي سمّاه صاحبه "المصباح" الذي عنى فيه بالحديث عن البلاغة والفصاحة، وهذا يعني أن هذا العمل قد عنى كثيراً بما كان عليه عمل السكاكي بحُلة التلخيص[1].

فكتب التلخيص والمختصرات وكتب الشروحات التي عنت بكتاب "مفتاح العلوم" ودراسته بطرق مباشرة أو غير مباشرة هي في الواقع كثيرة جداً ولم أقصد ذكرها كلها تجنباً للإطالة ولكن تعمدتُ المثال فحسب لإيضاح درجة الاهتمام بهذا الكتاب والتأثر به علمياً، فتلك المختصرات على سبيل المثال لا الحصر كمختصر الجزء الثالث من الكتاب وهو: كتاب "عروس الأفراح" لأحمد بن علي السُبكي الذي سعى صاحبه فيه بالتلخيص المختصر للجزء الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي مقتصراً على المسائل البلاغية الرئيسية، كذلك شرح للتفتازاني[2] الذي سمّاه "الشرح المطول"[3]، والأمثلة على هذه الكتب كثيرة جداً والمغزى منها معرفة نتيجة الأثر العلمي الكبير الذي أحدثه السكاكي أو أحدثته أعماله العلمية وتأثيراته الفكرية فيمن تعقبه من علماء البلاغة وساروا على نهجه شارحو سفره القيم والذي منه بدأت الشروحات البلاغية.

أما عن التأثير الذي يمكن أن يكون من الخطيب القزويني فيمن جاء بعده فإنني يمكنني أن أبين هذا الأمر من خلال الأعمال المؤلفة من بعض علماء البلاغة إزاء كتب الشروحات والمختصرات التي تعنى بكتابي الخطيب القزويني "التلخيص والإيضاح"، فمن أقدم شراحه المصريين السُبكي بهاء الدين وكتابه "عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح" الذي من محتوياته ثناؤه للتلخيص وإعجابه به مبيناً ملاحظاته للتلخيص التي أُهْمِلَتْ، أيضاً يمكن إعداد عمل التفتازاني في شرحه للتلخيص عملاً يخدم إنتاج القزويني بل إن شرحه كان شرحين مطولاً ومختصراً مع استعانته بكتابي

---

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ ، شوقي ضيف ، ص336.

(2) هو: مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين: من أئمة العربية والبيان والمنطق، ولد بتفتازان (من بلاد خراسان) من كتبه تهذيب المنطق، والمطول، توفي بسمرقند سنة 793هـ. ينظر ترجمته في تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، 254/5 ، وبغية الوعاة، للسيوطي، 391، والدرر الكامنة، لشهاب الدين بن حجر العسقلاني، 350/4، وفي الأعلام، للزركلي، 219/7 .

(3) ينظر تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، 254/5.

عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة"[1]. أيضاً شرح آخر لكتاب تلخيص المفتاح الموسوم "بمواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح" الذي قال عنه محققه: "شرح لتلخيص المفتاح يسير فيه مؤلفه على طريقة الشراح المعهودة في ذلك الوقت من شرح الحدود وتعليلها، وتفصيل المجمل وتوضيح المشكل وشرح غريب الألفاظ"[2].

إذاً تلك بعض كتب الشروحات التي تهتم بشرح وتوضيح غامض ما في كتابي الخطيب القزويني الذي يدور مضمونهما من الناحية التحليلية والنقدية تركيزاً على كتاب السكاكي "مفتاح العلوم" فاعتقد أن الاهتمام والتأثير الأولين لكتاب السكاكي من حيث قيمته البلاغية والفنية وإثر ذلك الاهتمام يكون التأثير الآخر لكتابي الخطيب القزويني "التلخيص والإيضاح" والدليل على التأثير والاهتمام من قبل علماء البلاغة هو تلك الشروحات التي تعددت . وببساطة بيانية أن مسألة التأثير والتأثر لا تخرج عن كونها من أحد الطرفين إما من النص أو من صاحبه، مع وجود علاقة رابطة بينهما، وهذه الرابطة قد تتنوع وموضوعها، ومن ثَمّ يكون أمر التأثير والتأثر.

والمطلع على نتاج كل من هؤلاء العلماء الثلاثة السكاكي والقزويني وابن أبي الإصبع يمكن ملاحظة الآتي:

1- يمكن القول إن كلاً من ابن أبي الإصبع والسكاكي والقزويني قد اتفقوا في المساهمة العلمية في مباحث علم البديع، بينما من ناحية عملية التقسيم والتبويب وترتيب المباحث البديعية في التأليف بشكل شامل فإنها تختلف. فمنهج التقسيم عند السكاكي والقزويني واحد من حيث تسميته قسمين: المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية، أما عند ابن أبي الإصبع فلم يكن يتفق معهما في مبدأ التقسيم، فقد رتب مباحث كتابه بشكل مختلط بين المحسنات المعنوية واللفظية .

2- إن المنهج عند ابن أبي الإصبع يتسم بالصفة العلمية المعتمدة على عرض الحقائق بالبحث والاستقصاء، أما السكاكي فالمنهج عنده هو التركيز على العقل الذي

---

(1) ينظر البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص352، 355.

(2) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أبي يعقوب المغربي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، 5/1.

سمي بالاتجاه الكلامي أو الفلسفي، وأما الخطيب القزويني فكان على الأغلب موافقاً في منهجه لمنهج السكاكي من حيث الأساس.

3- حرص ابن أبي الإصبع على إظهار جوانب التحسين في الألوان البديعية ، أما السكاكي فإنه أغفل النظر في هذا الجانب ، ولم يحرص على ربطه بالسياق العام، والخطيب القزويني أغفل كذلك تلك الصورة، وأن منهجه في البديع لا يوافق مبدأ البحث فيه على خلاف ابن أبي الإصبع.

4- الكشف عن الأسرار البلاغية البديعية، والبحث في الإعجاز البلاغي عند ابن أبي الإصبع من خلال دراسة كتابه "بديع القرآن" ، أما السكاكي فمنهجه انتُقِد بأنه منهج لا يصلح للكشف عن أسرار البديع في القرآن الكريم، بل دعا في البحث إلى النظر والتأمل وجعله باباً مفتوحاً لطالبيه ، وقد وُجه بعض النقد إلى القزويني بأن منهجه في البحث إزاء البديع لا يكون متماشياً لدراسة وفهم البديع من ناحية الخوض في أبحاثٍ ودراساتٍ تخص البديع في القرآن الكريم كما تمّ البحث فيه سابقاً.

5- ومن ناحية الأسلوب: فإن ابن أبي الإصبع سلك الأسلوب العلمي الذي يقوم بالتحليل والتحاور ، وتميز الأسلوب باللطافة والعذوبة، وعلاوةً عليه فهو مُحرِّرٌ لا كاتب فحسب ، أما السكاكي فقد كان أسلوبه فلسفياً بالدرجة الأولى معتمداً على مبدأ الاستنتاج والاختصار، أما الخطيب القزويني فأسلوبه في التأليف كان مماثلاً أغلب الظن لأسلوب السكاكي من حيث الصيغة الفلسفية والمنطقية، والذي يبتعد فيه عن التطويل المخل بالمعاني .

6- تميز أسلوب ابن أبي الإصبع في مؤلفاته بكثرة الشواهد المتنوعة قرآناً ونثراً وشعراً مع تفضيله للأسلوب القرآني لفظاً ومعنى أي أنه أسلوب علمي أدبي ولم يهمل الذوق، والسكاكي أسلوبه تميز بقلة الشواهد وعدم إيضاحها، أما القزويني كذلك فقد اتصف أسلوبه بالافتقار لتلك الشواهد المعنية، وإهماله للذوق في الجوانب الفنية، ولم يركز على المعاني.

7- يميل ابن أبي الإصبع في أسلوبه إلى النمط البديعي، وذلك في كثرة استخدامه للأنماط البديعية حتى شُغفَ بالبديع، والدليل تأليفه لكتاب "بديع القرآن" ، أما السكاكي

فلم يكن أسلوبه يحمل ذلك النمط البديعي، ولم يكن يركز على البديع في دراسته، بقدر ما كان أسلوبه للموضوعات العلمية البلاغية وصفياً جداً، والخطيب القزويني لم يكن كذلك يهتم بالنمط البديعي بشكل واضح، إنما كان تركيزه على الإيجاز وتقوية الألفاظ وترتيبها.

8- حرص ابن أبي الإصبع في أسلوبه على الابتعاد عن التعقيد اللفظي والمعنوي، والتكلف، بل وتغلب السهولة والرقة وحسن الذوق على أسلوبه العام، وعند السكاكي فيغلب الحال على أسلوبه العام الصعوبة في الألفاظ وتركيب العبارات، مما خص استيعابه وفهم مراده لذوي الخبرة والذوق الرفيع من الناس، أما عند الخطيب القزويني فأسلوبه كان مبنياً على الصياغة الجيدة والتهذيب، والحرص على مسألة العرض للموضوع بشكل يتناسب والمطلوب .

هذا ملخص للموازنة في المنهج والأسلوب للعلماء الثلاثة سالفي الذكر ولملمة بعض الميزات والمآخذ الطفيفة لكل منهم، ومعرفة الأثر الذي خلَّفوه في ثقافة المتلقي من خلال مؤلفاتهم والتأثير الإيجابي على علم البلاغة والمساهمة في نموها وتطويرها حتى وصلت إلى ما عليه الآن .

. أخلصُ من استعراض مباحث هذا الفصل إلى:

1_ معرفة مفهوم علم البديع عند ابن أبي الإصبع وهو" أنه أطلق لفظ البديع على علوم البلاغة الثلاثة " بصفة شمولية.

2 _ محاولة إبراز إسهاماته في علم البديع العديدة ثم استخلاصها بشكل يوضح تأليفه في علم البديع، ثم جعَلَهُ أبواباً عديدة حتى وصلت في كتابه نحو مائة باب وثمانية أبواب التي أغلبها كانت مذكورة عند ممن سبقه من أهل البلاغة وبعضها كان من جديده ومخترعاته ، أيضاً محاولته في الاجتهاد في تغيير بعض المسميات منها ، كذلك كثرة مصادره العلمية التي استقى منها معلوماته لإخراج كتابه وأنها مصادر ذات قيمة عالية في مجال البلاغة وقد ذكرها كلها ومؤلفيها في كتابه " بديع القرآن".

3_ أما ما يخص منهجه المسلوك في مؤلفات علم البديع فإنه اعتمد على المنهج العلمي في الغالب فيما وقفتُ عليه من كتبه وهذا المنهج متقارب فيها جداً ، وتناوله

للقضايا البلاغية فكان مختلفاً في معظمها وحسب الموضوع ، أما ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه مقارنةً بترتيب سابقيه فإن بعضهم رتبها على أساس التقسيم العلمي المعروف للبديع من حيث اللفظ والمعنى ، أما ابن أبي الإصبع فقد رتب مباحث كتابه بشكل مختلط أي أنه أحياناً يكون الترتيب على أساس اللفظ وأحياناً يكون على أساس المعنى كما عند بعضهم فيكون بهذا قد خالف بعض أهل العلم ووافق بعضهم . وقد أوضحتُ ذلك سابقاً في الفصل نفسه .

4 _ الموازنة المعقودة بين ابن أبي الإصبع والسكاكي والخطيب القزويني كانت قد هدفت إلى معرفة الفرق الجوهري بين كل منهم من حيث المنهج والأسلوب، مع فارق الزمن بينهم ، فقد اتضح أن هناك بعض الفوارق في طرقهم المتبعة، أي أن هناك توافقاً واختلافاً – كما سبق بيانه – وأما مسألة التأثير والتأثر فقد تمَّ توضيح بعض الآثار العلمية من هذه الجهة لكل منهم وكيفية اتباع بعضهم البعض في بعض المسائل البلاغية .

الفصـــــــل الرابـــــــع

الشواهد في كتاب بديع القرآن

المبحـث الأول

بيان شواهد ابن أبي الإصبع في كتابه من حيث نوعها وعددها .

المبحث الثاني

منهجه في إيـراده للشواهد .

المبحـث الثالث

الاتباع والتجديد والتكرار في الشواهد وتوثيقها من المصادر.

المبحـث الرابع

الأثر الفني للشـواهد في إيصـال الفكرة .

المبحـــث الأول

بيان شواهد ابن أبي الإصبع من حيث نوعها وعددها .

المطلب الأول:

بيان الشواهد القرآنية في كتابه .

المطلب الثاني:

بيان شواهد الأحاديث النبوية في كتابه

المطلب الثالث :

بيان الشواهد الشعرية في كتابه .

الشاهد : تعريفه وأهميته .

1- تعريف الشاهد

الشاهد لغةً: هو اللسان من قولهم : لفلان شاهد حسن أي عبارة جميلة ، والشاهد : المَلَك. وهو: معناه ما له منظر ولا لسان . والشاهد من جريه ما يشهد له على سبقه وجودته[1].

والشاهد في الاصطلاح : "هو عبارة عمّا كان حاضراً في قلب الإنسان وغلب عليه ذكره فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهو شاهد الوجد وإن كان الغالب عليه الحق فهو شاهد الحق"[2] .

2- **أهميته:** أو الغرض من الاتيان به في الكلام هو إيضاح المسوغات للتغييرات البلاغية كإيضاح علاقة الارتباط بين طرفي البلاغة على سبيل المثال كما في الاستعارة أو المجاز وبيان صورهما البلاغية ، ومحاولة الاجتهاد في التفريق الذي قُرر في أصل البلاغة ، وإرجاعه إلى الأصل الذي تصوره القدماء[3]. كذلك أهميته تكمن في إظهار محاسن اللسان وتمييز العبارات الجميلة واللطيفة للمتكلم ، ومن ناحية أخرى يعكس أمرُ إظهار الشكل والمنظر إبراز جوانب السبق والجودة لوقوع الاستحسان . فلربما يُحرَصُ على الاتيان بالشاهد في الكلام لإحداث أمر التأكيد والإقناع ، وقد يُؤتَى بالشاهد بأكثر من نوع وبأعداد مختلفة عند الاستدلال به في الموضوعات .

---

(1) لسان العرب المحيط ، لابن منظور ، مادة : شهد ، 375/2 .

(2) كتاب التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1978 م ، ص129 .

(3) ينظر التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، محمد أبو موسى ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ليبيا، ط1، 1398 هـ 1978 م ، ص426 ، 429 .

المطلب الأول

بيان الشواهد القرآنية وعددها في كتابه .

في كتاب "بديع القرآن" لابن أبي الإصبع كانت الأنواع البديعية كثيرة ومتنوعة وبطبيعة الحال لم تكن مهملة من ناحية الشواهد بل توافرها أحياناً يصل إلى التطويل المشروح.

فابن أبي الإصبع في تطبيقه للأنواع البديعية كان استخدامه للشواهد فيها جليّاً ووفيراً وهذه الشواهد لم تكن على نمطٍ واحدٍ إنما كانت شواهد قرآنية وأحاديث نبوية وشعرية وسأوضح – إن شاء الله تعالى– أمرين : أولهما – ذلك التنوع مع التصنيف من حيث كونها منسوبة لأصحابها أو غير منسوبة ، ثانيهما – عدد تلك الشواهد في كتابه كما يلي:

أولاً – الشواهد القرآنية في كتاب بديع القرآن :

من حيث نوع الشواهد فقد أتى المؤلف بالشواهد القرآنية وكان تركيزه عليها كبيراً في كتابه أكثر من الشواهد الشعرية عندما استدل ببعض آيات كتاب الله عز وجل حسب مناسبة الحال البلاغية للنوع البديعي في كتاب "بديع القرآن" أي ذكر الآيات دونما السورة، وأستطيع هنا أن أقدم تبياناً لبعضٍ منها على سبيل المثال لا القيد منها:

1– من الشواهد القرآنية التي أسهب فيها المؤلف بالشرح ووفرة الإيضاح منها في قوله تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[1]، التوضيح عند ابن أبي الإصبع " فإن خروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر الأول إلى حين طلوع الشمس أولاً فأولاً أشبه الأشياء بخروج النفس شيئاً فشيئاً"[2] كما في باب الاستعارة[3] . ففي هذه الآية استعارة حيث شبه الصبح بالكائن الحي الذي يتنفس وله روح، مع وجود قرينة تدل عليه وهي التنفس،

---

(1) سورة التكوير، الآية 18.

(2) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص21.

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب الاستعارة، ص17.

وهذا تجسيد بلاغي جميل لأطراف الاستعارة وإخفاء صورة أخرى تخاطب المستمع والمتلقي بتقوية المعاني في الأذهان.

2- استشهد ابن أبي الإصبع بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾[1]. وذلك تطبيقاً لما في باب الطباق[2]. تحدث ابن أبي الإصبع عن اشتراء الضلالة وبيع الهدى من الناحية البلاغية بأنهما أسلوب بلاغي وعن النظر في مسألة ربط الألفاظ والعبارات. ثم تحدث عن المجاز البلاغي وتوظيفه في الكلام بلاغياً فحسب[3]. فالطباق في هذه الآية الكريمة يكمن في الألفاظ "الشراء والبيع، وبين الضلالة والهدى"، فكل كلمة تختلف عن أختها لفظاً ومعنى وتطابقها، وهذا لهو التطبيق البلاغي بالأسلوب الراقي الرفيع .

3- كما جاء المؤلف في كتابه بشاهد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾[4]، وذلك كان في باب الكناية[5] فعند ابن أبي الإصبع "كناية عن المباضعة"[6]، وقد أخذ المؤلف ينتقل بالشواهد من باب إلى آخر موضحاً الغامض منها وناقل البسيط.

4- والشاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾[7] باب التشبيه[8]. هذه الآية استشهد بها ابن أبي الإصبع في موضوع التشبيه، والعبرة في المعنى من جهة قدرة الله عز وجل على خلق الأشياء "المخلوقات"، والفلك من الأشياء التي سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان وهي الجارية على الماء مع اختلاف أحجامها لأنها

---

(1) سورة البقرة، الآية 16.

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الطباق، ص31.

(3) ينظر المصدر نفسه ، ص32.

(4) سورة النساء، الآية 21.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الكناية، ص53.

(6) المصدر نفسه ، ص54.

(7) سورة الرحمن، الآية 24.

(8) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشبيه، ص58.

في رعاية الله عز وجل، ومنها ينتفع الإنسان بأن ينتقل بها، وينقل الأثقال عليها، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان متضمن ذلك فناً عظيماً من تعداد النعم على العباد[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾[2].

وبعض المعنى كما في الكشاف: أن صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله، سواء حمل عليه – أي شدّ عليه وهيج فطرد– أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه، وقيل: معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، كالكلب إن طردته فسعى يلهث، وإن تركته على حاله لهث، ومحل الجملة الشرطية هو: النصب على الحال[3]، كما في التفسير – والله أعلم– فالمعنى المقصود هو صفة التشبيه كمثال.

5– وكذلك الآية المستشهد بها في قوله تعالى: ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾[4] فجاء ابن أبي الإصبع ببعض الشرح لها عندما قال: "فإن غَيْضَ الماءِ يشير إلى انقطاع مادة الماء من نبع الأرض ومطر السماء"[5]،كما في باب الاشارة[6] ، وهذا أيضاً تشبيه الماء بالكائن الحي الذي يعرف الغيض والأحاسيس كالبشر، وهذا ينتج عن ردود الأفعال التي تكون بين الأشخاص جراء العلاقات التي بينهم، والمتمثل في الصراع والجزاء، وهذه صورة بلاغية من بعض معاني هذه الآية الكريمة.

6– استحضر المؤلف مثالاً لنوع بديعي آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾[7]، فكون الضلال ههنا لفظ يمكن أن يحتمل

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشبيه ، ص59.

(2) سورة الأعراف، الآية 176.

(3) ينظر تفسير الكشاف، للزمخشري، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، ج172/2.

(4) سورة هود، الآية 44.

(5) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع ، ص82.

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب الإشارة، ص82.

(7) سورة يوسف، الآية 95.

معنيين الحب وضد الهدى، وكيف كان كلام الله عز وجل على لسان أولاد يعقوب (عليه السلام) ضد الهدى، فورُّوا به عن الحب ليعلم أن المراد قد يكون شيئاً آخراً[1] – والله أعلم– كما في باب التورية[2]، فالتورية من المصطلحات البلاغية التي تظهر معنى وتخفي آخرَ، أي تستخدم لإيراد معنيين في الكلام.

7– أيضاً استشهد المؤلف بمثال من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾[3]، فالتماثل يكمن في لفظ: الطارق، والثاقب، وحافظ، وقد قيل إن المماثلة قد تكون في تماثل الألفاظ في المعنى ولكن مع وجود اختلاف في اللفظ الظاهر[4].والكلام مطبق على باب المماثلة[5]. أي أن اللفظ يختلف بحسب مكانه في الجملة، والمعنى ليس متعلقاً وقصراً باللفظ إلا بما يرمي إليه اللفظ من معانٍ، لأن علاقة اللفظ والمعنى علاقة متداخلة ومتعددة .

8– وينتقل المؤلف ببيان الشواهد القرآنية من نوع بديعي إلى آخر في كتابه وهنا موضعه من الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾[6]. أراد المؤلف بهذه الآية الكريمة توضيح التسجيع كما هو في باب التسجيع[7] . ينتج عن التسجيع جمالياتٌ في الألفاظ عندما تكون على نسق معين ويثير في النفس شيئاً من التأثير والإحساس الجميل، الذي يبعث على التأمل والتدبر في الكلام المسموع – والله أعلم–.

9– وفي نوع بديعي آخر رجع المؤلف في توضيحه له إلى الآيات الكريمة وهي كثيرة في هذا النوع كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص102.

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب التورية، ص102.

(3) سورة الطارق، الآيات من 1–4.

(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص107.

(5) ينظر المصدر نفسه ، باب المماثلة، ص107.

(6) سورة الرحمن، الآيات من 1–6 .

(7) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التسجيع، ص108.

تَنطِقُونَ﴾[1]، فوضح ابن أبي الإصبع القسم بأنه سبحانه وتعالى يقسم قسماً يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة، وأجل عظمة، بلفظ رب السماء فحصل تحقيق الوعد بالرزق من إخباره سبحانه وتعالى بأن الرزق من عند الله سبحانه يعد تقديره عز وجل في القسم أنه رب السماء فيلزم من ذلك قدرته على ما في السماء قدرته عليها من حيث ثبت أنه مالكها، فثبتت قدرته على الرزق الذي وعد به، وأنه لا رازق سواه[2]. كما في باب القسم[3]، ومن هذا القسم الوفير الذي يوجد في آيات الله عز وجل إلى موضوع آخر يصل إليه المؤلف من أنواع البديع.

10- واستشهد المؤلف في كلامه بالآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[4]. كما في باب حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي[5]، فالشرح فيها يطول وابن أبي الإصبع خاض في معانيها فشملت موضوعات عدة، وأحاول هنا أن ألخص ما شرحه المؤلف بشيء من الإيجاز عن هذه الموضوعات كالتمدح والحديث عن علم الغيب بأنه لله عز وجل، ثم ذكر أصناف النباتات والحيوانات والجمادات، وبعدها حاصر الكليات ومنها الجزئيات ثم ربط ذلك بعضه ببعض ووضحه توضيحاً[6]. ففي الآية الكريمة معانٍ كثيرة لموضوعات عدة وتدور هذه المعاني حول ما في الغيب من أحداث وأمور كثيرة ومختلفة المناسبات لا يعلم إحصاءها ومواعيدها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا موضوع ليس بضئيل.

---

(1) سورة الذاريات، الآية 23.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص112.

(3) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) سورة الأنعام، الآية 59 .

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي، ص315.

(6) ينظر المصدر نفسه ، ص316.

11- يذكر المؤلف الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[1]، في شرحه يوضح ابن أبي الإصبع معنى هذه الآية بأن كلماتها دلت على الصلوات الخمس وذلك من خلال الإشارة إلى "الصلاة طرفي النهار" وكذلك "وزلفاً من الليل" ففهم المعنى منها أنه الصلوات الخمس[2]، -والله أعلم- وذلك في الرمز والإيماء[3] . فالفكرة عند المؤلف أنه ربط الألفاظ بمعانيها، فإقامة الصلاة من الفعل الأمر "أقم" وطرفي النهار أي من بدايته إلى نهايته، والليل كما هو معروف يبدأ من غروب الشمس إلى بزوغ الفجر وما بينهما، ولاشك أن أعمال الصلاة وقيام الليل هي من الأعمال المأمورين بها وهي من أجل الأعمال وأحسنها ومثل هذه الأعمال الحسنة وغيرها من الحسنات تمحو السيئات .

12- نوع من البديع يكون مثاله في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[4]. كما في باب الإبداع[5] . وفي بلاغة هذه الآية الكريمة يصرح ابن أبي الإصبع بأن هذه الآية غنية المعاني وفيرة الإشارات، والمؤلف ينبه على أنه استخرج منها واحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظةً[6]. وهذا يدل على غزارة الكلمات في الآيات القرآنية وحملها للمعاني، ومدلولات الألفاظ، وتركيب العبارات وفصاحتها التي طالما أعجزت العقول والألسن البشرية ولا تزال كذلك إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها .

---

(1) سورة هود، الآية 114.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص323.

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب الرمز والإيماء، ص321.

(4) سورة هود، الآية 44.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الإبداع، ص340.

(6) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

ثانياً _ **عدد الشواهد القرآنية في كتاب بديع القرآن .**

فكما هو معروف أن القرآن الكريم يحوي من السور القرآنية بالترتيب المحدد عدداً على أربع عشرة سورة ومائة سورة، وتسليماً إيمانياً أن آيات سور القرآن الكريم ملأى بالمعاني والحقائق التي لا قبل للإنسان باستيعابها وإدراكها، وفي هذا قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1]. والمعنى للتوضيح: "يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات لنفد البحر قبل أن يفرغ من كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله) أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلم جراً بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله"[2]. فهذا المعنى يوضح غزارة ما تميزت به كلمات الله عز وجل علام الغيوب.

فابن أبي الإصبع في كتابه "بديع القرآن" استدل بكثيرٍ من آيات سور القرآن الكريم، فوصل عدد السور القرآنية التي شرح فيها إلى اثنتين وثمانين سورة من سور القرآن الكريم واستدل بكثير من آياتها في مواضع عدة من موضوعات أنواع المحسنات البديعية التي وصل عدد الآيات القرآنية المُستدَل بها في كتابه إلى ستين آية وستمائة آية قرآنية، تَنَقَّلَ فيها بين معاني كلماتها البليغة، وقد أوضحتُ شيئاً من ذلك آنفاً – في بداية هذا الفصل – أما عدد السور القرآنية الباقية التي لم يستدل ابن أبي الإصبع بشيءٍ من آياتها فهي اثنتان وثلاثون سورة ، ولم يكن يتطرق إليها في دراسته لا بحثاً ولا استدلالاً، ولا أعتقد أنه لم يجد فيها ما يخدم دراسته لأنه كما سبق الإشارة إليه فإن معاني القرآن الكريم لا حد لها، أو أنه لم يهتد إلى أي شيءٍ من ذلك، أو أنه اكتفى بلاغياً بما استدل به من القرآن الكريم، ولكن الواضح من موضوع كتابه وبحثه وتطرقه للعدد الأكبر من السور القرآنية يشير إلى عدم وصوله إلى باقي مراده، أو ربما يكون ذلك حسب رأيه لكل ما وصل إليه .

---

(1) سورة الكهف، الآية 109.

(2) تفسير القرآن العظيم ، للإمام إسماعيل ابن كثير، مج147/3.

المطلب الثاني

بيان شواهد الأحاديث النبوية وعددها في كتابه :

أولاً – شواهد الأحاديث النبوية في كتابه .

استشهد المؤلف بالأحاديث النبوية الشريفة أيضاً ولكنه لم يكن مكثراً منها، بل كانت محدودةً في كتابه ، فهي أقل عدداً من الشواهد القرآنية والشواهد الشعرية ، ولم تكن الأحاديث المُستشهَد بها في كتابه كلها صحيحة فمنها ما كانت ذات سند صحيح، ومنها ما كانت غير ذلك، وفي هذا الصدد أذكر منها –إن شاء الله تعالى– نوعين كأمثلة فقط :

النوع الأول – شواهد الأحاديث المنسوبة إلى السنة(الصحيحة) : فمن الأحاديث النبوية الصحيحة ذكر المؤلف مجموعةً في كتابه مشيراً إلى أنه "من الباب في السنة أيضاً قول رسول الله ﷺ وقد سئل عن الوضوء من ماء البحر"[1]. بعد أن شرح المؤلف ما شرح متطرقاً إلى هذا الحديث منسوباً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكراً إياه بالنص دون سند كما في باب التلفيف[2]، ولعلي هنا أؤكد السند لصحة هذا الحديث بالنص، عن سعيد بن سَلَمة عن المغيرة بن أبي بُردة، أنه سمع أبا هريرة يقول: جاء رجل "إلى رسول ﷺ فقال: يا رسول الله: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضَّأُ من ماء البحر؟ قال فقال النبي ﷺ: "هو الطهور ماؤه، الحل ميتته"[3]. فالمؤلف اكتفى بذكره نصاً، مع تعليق لا يتعدى الكلمتين.

أيضاً في باب الانفصال "من قتل عصفوراً عبثاً"[4] فقد ذكر المؤلف حديثاً أوله دون تكملته ولكنه أشار إلى الحديث دون السند ثم شرع في شرحه، والحديث

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص126 .

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب التلفيف، ص126.

(3) الموطأ، للإمام مالك بن أنس –رضي الله عنه–، تحقيق محمود بن الجميل ، مكتبة الصفا، مصر، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2001م، ص31. والمستدرك على الصحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ج238/1. والمسند، للإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه، أحمد محمد شاكر ، دار الحديث، القاهرة، مصر،ط1، 1416هـ، 1995م، ج403/8، ورقم الحديث: 8720.

(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الانفصال، ص327.

كاملاً: عن صالح بن دينار عن عمرو بن الشريد قال سمعتُ الشريد يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "مَنْ قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول يا رب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعةً"[1] ثم وضح المؤلف ما يريد توضيحه واستوفى استشهاده المراد.

النوع الثاني – شواهد الأحاديث غير المنسوبة إلى السنة(ضعيفة) : أما ما يخص باستشهاده بشواهد قد ينسبها إلى السنة وقد يذكرها ذكراً أو يتركها دون نسبة إلى أصحابها أذكر منها، ما استشهد به المؤلف بقولٍ نسبه إلى رسول الله ﷺ وجعل هذه العبارة بين قوسين وهي: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[2]، كما في باب

---

(1) صحيح بن حبان، لمحمد بن حبان التميمي البستي، شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،ط2، 1414هـ، 1993م، ج214/13. وسنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1411هـ، 1991م، ج73/3. مسند أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، ، ج389/4.

(2) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص278 . وعلني هنا أوضح ما وقع فيه المؤلف من خطأ فيما يخص نسبة هذا القول ، ففي بحثي وصلتُ إلى نسبة هذه العبارة من أقوال بعض العلماء ، قال القرطبي صاحب التفسير المتوفى سنة 671 هـ في تفسير قوله تعالى : (وقلنا يا آدم أسكن) سورة البقرة : في المسألة الثانية عشرة : " ولقد أحسن الجنيد حيث قال : "حسنات الأبرار سيئات المُقربين " .(321/1) وينظر سورة طه في تفسير قوله تعالى :(وعصى آدم ربه فغوى) في المسألة الأولى (272/11) . تفسير القرطبي ، تحقيق محمد الحفناوي ، ومحمود حامد ، طبعة دار الحديث القاهرة ،ط2، 1416 هـ 1996 م ، 321/1 .وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى : ومما يروُونَ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " حسنات الأبرار سيئات المُقربين " . فأجاب : الحمد لله ، هذا كلام بعض الناس وليس هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم . ينظر مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة 728 هـ ، تحقيق عامر الجزار ، أنور الباز ، طبعة دار الوفاء،ط2 ، 1421 هـ 2001 م ، 221/18 . وقال العجلوني في كشف الخفاء : (حسنات الأبرار سيئات المقربين) هو من كلام أبي سعيد الحزاز كما رواه ابن عساكر في ترجمته ، وهو من كبار الصوفية مات سنة مائتين وثمانين وعده بعضهم حديثاً ، وليس كذلك . ينظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني ،طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت،ط3 ، 1408 هـ 1988 م ، 357/1 . كما أشار إليها في الهامش محقق الكتاب إلى أن هذا الكلام ليس من كلام الرسول ﷺ وإنما هو كلام أبي سعيد الحزاز أحد كبار المتصوفة مُرجعاً الكلام إلى مصدره وهو كشف الخفاء ومزيل الالباس ، ج357/1 ، وقال الشيخ الألباني : " حسنات الأبرار سيئات المقربين " باطل لا أصل له . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، المؤلف محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، دار المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية،ط1 ، 1412هـ ، 1992م ، 216/1 .

الإيضاح[1]. كذلك أتى ابن أبي الإصبع في كتابه بقول غير منسوب إلى صاحبه وجعله بين قوسين وهو: (كما تدين تدان)[2] .

ولم يشر إلى قائله الأصلي، كما في باب التشكيك[3] ، فهذا بالنسبة للأقوال المنسوبة وغير المنسوبة التي ذكرها المؤلف في كتابه .

ثانياً – **عدد شواهد الأحاديث النبوية في كتابه .**

أما عن عدد الأحاديث النبوية الشريفة والأقوال في كتابه قد وصل عددها حوالي أربعة عشر قولاً، منها ما كان ضمن الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة المنسوبة، ومنها ما ادعى المؤلف بأنها أحاديث نبوية وهي ليست كذلك ، ومنها ما كان من السنة النبوية وهو غير منسوب، وقد بينتُ ذلك آنفاً في مبحث شواهد الأحاديث النبوية في هذا الفصل من البحث .

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الإيضاح ، ص278 .

(2) المصدر نفسه ، ص279 . وقد أشار إليه محقق الكتاب في هامش كتابه بقوله "هذه عبارة من حديث أوله اعمل ما شئت فكما تدين تدان" ثم ذكر مصدره. في كشف الخفاء ، 126/2 ، والجامع الصغير ، 176/2 . وعندما بحثّتُ في كلام بعض العلماء وجدتُ غير ذلك في القول . فقال بدر الدين العيني في عمدة القاري في كتاب الإيمان ، باب قول النبي الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى إذا نصحوا لله ورسوله . قال :"...وفي المثل السائر كما تدين تدان وقيل كما تكيل تكال ..." . ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لبدر الدين العيني ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1422 هـ 2002 م ، 476/1 . وقال ابن حجر في فتح الباري في كتاب التفسير ، باب ما جاء في فاتحة الكتاب : " ...يقال في المثل : كما تدين تدان . انتهى ، وقد ورد هذا في حديث مرفوع أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا وهو مرسل رجاله ثقات ورواه عبد الرزاق بهذا الإسناد أيضاً عن أبي قلابة عن أبي الدرداء موقوفاً وأبو قلابة لم يدرك أبا الدرداء وله شاهد موصول من حديث بن عمر أخرجه بن عدي **وضعفه** ..." . ينظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني(ت 852 هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب ، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة،ط2 ، 1987 م، 6/8 . وقال المناوي بعد أن ذكر أن البيهقي رواه في الزهد قال: وهو منقطع مع وقفه ورواه أبو نعيم الديلمي مسنداً عن ابن عمر يرفعه وفيه محمد بن عبد الملك الأنصاري ضعيف وحينئذ فاقتصار المصنف على رواية إرساله قصور أو تقصير . ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، عبد الرؤوف المناوي ، طبعة دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2006 م، 265/3 .

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشكيك ، ص279 .

المطلب الثالث

بيان الشواهد الشعرية وعددها في كتابه

(شواهد معزُوّة . شواهد مجهولة) .

أولاً – **الشواهد الشعرية في كتابه .**

وأما بالنسبة لنوع الشواهد الشعرية فهي كثيرة جداً في الكتاب –بديع القرآن– ولكنها لم تصل إلى مقدار العدد للشواهد القرآنية ، فالشواهد القرآنية أكثر وروداً في كتابه من الشواهد الشعرية بنسبة كبيرة ، وقد تعمدتُ هنا تصنيفها صنفين أحدهما: منسوب إلى أصحابه وهذا كثير منه في كتابه، والآخر غير منسوب "أي مجهول"، ولكنها لم تكن مُستشهَد بها في الأبواب جميعاً كما في الآيات الكريمة، فالشعر كان في مناسبات دون غيرها، ولعدم الإطالة أكتفي بذكر الأمثلة منها كما يلي:

النوع الأول – الشواهد الشعرية المنسوبة إلى أصحابها:

كالمقام الذي استشهد ابن أبي الإصبع فيه بشعر ينسبه إلى الشاعر أبي تمام، ويذكر اسمه وبحر الشعر أيضاً (المتقارب):

ويصـــــعد حتـــــى يظـــــن الجهـــــول ** بأن له منزلاً في السماء[1]

وكان ذلك في أثناء شرحه للاستعارة وأطرافها، وأنه من حق الاستعارة أن تُطوى معها ذكر المستعار، ومن ثم يتناسى البليغ التشبيه عند أخذه في الاستعارة، ويضرب عنه صفحاً كما في البيت السابق[2]. باب الاستعارة[3] فقد أطال المؤلف الشرح في باب الاستعارة مستوفياً شواهدها المتنوعة.

– أيضاً أتى المؤلف بمثال لهذه الصحة بمعناها لهذا النوع البديعي مستشهداً ببيت شعر آخرٍ ليضيف إلى معانيه معاني جديدة من شعر الشاعر الذي ذكره المؤلف في

---

(1) شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية ، دار الكتب العلمية،ط3، 1424هـ، 2003م، ص335. و في بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع، عجز البيت: "أن له حاجةً " بدلاً من "منزلاً "، ص26.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص26.

(3) المصدر نفسه ، باب الاستعارة، ص17.

كتابه وهو زهير بن أبي سُلمى وينسبه إليه ويذكر بحر الشعر، وهذا البيت الذي قال عنه ابن أبي الإصبع "هو أجلُّ بيت جاءت فيه صحة التقسيم وأبلغه"[1] (الطويل):

وأَعْلَمُ ما في اليوم والأمس قبله ** ولكنني عن عِلمِ ما في غدٍ عَمِ[2]

كما في باب صحة الأقسام[3] فقد أشار ابن أبي الإصبع إلى بلاغة هذا البيت دون غيره في مقدار بلاغة التقسيم، مما نال إعجابه وذلك في أن عدد ألفاظه ثلاث عشرة لفظة، ومع ذلك فيه زيادة في التعبير فيه، وهذه الزيادة كانت اضطرارية لأجل القافية والوزن أي الضرورة الشعرية[4]. أيضاً ضمن توضيحات الفن البديعي الذي تطرق المؤلف فيه إلى شعر الخنساء[5] كذلك ذكر اسمها واسم بحر الشعر بما يفيد هذا النوع البديعي كشاهد بلاغي (الكامل):

جارى أباه فأقبلا وهما ** يتعاوران مُلاءةَ الفخرِ

وهما وقد برزا كأنهما ** صقران قد حطَّا إلى وكر

حتى إذا نزت القلوب وقد ** لزَّت هناك العذر بالعذر[6]

كما ببابه جمع المختلفة والمؤتلفة[7]. وسياق هذه الأبيات كشواهد على موضوع الجمع لطرفين مختلفين ومحاولة التأليف بينهما كفن أو محسن بديعي، كما حدث مع الخنساء

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب صحة الأقسام، ص71.

(2) ديوان زهير بن أبي سُلمى، ص86.

(3) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص65.

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص71.

(5) هي: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السُّلمية، من بني سُليم من قيس عيلان، من مضر، أشهر شواعر العرب، وأشعرهن على الإطلاق، وهي من أهل نجد، عاشت في الجاهلية وأدركت الإسلام، وأسلمت ولها ديوان شعر، توفيت سنة 24هـ. ينظر ترجمتها في الأعلام، للزركلي، 86/2. وفي الشعر والشعراء، لابن قتيبة، 343/1. والأغاني، للأصفهاني، 76/15.

(6) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ولا سنة نشر، ص55، 56. ففي ديوان الخنساء ينتهي البيت الأول بكلمة (الفخر) بدلاً من (الحُصْر) مع رواية (الحُصْر) و(الخضر).المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها . وعند ابن أبي الإصبع ينتهي بكلمة (الحُضر) بديع القرآن ، ص127.

(7) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب جمع المختلفة والمؤتلفة، ص127.

وأخيها وقد أرادت المساواة بينه وبين أبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد[1].

– شاهد آخر يسوقه المؤلف مقتبساً من شعر البحتري ذاكراً اسم الشاعر دون اسم بحر الشعر الذي قال فيه من(الخفيف):

قد طلبنا فلم نجد لك في السُّؤْدَدِ ** والمجد والمكارم مِثْلاَ[2]

كما في باب الإيجاز[3] وشواهد هذا النوع البديعي كثيرة جداً وتخدم الألفاظ بإتاحة الفرصة للتوظيف وإشغال الحيز الكلامي .

كذلك نقل ابن أبي الإصبع في شواهده الشعرية من أشعار أخرى في باب آخر من أبواب البديع، فساق من شعر الشاعر ذاكراً اسمه وبحر شعره، وهو الشاعر امرئ القيس في لفظ البسط الذي يبحث في معاني الاقتدار فقال (الطويل):

فيالك من ليلٍ كأن نجومه ** بكل مُغارِ الفتل شُدَّتْ بيذبُلِ[4]

فقال ابن أبي الإصبع في ذلك: بسط الصفة ليحصل من البسط ما حصل من التشبيه الذي يشير إلى انعدام السير لطول الليل[5].كما في باب الاقتدار[6] ، فالمؤلف استطاع أن يعيش موقف الشاعر رغم اختلاف الحال بينهما، ولكن تصويره للبيت قارب به الواقع ، وقرب لنا تجسيد الموقف .

أيضاً نقل من شعر امرئ القيس وذكر بحر شعره بيتاً في (الطويل) فقال:

كأن الثريا عُلقت في مصامها ** بأمراس كتانٍ إلى صُمِّ جَنْدل[7]

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص127 .

(2) ديوان البحتري، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، سنة 1964م، مج 1657/3.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الإيجاز، ص179.

(4) ديوان امرئ القيس، ص117.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص289.

(6) المصدر نفسه ، باب الاقتدار، ص289.

(7) ديوان امرئ القيس، ص117.

وهذا تشبيه بليغ معبراً عنه بتعليق الثريا التي هي النجوم وجعلها كالشيء المحسوس المدرك وتعليقه كباقي الأشياء المقدور على تعليقها.

أيضاً قاد المؤلف بيتاً من الشعر للحطيئة[1] بعد ذكر اسمه وبحر شعره (البسيط):

قد نا ضلونا وَسَلُّوا من كنانتهم ** مجداً تليداً ونبلا غير انكاسٍ[2]

كما في باب الافتنان[3] ومفاد هذا البيت أن من عادة العرب كانوا إذا أسروا أسيراً ثم أرادوا أن يمنوا عليه أن يعطوه نبلاً من نبلهم عليها إشارة تدل على أنها لهم[4].

– شاهد آخر من شواهد المؤلف في كتابه وقد اخترتُ مما جاء به من شعر الشاعرة الخنساء عندما قالت في أخيها صخر (الطويل):

فما بلغتْ كفُّ امرئ متناولٍ ** من المجد إلاَّ حيث ما نِلتَ أطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ** ولا صدقوا، إلا الذي فيك أفضل[5]

وقد جاء به في باب إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء[6]، راجعاً فيه إلى الشعر طبعاً ، ولم يتقدم ابن أبي الإصبع بالشرح لهذين البيتين ولم يهملهما في الوقت نفسه، بل دعم ذلك بأن جاء بالشعر الذي على غرارها أو يتقارب معها، ووضح ذلك منغمساً في المدح وبصماته[7].

---

(1) هو: جرول بن أوس بن مالك العبسي أو مليكة: شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، له في الهجاء، وتوفي سنة 45هـ. ينظر ترجمته في الأعلام، للزركلي ، ج118/2، والشعر والشعراء ، لابن قتيبة، ج322/1، والعقد الفريد ، لابن عبد ربه ، ج283/1، فوات الوفيات، للكتبي ، ج276/1، وجواهر الأدب ، للسيد أحمد الهاشمي ، ج397/2.

(2) ديوان الحطيئة، برواية شرح السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ، 2003م، ص120.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الافتنان، ص295.

(4) ينظر المصدر نفسه ، ص297.

(5) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص76. وفي رواية للشطر الثاني : وإن أطنبوا إلا وما فيك أفضل و "لو جهدوا" . المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها . وفي كتاب بديع القرآن، لابن أبي الإصبع جاء البيت الثاني بلفظ : وما بلغ المهدون للناس مدحةً ... وإن أطنبوا إلا الذي فيك أفضل . ص303 .

(6) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك، ص303.

(7) ينظر المصدر نفسه، باب إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك، والصفحة ذاتها .

النوع الثاني _ الشواهد الشعرية غير المنسوبة إلى أصحابها :

أما هذا الصنف من الشواهد الشعرية في كتاب "بديع القرآن" التي استشهد بها ابن أبي الإصبع في تأليفه لأبواب البديع، وهي من الأبيات الشعرية غير المنسوبة إلى أصحابها التي كانت بنحو أكثر من عشرين باباً من أبواب البديع في كتابه، فهذه الشواهد الشعرية المجهولة قد تخيرتُ بعضاً منها وأحاول تقسيمها قسمين:

أولهما – شواهد شعرية مجهولة استطاع الباحث التوصل إلى قائلها (وهو شاهدٌ واحد فقط) هو ما ساقه المؤلف من شعر الخنساء شعراً مجهولاً وهو (شطر بيت) ونصه "فإنما هي إقبال وإدبار"[1]. ولم ينسبه المؤلف إلى صاحبه ، ثم اتضح لي بحثاً أن شطر البيت هذا هو للشاعرة الخنساء والبيت كاملاً من (البسيط):

ترتع ما رتعت، حتى إذا ادَّكرتْ ** فإنما هي إقبال وإدبار[2]

كان ذلك في باب التشبيه[3] فلم ينسب هذا الشطر إلى صاحبه .

ثانيهما – شواهد شعرية مجهولة النسبة لم أستطع أن أتوصل إلى معرفة قائلها وقد بلغ عددها في كتابه سبعة وثلاثين بيتاً شعرياً، منها ما دعم به ابن أبي الإصبع دراسته معبراً على سبيل المثال بكلامه بعبارة: قال الشاعر، ويذكر الشعر (الكامل):

ختم الإلهُ على لسان عُذَافِرٍ ** ختماً فليس على الكلام بقادرِ

وإذا أراد النطقَ خلْتَ لسانَه ** لحماً يحركُهُ لصقرٍ نافرِ[4]

وذلك في باب التمثيل[5] ، وكذلك كمثال آخر ما أتى به المؤلف في شرحه بأبيات شعرية مجهولة في كتابه، فقال ابن أبي الإصبع في شرحه: "وما أحسن قول

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص60.

(2) البيت في ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص39.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشبيه، ص58.

(4) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ،باب التمثيل، ص86. ولم أصل إلى قائله فيما بحثتُ .

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التمثيل، ص85.

من قال في معنى التقريب إلى المحبوب وخلب قلبه بالتلطف"[1] فقد ذكر بحر الشعر ولم يذكر اسم الشاعر (الطويل).

يـــودّ بـــأن يمســـي علـــيلاً لعلّهـــا ** إذا ســـمعتْ شـــكواه يومـــاً تُراسِـــلُهْ

ويهتـــزّ للمعـــروف فـــي طلـــب العُـــلا ** لتُحمـــدَ يومـــاً عنـــد ليلَـــى شـــمائلُهْ[2]

كما في باب القسم[3]، وفي هذين البيتين المجهولين لم يعط المؤلف عنها شيئاً من التوضيح سوى تصريحه بأنه مشغوف بهما وبسببهما دعته الحاجة إلى قول بعض الأبيات الشعرية – كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى– مع ذكره لهما وأنه مقر بعمله مع تقصيره[4]، وهذا ما أفاده في شرحه مضمناً ما ساقه من شواهد شعرية في كتابه.

– مثال آخر على الأبيات الشعرية التي استدل بها ابن أبي الإصبع في كتابه أيضاً مجهولة النسبة عندما أتى المؤلف ببيتين من الشعر مجهولين، كذلك ذكر بحر الشعر ولم يذكر صاحبه (الطويل) وهما:

أجيرتَنَـــا بالغَـــورِ كيـــف خَلَـــصْتُم ** نجيـّــاً وأَخفيتـمْ حديثَكـم عنّـي

لقد سمعتْ أذْنـــايَ نجـــوى فـــراقِكم ** فلا أبصرتْ عيناي ما سمعتْ أذْني[5]

كما في باب الفرائد[6]، لم ينسب ابن أبي الإصبع هذين البيتين لأحد من الشعراء المعروفين وغير المعروفين، إلا أنه أشار إلى طبقة الشعراء التي يرجع إليها هذان البيتان وهي من طبقة الشعراء المحدثين، ولكن دون ذكر اسم صاحبهما، ولكنه يعبر في شرحه أن ألفاظ هذين البيتين تضمنا شيئاً من لفظ القرآن الكريم[7]، أي أن الشاعر

---

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص114.

(2) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها . كذلك لم أعثر على قائلهما .

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب القسم، ص112.

(4) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(5) المصدر نفسه، باب الفرائد ، ص288. ولم أعثر على صاحبهما فيما بحثتُ ولا مصدرهما.

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب الفرائد، ص287.

(7) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الفرائد، ص287 .

استقى ألفاظ شعره من القرآن الكريم كما في "خلصتم، ونجياً، ونجوى" فاستخدمها في شعره السابق ذكره، ورتبها في بيتين من الشعر مجهولين .

– شواهد شعرية من نظم المؤلف :

استشهد ابن أبي الإصبع في كتابه ببعض الأشعار من تأليفه وأشعاره، وقد علمتُ ذلك من خلال كلامه، وكما يقول أثناء شرحه في كتابه باب القسم[1]، والحقيقة أنني لم أجزم على ذلك الشعر شعره إلا من خلال استشهاده ببيتين من الشعر مجهولين ولم ينسبهما لأحدٍ ،_ وكما سبق ذكرهما في هذا البحث_ فقال: " وما ذكرتُ هذين البيتين في هذا الكتاب مع ما التزمتُ أني لا أذكر من الشعر إلا ما تمس الحاجة إلى ذكره ضرورة إلا لشغفي بهما، ومن شغفي بهما عملتُ في معناهما، فقلتُ وإني لأعلم تقصيري فيما عملتُ "[2]، فكلمة "قلت" هي بمثابة الاعتراف، واللام في كلمة (لأعلم) هي للتأكيد طبعاً، فَيُفْهَمُ من الكلام أن ما يريد قوله من الشعر هو من عمله – والله أعلم– ومن هذا الشعر الذي قاله المؤلف في كتابه بديع القرآن، وذكر بحر شعره وهو (الطويل):

أَجُــودُ لعِلمــي أنَّ جُــودي يســرُّها ** لتحمــدَني وهــي الحقيقــةُ بالحمــدِ

تَبيَّنــتُ منهــا أنهــا تعشَــق النَّــوى ** فأبديتُ من عِشق النّوى فوقَ ما عِندِي

وأهْــوَى النّــوى لا عــن مَــلالٍ لعلّهــا ** تقــول تُــراه كيــف حالتُــهُ بَعْــدي

أأبصــرتِ قَبلِــي مُــذْ نفَــا متحــيّلا ** علــى برْئــه يرجــو الشّفــاءَ مــن البعْــدِ[3]

كان استشهاده لهذه الأبيات الشعرية في باب القسم من كتابه "البديع" أيضاً في باب آخر من أبواب البديع في كتابه جاء المؤلف بأبياتٍ له أيضاً كانت في مدح الرسول ﷺ، عندما تحدث في باب الاقتدار[4] وكانت المناسبة عندما تحدث في هذا

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص112.

(2) المصدر نفسه ، ص114.

(3) الأبيات في بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص114، 115.

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص289.

الباب، ومن ضمن الشرح شرحٌ لأبيات من الشعر للشاعر امرئ القيس فقال في هذا المعنى ناقلاً من شعره الذي يُفهم ذلك من قوله: "وإلى هذا المعنى أشرتُ بقولي في وصف القرآن العزيز من قصيدة مدحتُ بها رسول الله ﷺ"[1]. والقصيدة طويلة لم يذكر منها إلا عشرة أبيات فقط، وشعره هذا أوله (الطويل):

بِسُـــكْر الصِّـــبا أعطافهـــا تتـــأوّدُ ** فألحاظهـــا سُـــكراً علينـــا تُعرْبِـــدُ[2]

وجاء بعد تعديد معظم آيات القرآن الكريم في وصفه من(الطويل):

وآيتـــه العظمـــى بلاغـــة مـــا بـــه ** أتـــى مـــن كتـــابٍ فضـــلهُ لـــيس يجحـــدُ

تفـــرَّد فـــي عصـــر البيـــان بيانُـــه ** بأســـــلوبه إذ نظمـــــهُ يتفـــــرّدُ

بـــه قصـــص تأتيـــك طـــوراً بســـيطةً ** ليفهمهـــا مـــن بســـطها المتبلـــدُ

وطـــوراً بإيجـــاز يُبَـــثُّ لِـــذِي حِجـــىً ** لـــه زنْـــدُ فهـــمٍ ثاقـــبٍ لـــيس يَصْـــلدُ[3]

فيقول ابن أبي الإصبع: "والبيتان الأخيران أردتُ لدخولهما في هذا الباب، وفي أوصافه بعد هذه الأبياتِ أبياتٌ أخرى تأتي على معظم أوصافه، تركتُ ذكرها لئلا نطول بذكرها في غير موضعه، فإن هذا الكتاب لم نذكر فيه من الشعر إلا ما يتعلق به، وتمس الحاجة إلى ذكره، والقصيدة مشهورة من أراد الوقوف عليها بجملتها وجدها في جزء أفردتُه من شعري بمدائحه _ صلى الله عليه وسلم _ ومدائح الخلفاء الراشدين، وقطع في مدائح أهل بيته _ عليهم السلام _ وسميته (صحاح المدائح) "[4]، فهذا التصريح منه يشير إلى أن ذلك الشعر شعره ومن تأليفه . ويتضمن باب الاقتدار الذي درسه واستشهد فيه بشعره ذلك ما قاله ابن أبي الإصبع معبراً عن القصيدة بالتنبيه بأن من رغب بالاطلاع عليها أو حتى الوقوف عليها، فإنه أفردها في جزءٍ من شعره

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص290.

(2) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(3) المصدر نفسه ، ص291.

(4) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

المُصاغ، الذي سمى كتابه ذلك باسم "صحاح المدائح"[1]، الذي تحدثتُ عنه في الفصل الأول، وهو من الكتب المفقودة التي لم أقف عليها في البحث. ومما قاله ابن أبي الإصبع في باب الافتنان : " ومما جمعتُ فيه بين فنِّ العتاب وفنِّ الاعتذار قولي (البسيط) " :[2]، فهو من شعره ذاكراً بحره :

أعرضتَ عني ولم أُذنب وملتُ إلى ** الواشي وهبني قد أذنبتُ فاغتفرِ

ولا تُضع ما حباك الفكرُ من مدحي ** عن صفوِ ودٍّ حماه الله من كدرِ[3]

ولم يعرض المؤلف هذين البيتين للشرح والتوضيح، بل اكتفى بذكرهما والاستشهاد بهما.

وبهذه الأمثلة أكون قد استوفيتُ بها التوضيح لمسألة إتيان شواهد المؤلف –ابن أبي الإصبع– الشعرية للأنواع البديعية في كتابه "بديع القرآن" وهي من الصنف الأول الذي كان واضحاً ودقيقاً في نسبته إياها لأصحابها الشعراء بأسلوب صريح وفي الغالب ما كان مستوفياً لها بالشرح والتوضيح والتعليل، مع وضعه لها كلٍ منها في بابٍ على حده من أبواب البديع الذي قسمه في كتابه .

ثانياً – عدد الشواهد الشعرية في كتاب بديع القرآن .

أما عن عدد الأبيات الشعرية في كتابه فكانت قد وصلت إلى عدد اثنين وسبعين ومائة بيت شعري ما بين معلومة القائل ومجهولة ، وفي مجملها تضم كثيراً من الشعراء الجاهليين والإسلاميين على حد السواء، وفي الحقيقة لم تكن هذه الأبيات الشعرية موزعة في كل الأنواع البديعية في كتابه بل بعض الأنواع لم يذكر فيه بيت شعر واحد وبعضها ذكر فيها كثيراً من الشعر، كذلك الأمر مع الأشعار منها ما هو مشروح ومنها ما كان مذكوراً فقط، أيضاً من حيث نسبتها إلى أصحابها فقد أوضحت ذلك سابقاً، ومع ذلك أشير إلى أن جل هذه الأبيات الشعرية كانت منسوبةً إلى

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص291.

(2) المصدر نفسه ، باب الافتنان ص299 .

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

أصحابها وبعضها لم يكن منسوباً لأحد وبقي لمجهوله ، فالأولى حصراً بلغت حوالي ثمانية عشر ومائة بيت منسوباً لأهله، والثانية أي الصنف المجهول بلغ حوالي ثمانية وثلاثين بيتاً شعرياً لم ينسب لأهله، وضمن ذلك كله كانت أبياتاً شعرية للمؤلف ذاته وقد نسبها لنفسه وذكر ذلك في كتابه فبلغ عدد أبياته المذكورة ستة عشر بيتاً شعرياً له.

فهذا مجمل ما ذكرتُ من الأمثلة للشواهد الشعرية التي ساقها ابن أبي الإصبع المصري في كتابه "بديع القرآن" وكما أسلفتُ منها ما نسب إلى أصحابها ومنها ما لم ينسب، فذكرها المؤلف بصفة النكرة في سياق كلامه وشرحه عن الأنواع البديعية بأبوابها التي ذكرها.

وما ذكرتُه ما هو إلا أمثلةً فقط ولم يكن حصراً لها، وعلى أية حالٍ فهذا لا ينقص من مكانة المؤلف العلمية ولا من قيمة الكتاب العلمية بقدر ما ينقص من حقوق أصحابها القائلين، وذلك يعود سلباً على الكتاب من حيث التأثير، والهدف هو محاولة إثبات النصوص إلى قائليها كما يجب، ومن ثم دراستها دراسةً تاريخية علمية لإتمام الاستفادة العلمية.

المبحـــث الثـــاني

منهجه في إيـــــراده للشـــــواهد

في مبـــاحث كتـــــابه

منهجه في إيراد الشواهد وتوثيقها :

بات لزاماً إلقاء النظرة على مسألة إيراده للشواهد من خلال كتابه "بديع القرآن" فشواهده البلاغية في كتابه كثيرة ومتنوعة أي ما بين قرآنية وأحاديث نبوية وأبيات شعرية، والكيفية التي كانت عليها الشواهد بواقع الكتاب أنها متمثلة في أبواب الأنواع البديعية في كتابه التي وصلت مائة وثمانية أبواب، وقد خص كل نوع بالدراسة والتعريف وتوضيح الغامض منه ، بحيث يستدل بشواهده من القرآن الكريم، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة في بعض الأحيان ثم استعانته بالشعر العربي ويكون لها شارحاً تارةً وتارةً أخرى يكون ذاكراً فقط، وكان في الأغلب يأتي ببيان سبب الإتيان بشواهده وهو "الموضوع" قبل أن يشرح شواهده وفيما يلي توضيح الكيفية التي جاء بها ابن أبي الإصبع في تبيانه ودراسته للأنواع البديعية في كتاب الله العزيز.

أولاً – منهجه في إيراد الشاهد القرآني في كتابه :

من حيث منهجه في إيراده للشواهد القرآنية أنه لا يأتي بالشاهد قبل الشرح بل يقدم شرحه وتوضيحه ثم يأتي بالشاهد لتعزيز كلامه في الموضوع كما في شرحه لباب الاستعارة فبعد توضيحه لها من حيث التقسيمات ذكر بأنها تنقسم خمسة أقسام ، وما يهم من ذلك هو أن المؤلف أتى لكل قسم بشاهد قرآني فمثلاً : مثّل لقسم الاستعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في الوصف وبعد الشرح أتى المؤلف بالشاهد القرآني من قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[1] باب الاستعارة[2]، أيضاً مثال آخر للإيراد بالشرح ثم ذِكْرُ الشاهد كما في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[3]، هذا الشاهد أتى به المؤلف بعد التوضيح كما في باب الكناية[4]،وهذا النمط من الإيراد هو الغالب في كتابه، وبالنسبة لمسألة ما إذا كان في إيراده للشاهد القرآني يذكر رقم الآية واسم السورة القرآنية فإنه لم يفعل ذلك بالكلية في كتابه بل كان يكتفي بذكر

---

(1) سورة الكهف ، الآية 99 .

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ، ص21 .

(3) سورة المائدة ، 75 .

(4) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الكناية ، ص53 .

الشاهد إلاّ مرةً واحدة في غلبة ظني في باب التغاير ذكر سورة الأنعام فقال: " ومن التغاير تغاير المعنى لمغايرة اللفظ مثل قوله تعالى في سورة الأنعام"[1] ثم ذكر الآية القرآنية كشاهد ، وقد كان يستهل الشاهد القرآني بعدة عبارات أو ألفاظ فمثلاً : يأتي بلفظ "قول الله تعالى" ويذكر الآية، مثال ذلك، قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[2] كما في باب الاستعارة[3]، وتارةً بلفظ " قوله تعالى" ومثاله، قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[4] كما باب الاستعارة[5]، وأحياناً بلفظ "في قوله" مثاله، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[6] باب التفويت[7]، وأحياناً بعبارة "وقوله سبحانه" والآية في قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ﴾[8] كما في باب التسهيم[9]، وفي موضع آخر بلفظ "قال سبحانه وتعالى" فيقول المؤلف عند ذكر الآية قال سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[10] وذلك في باب التورية[11]، وأحياناً بلفظ "وكقوله عز وجلّ" ومثال ذلك، قوله عز وجل: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾[12] كما في باب التعليل[13] فاستهلاله للشواهد القرآنية كان

(1) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، باب التغاير ، ص106 .
(2) سورة البقرة، الآية 16 .
(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ص19 .
(4) سورة الحجر، الآية 94 .
(5) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ص22 .
(6) سورة الشعراء ، الآية 80 .
(7) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التفويت ص99 .
(8) سورة الواقعة ، الآية 71 .
(9) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التسهيم ص100 .
(10) سورة البقرة ، الآية 143.
(11) ينظر بديع القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، باب التورية ، ص103 .
(12) سورة هود ، الآية 91.
(13) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التعليل ، ص109 .

بعبارات عديدة كما سبق الإشارة إليه . أيضاً فإنه كان يورد الآية كاملةً في أغلب الأحيان بل وكأنه يحرص على ذلك، مثال ذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾[1]، كما في باب القسم[2]، وفي بعض الأحيان لا يأتي بالآية كاملة كما في باب الإيجاز[3]على سبيل المثال عندما استشهد المؤلف بآيتين قرآنيتين لم ينقلهما بصفة كاملة ولم يستهلهما بأي لفظ من ألفاظ التعظيم كعدم قوله : قال الله تعالى أو قال سبحانه تعالى، والآيتان هما من قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾[4] ، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾[5]، وهذا تعدد في الإيراد من المؤلف في بعض الشواهد القرآنية حيث يقتصر على الجزء الذي يوضح به الفكرة ويعلل ذلك بالشاهد .

ثانياً – طريقة إيراده لشواهد الأحاديث النبوية كشواهد بلاغية في كتابه :

كانت في بعض الأحيان يذكر الحديث بعبارة "جاء في الحديث " وأحياناً بقوله: فقال صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك لقوله: فقال صلى الله عليه وسلم: " هو الطهور ماؤه، الحل ميتته"[6] ، وأحياناً بلفظ "ومنه"[7] ثم يذكر القول، ولم يعتمد أكثر من رواية للحديث ، وفي الأغلب يقتصر على قول الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخدم موضوعه دون سند أو توثيق[8]، وأحياناً لا يأتي بالحديث كاملاً بل يكتفي بالجزء منه مُقتصراً على موضوع الشاهد، ومثال إيراده لحديث غير كامل، أو جزء منه فقال في

---

(1) سورة الذاريات، الآية 23.

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب القسم ص112 . كذلك ينظر بداية هذا الفصل من البحث .

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب الإيجاز ، ص180 .

(4) سورة يوسف ، الآية 82 .

(5) سورة ص ، الآية 32 .

(6) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص126 . وقد تم تخريجه سابقاً في مبحث شواهد الأحاديث النبوية .

(7) ينظر المصدر نفسه ، ص279 .

(8) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص126 ، ص327 . أيضاً ينظر هذا الفصل موضوع شواهد الأحاديث النبوية .

باب الانفصال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل عصفوراً عبثاً "[1]. تلك طريقته في إيراد الأحاديث النبوية الشريفة كشواهد، واختلفت العبارات، مع عدم اختلاف الروايات عنده، فغايته على ما يبدو خدمة الموضوع بالشواهد البلاغية .

ثالثاً – طريقة إيراد الشواهد الشعرية في كتابه :

فكان يذكر الشاهد الشعري تحت النوع البديعي عنده ، وهذا الشاهد الشعري إما بيت شعر واحد أو أكثر، وأحياناً يورده كاملاً أو ناقصاً ، وفي الغالب يورده بصفة كاملة مع ذكر اسم الشاعر "قائل البيت" ذاكراً بحر الشعر في غالب الحالات ، وملحقه على سبيل المثال بذكر الصفة الكاملة من اسم الشاعر وبحر شعره كلفظ " قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي[2] ": ويذكر بحره (الرمل) :

بينمـــــا ينعتنـــــي أبصـــــرنني ** مثـل قيـد الـرمح يَعـدُوبي الأغـرُ

قالـــت الكبـــرى تـــرى مـــن ذا الفتـــى ** قالـــت الوســـطى لهـــا هـــذا عمـــرُ

قالـــــت الصـــــغرى وقـــــد تَيّمتُهـــــا ** قـد عَرَفْنَـاهُ وهـل يخفـى القمـرُ[3]

حكاية الشاعر عن الموقف الذي كان يخصه والفتيات، فقد أخرج منه ابن أبي الإصبع ما يخص الكلام ومواضعه، وقوة العارضة في القوافي لدى الشاعر، والتشبيهات التي كانت من كلمات الفتيات على أنه فتّى السن[4] ، ويتضح من ذلك

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص327 باب الانفصال ، وقد تم تخريجه سابقاً في مبحث شواهد الأحاديث النبوية .

(2) هو: أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ابن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة ابن مرة القرشي المخزومي الشاعر المشهور، لم يكن في قريش أشعر منه، ولد في الليلة التي قتل فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وغزا في البحر فمات حرقاً في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان ، 436/3، وفي الشعر والشعراء، لابن قتيبة ، 553/2، وفي العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، 271/5، الأعلام، للزركلي ، 52/5، وجواهر الأدب، لأحمد الهاشمي ، 402/2.

(3) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه وقدم له، علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص168، 169.، وينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، ص300 بنفس الرواية. أما الرواية في ديوانه... بينما يذكرنني أبصرنني * دون قيد الميل يعدو بي الأغر، والبيت الثاني: قلن تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار القلم، بيروت، ص90 .

(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص300.

إيراد المؤلف الممزوج بالنمط القصصي كما في باب المراجعة[1]، وأحياناً يذكر اسم الشاعر ثم يلحقه بلفظ " في قوله ويذكر بحر الشعر المأتي به " كما كان في هذا المقام مع شعر امرئ القيس (الطويل):

كأنِّي لم أركبْ جواداً للذةٍ ** ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبإ الزقَّ الرّوي ولم أقل ** لخيلي كُري كرَّةً بعد إجفالِ[2]

كما في باب التوهيم[3]، ولهذين البيتين حكاية[4] يطول ذكرها، وما يفيد منهما أن الشاعر طبق التوهيم بأن ذكر شيئاً مع شيءٍ آخر متضمناً إياه بالكلام كما في البيتين السابقين، أي أن يوهم المتكلم باستخدام كلمةٍ الكلام الذي يليها وفي الإيراد الحقيقي معنى مراد آخر غير الذي قيل[5]. ومن اسمه يعرف مراده بعكس الحقيقة أو بمعنى آخر حقيقة أُلبست ثوباً آخرَ للوهم والإخفاء.

وأحياناً يأتي بالشاهد الشعري ناقصاً كأن يذكر شطر بيت مع ذكر اسم قائله كما فعل على سبيل المثال مع الشاعرة الخنساء عندما استشهد بشطر بيت لها (الكامل)، وهو يقول بعد أن ذكر اسم الخنساء أثناء شرحه: وبعد قولها في المساواة أيضاً:

..... وقد ** لزّت هناك العذر بالعذر[6]

أي أنه ذكر العجز ولم يذكر الصدر من البيت. أيضاً شاهد شعري غير كامل يأتي به المؤلف في باب حسن الاتباع[7] من شعر الفرزدق الذي قال فيه في كلمة أولها (البسيط):

---

(1) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(2) ديوان امرئ القيس، ص127.

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص131.

(4) ينظر ديوان امرئ القيس ، ص127 .

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، ص131.

(6) المصدر نفسه ، ص128 . والبيت كاملٌ : حتى إذا نزت القلوب وقد ... لزّت هناك العذر بالعذر . ديوان الخنساء ، ص55 .

(7) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن الاتباع، ص201.

هـذا الـذي تعـرف البطحـاءُ وَطْأَتَـهُ [1] ** .....

هذا شطر من بيت ذكره المؤلف منسوباً إلى قائله . والبيت الثاني من القصيدة نفسها أتى به كاملاً وهو:

يكـــادُ يُمســـكه عِرفـــان راحتِـــه ** رُكـنُ الحَطِـيم إذا مـا جـاء يسـتلِمُ[2]

فابن أبي الإصبع جاء بشطر من البيت الأول مصحوباً ببيت آخر من القصيدة وذلك الشطر من البيت هو مطلع القصيدة وقد نسب البيتين إلى صاحبهما .

وأمثلة أخرى لشواهد المؤلف الناقصة في كتابه كما في باب الاستعارة[3]، وكذلك باب الإيجاز[4]، نقل في هذين البابين بيتين ناقصين ، وأحياناً يورد بعض الشواهد الشعرية بصفة مجهولة – سبق وأن بيّنتُ هذا النوع من الشواهد – فقد أتى المؤلف ببيتين من الشعر مجهولين ذاكراً بحر الشعر لهما (الطويل) وهما:

أجيرتنـــا بـــالغور كيـــف خَلَصْـــتُم ** نجياً و أخفيتم حديثكم عنّي

لقد سمعتْ أذْناي نجـــوى فـراقِكم ** فلا أبصرتْ عيناي ما سمعتْ أذْني[5]

كما في باب الفرائد[6] الذي يوضح وجهاً من وجوه الإيراد عند ابن أبي الإصبع في كتابه فلم ينسب مثل هذه الشواهد إلى أصحابها إنما يكتفي بذكر نوع البحر الشعري لها وبتوضيح فكرته بتوظيف الشاهد في كلامه . وقد تقدم توضيح كيفية إيراده للشاهد القرآني بعد تقديمه للشرح والتحليل ، وقد يكون الأمر كذلك في الشواهد الشعرية إلا أنه في بعض الأحيان يشير إلى المعنى بشرح مبسط ثم يأتي بالشاهد الشعري ثم شرحه

---

(1) ديوان الفرزدق، لعلي فاعور، ص511 . ، وتكملة البيت : المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

.....** والبيتُ يعرفُه والحِلُّ والحرمُ .

(2) ديوان الفرزدق، لعلي فاعور، ص511 وهذا البيت هو مطلع قصيدة مدح زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم–، وفي شرح ديوان الفرزدق، ضبط وشرح إيليا الحاوي، الشركة العالمية للكتاب، ط2، سنة 1995م، ج353/2.

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ،باب الاستعارة ص18 .

(4) ينظر المصدر نفسه ،باب الإيجاز ص182 .

(5) المصدر نفسه ، ص288. ولم أعثر على صاحبهما فيما بحثتُ .

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب الفرائد، ص287.

المفصّل كما كان مع هذا الشاهد الشعري الذي أتى به المؤلف فساق من شعر أبي تمام حيث قال (الطويل):

فـردَّتْ علينـا الشـمس والليـل فـاحِمٌ ** بشمس لهم من جانب الخدر تطلُعُ

فـــو الله مـــا أدري أ أحـــلامُ نـــائمٍ ** أَلَمتْ بنا أَمْ كان في الركبِ يُوشَعُ[1]

كما في باب النوادر[2]، ففي البيتين تجسيد لموضوع النوادر الأدبية والتشبيهات البليغة ما يثير الانتباه، ومن جهة أخرى حسن النسق، والتهذيب والإيغال، وقد خاض في التشبيه بوجوه عدة .

رابعاً– طريقة إيراده للشواهد من حيث التبسيط والتعقيد (مباشرة وغير مباشرة).

طريقة إيراد ابن أبي الإصبع للشواهد التي استخدمها في كتابه طريقة على وجه العموم مبسطة وملمة بصورة تطبيقية لجوانب الموضوعات البلاغية، فإنه قد اتجه في بعض الأحيان إلى تطبيق الصور البلاغية بالطرق المباشرة والواضحة المعاني، وأحياناً يلجأ إلى تطبيق الصور البلاغية المتمثلة في المعاني غير المباشرة والتقريب لها، فالشواهد سهلة الإيراد تمثيلاً هي التي تكون واضحة ضمن الظاهر لفظاً ومعنى كما في شواهد باب التجنيس والتشبيه والتسجيع على سبيل المثال لا الحصر، والشاهد القرآني الكريم الذي استدل به ابن أبي الإصبع يوضح ذلك كما في باب التجنيس[3] عندما شرح المؤلف معناه ووضحه من خلال الآيات القرآنية والتي منها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[4] فلفظتا السيئة هي التجنيس المقصود حيث تشابه الكلمتين مع الحروف بظاهر الشكل بغض النظر عن المضمون – والله أعلم– والأمثلة على ذلك كثيرة، فينطبق الحال على باب التسجيع غالباً.

---

(1) شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية، ص178.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب النوادر، ص222.

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب التجنيس، ص27.

(4) سورة الشورى، الآية 40.

أما الإيراد بالطرق غير المباشرة مبني على الإشارة للمعاني الخفية كما في باب الكناية[1]، والشاهد القرآني الذي استدل به من القرآن الكريم آية في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[2]. ومعنى هذه الآية من التفاسير هو: "لا تقل لها إني عاشق وعاهديني أن لا تتزوجي غيري ونحو هذا"[3]. وهذا وجه ثانٍ من وجوه الإيراد الذي أتى به المؤلف في شواهده، أما الإيراد في الشواهد بطريق تقريب المعاني الظاهرة منها والخفية وقياسها البلاغي كما في بابي التورية والترشيح: فالتورية[4] فيما شرحه المؤلف واستدل به من الآيات القرآنية في قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[5]، ومعنى الآية: "قال ابن عباس: لفي خطئك القديم"[6]. وهذا المعنى هو أحد المعاني الواردة في التفسير. وفي باب الترشيح[7] حيث كان المؤلف في تفسيره له من معانيه أن لا يؤتى به مباشرةً ومجرداً بل يأتي في الكلام بضرب من ضروب البديع بشيء من الكلام المرشح[8] بطرق غير مباشرة، فاستدل بآيات الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾[9] ومعنى الآية: "اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ" صفني عند الملك بصفتي، وقصَّ عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة "ذكر ربه" أن يذكره لربه، وقيل فأنسى يوسف ذكر

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الكناية، ص53.
(2) سورة البقرة، الآية 235.
(3) تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي، 351/1.
(4) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التورية، ص102.
(5) سورة يوسف، الآية 95.
(6) تفسير القرآن العظيم، للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي، 586/2.
(7) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الترشيح، ص103.
(8) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، ص103 .
(9) سورة يوسف، الآية 42.

الله حيث وكل أمر إلى غيره[1] – والله أعلم– . وأحياناً يكون إيراده للشواهد بوجه فيه شيء من التعقيد، بمعنى أنه يحاول التوضيح وإيصال الفكرة مع تبسيطها بتقديم المثال كما في باب الطاعة والعصيان[2] الذي تطرق فيه إلى شعر بعض الشعراء المشهورين أمثال المتنبي[3] فأتى من شعره من (الطويل):

يَـرُدُّ يـداً عـن ثوبهـا وهـو قـادرٌ ** ويعصـى الهـوى فـي طيفهـا وهـو راقـدُ[4]

والمعنى: قال ابن أبي الإصبع أن المتنبي أراد الطباق، فعصاه وأطاعه الجناس، فإنه أراد أن يقول: يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ فعصاه ذلك ويتعذر الدخول في الوزن فاستعمل بدلاً من ذلك كلمة "قادر" لأن القدرة مع الاستيقاظ يكون هناك تجانس في القافية[5]. فلا يُفهم هذا النوع من البديع إلا بالمثال وشرحه فقد استدل المؤلف لهذا النوع بالشواهد منها بعض الأشعار لإيصال الفكرة ، فهذا الباب يحمل الانتقال من كلام إلى آخر ومن معنى إلى آخر.

خامساً – مسألة الاقتصار على نوع من الشواهد دون غيرها في بعض مباحث كتابه.

في بعض الأحيان يتناول المؤلف بالشرح بعض الأنواع البديعية في مباحث كتابه "بديع القرآن" ولم يستدل فيها بالآيات القرآنية ولكنه أكثر فيها من الشعر فقط ، كما في باب

---

(1) ينظر تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، وبحواشيه أربعة كتب، رتبه وضبطه وصححه: محمد عبدالسلام شاهين ، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3 ، 1424هـ–2003م، 453/2.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص109.

(3) هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: شاعر حكيم، وقال الشعر صبياً، ولد بالكوفة، له ديوان شعر، وتوفي بالنعمانية قتلاً في الجانب الغربي من سواد بغداد سنة 354هـ. ينظر ترجمته في وفيات الأعيان، لابن خلكان، 120/1 وفي يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ،لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان،ط1، 1983م ،1 / 126 ، في الأعلام، للزركلي، 115/1 .

(4) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1 ، 1418هـ، 1997م، 268/1.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص110.

الاقتدار[1] من كتابه الذي أكثر فيه من الأمثلة والاستدلال بالأبيات الشعرية وعلى عكس الأبواب التي تسبقه فقد كانت شواهده فيها أغلبها قرآنية، كذلك في باب الافتنان[2] كانت شواهده شعرية إن لم تكن كلها فأغلبها كان يتخذ فيها أسلوب التنويع في الشعر بين الجاهلي وشعر العصر العباسي وما بينهما فكان شارحاً لها بالشيء المفيد إلا أنه يختم هذا الباب ببعض الشواهد القرآنية، أما في باب حسن الخاتمة[3] فإنه استدل في بدايته بشاهد قرآني واحد وباقي شواهده قدمها من الشعر المشروح والمتنوع في بحوره الشعرية.

أما عن الأنواع البديعية التي لم يستدل فيها بالشعر أبداً كما في باب حسن البيان[4] الذي كانت شواهده فيه كلها من القرآن الكريم ولم يستدل بالشعر أبداً، أي أنه من ظاهر أسلوبه ومضمون كلامه أنه لم يوفق في تجسيد هذا النوع البديعي في الأبيات الشعرية وإلا لم يكن ليتردد في الاستدلال كما فعل في بعض الأبواب حيث جمع بين الشواهد القرآنية والشعرية حسب مناسبة النوع البديعي ، أيضاً مثال آخر لهذا الموضوع ما في باب التوليد[5] فقد كانت شواهده كلها قرآنية وخالية من الشعر من أي نوع منه مع طول شرحه بالاستدلالات البلاغية بالآيات القرآنية، أيضاً في باب التنكيت[6] الذي أطال المؤلف فيه الشرح بشكل لافت للنظر وكل شواهده أيضاً من القرآن الكريم أي أنه لم يتطرق إلى الشعر حتى بالشيء اليسير منه، مع أنه استطاع أن ينقل بالشرح شواهده القرآنية لتدعيم توضيحه محاولاً في ذلك التنويع في الاستدلال بالسور القرآنية وآياتها، والأمثلة على ذلك كثيرة في مباحث كتابه لأن ذلك من صلب دراسته وفي المقابل أن هناك من المباحث في كتابه اتخذ فيها المؤلف نمط الجمع بين الشواهد بل وتنويعها بحيث شملت أكثر من نوع حاملة في ذلك أسلوب التشويق.

---

(1) ينظر المصدر نفسه ، ص289.

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب الافتنان ، ص295.

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن الخاتمة ، ص343.

(4) ينظر المصدر نفسه، باب حسن البيان، ص203.

(5) ينظر المصدر نفسه، باب التوليد ، ص207.

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب التنكيت ، ص212.

سادساً – مسألة التزاوج في الشواهد في المبحث الواحد عنده . أما من ناحية التزاوج في الاستشهاد في مباحث كتابه بمعنى أنه يورد شواهده في بعض الأحيان بأكثر من نوع في الموضوع الواحد ، فقد جمع بين شواهد قرآنية وشواهد شعرية وهذا النمط من التزاوج يغلب على أبواب أنواعه البديعية في كتابه، حيث أتى المؤلف بشاهد قرآني وهو الآية في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ (1) وشاهد شعري وهو بيت للشاعر زهير (الطويل) :

لَدَى أَسَدٍ شاكي السّلاحِ مُقَذَّفٍ ** لهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لمْ تُقَلَّمِ (2)

وذلك في باب الاستعارة(3)، وأحياناً يجمع ما بين شواهد الآيات القرآنية وشواهد الأحاديث النبوية الشريفة في الموضوع الواحد في كتابه، ومثال الجمع بين شواهد قرآنية وشواهد الأحاديث النبوية، فالشاهد القرآني في قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ قَالَ هِىَ عَصَاىَ﴾ (4) وشاهد الحديث النبوي الشريف ، قال صلى الله عليه وسلم: " هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته "(5)، وكان ذلك في باب التلفيف(6)، وهذا النمط من التزاوج في الشواهد قليل الإيراد في أبواب أنواعه البديعية في كتابه .

سابعاً – مسألة العيوب أو الأخطاء في شواهد كتابه .

يمكن القول إن شواهده كاد ينتابها بعض العيوب والأخطاء نقلاً ونسبةً لها تتمثل في بعض الحالات التي أهملها المؤلف لبعض الأقوال في كتابه، التي كان منها ناقص في الإتيان أو مجهول أو ينقصه التوثيق والسند لبعض النصوص لاسيما فيما يخص الأحاديث النبوية كما أوضحتُ فيما سبق ، وكذلك في بعض الأشعار التي تمت

---

(1) سورة البقرة، الآية 17.

(2) ديوان زهير بن أبي سُلمى ، ص84 .

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ، ص26.

(4) سورة طه ، الآيتان 17، 18 .

(5) بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، ص126 . وقد تم تخريجه سابقاً في مبحث شواهد الأحاديث النبوية .

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب التلفيف ص126 .

الإشارة إليها في البحث ، إضافةً إلى ذلك ما ينتاب من عيبٍ أو خطأٍ في إيراده لشواهده في كتابه يُحسب عليه هو في غلبة ظنّي أنه يقدم الشاهد الشعري على الشاهد القرآني ، وهذا يظهر واضحاً في أغلب مباحث الأنواع البديعية في كتابه كما هو الحال في باب الاستعارة[1]، ويعيد المؤلف هذا التقديم في الشواهد على الأخرى مثلما في باب المساواة[2]، أيضاً في موضع آخر لمثل هذا التقديم للشاهد الشعري على الشاهد القرآني كما في باب الطاعة والعصيان ، حيث نقل المؤلف شعراً للمتنبي من (الطويل)[3]:

يَـرُدُّ يـداً عـن ثوبهـا وهـو قـادرٌ ** ويَعصـي الهـوى فـي طيفهـا وهـو راقـدُ[4]

ثم نقل المؤلف في نفس الموضوع شاهداً قرآنياً وهو الآية من قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾[5]، ومثال آخر لهذا التقديم في باب المراجعة[6]، عندما نقل المؤلف ما قاله الشاعر عمر بن أبي ربيعة المخزومي في (الرمل):

بينمـا ينعتنـى أبصـرنني ** مثـل قيـد الـرمح يَعـدُوبي الأغـرُ

قالـت الكبـرى تـرى مـن ذا الفتـى ** قالـت الوسـطى لهـا هـذا عمـرُ

قالـت الصـغرى وقـد تَيّمتُهـا ** قـد عَرَفْنَـاهُ وهـل يخفـى القمـرُ[7]

ثم أتى ابن أبي الإصبع بشاهد قرآني وهو الآية في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[8]، بل إن هذا التقديم في الشاهد الشعري على الشاهد القرآني هو في

---

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، باب الاستعارة ص18 .

(2) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب المساواة ص79 .

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الطاعة والعصيان ص109 .

(4) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، 268/1.

(5) سورة البقرة، الآية 266.

(6) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، باب المراجعة ، ص300 .

(7) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه وقدم له، علي مهنا، ص169 ، وديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص90 .

(8) سورة البقرة، الآية 124.

أغلب مباحث كتابه إن لم تكن كلها ، فهذا التقديم لا أراه سديداً من جميع النواحي ، فكان عليه تقديم الشواهد القرآنية على الشواهد الشعرية تكريماً للآيات القرآنية ، والتقديم يكون لكلام الله سبحانه على كل الكلام من باب أولى، ولأن موضوع كتابه البديع في القرآن الكريم ، ماعدا ذلك فإنه في معظم نقوله وشواهده وإيراده لها حرص على الدقة والإتقان ، وهذه حسنات وميزات لمنهجه في شواهد كتابه .

– ومن هذا الاستنتاج العلمي من الأمثلة السابقة يتضح أن ابن أبي الإصبع مالَ في أسلوبه المُتبَع إلى الطرق المختلفة في إيراده لمباحثه لعلم البديع في كتابه، منها ما كانت واضحة، ومنها ما اتصفت بالتعقيد أو بالأحرى غير مباشرة وتحتاج إلى تمحيصٍ دقيق وهذا يُعدُّ تميزاً للكاتب، بل إنه يزيد من أهمية المكتوب ويضفي على المضمون رونق التعبير.

إذاً فابن أبي الإصبع لم يتبع منهجاً واحداً في إيراده لمباحث علم البديع، بل اتخذ أكثر من منهج وطريقة وحسب طبيعة المبحث البديعي ومناسبته البلاغية ، وأعتقد أنه كان مُوفَّقاً في اختيار وتوظيف الشاهد للموضوع المناسب للاستشهاد كما سبق توضيحه ، إلا أن الأمر لا يخلو من مسألة التقليد والتجديد والتكرار في إيراده للشواهد البلاغية عنده – وإن شاء الله تعالى – سيأتي بيانه في المبحث اللاحق ، ومسألة توثيقه لها .

المبحـــث الثالث

الاتباع والتجديد في الشواهد وتوثيقها من المصادر .

المطلب الأول:

شواهده من حيث التقليد والاتباع .

المطلب الثاني:

شواهده من حيث التجديد والتكرار .

المطلب الأول

شواهده من حيث التقليد والاتباع .

التقليد في الشواهد معناه أن تكون مستقاة من الغير أو بصفة مشتركة بين علماء أهل البلاغة لا سيما السابقين منهم فكانت شواهد ابن أبي الإصبع كثيرة في أبوابه البديعية ، ويلاحظ على شواهده أن بعضها مُستقاة من علماء البلاغة السابقين له ، وقد اقتصرتُ بالتوضيح على الشواهد القرآنية لأنها الأوفر في كتابه ، والأمثلة على ذلك كثيرة، وأحاول هنا بيانها ولو بإيجاز منها باب الاستعارة[1] عند ابن أبي الإصبع فشواهده فيه كانت بين القرآنية والشعرية في كتابه "بديع القرآن" .

فشواهده القرآنية فيه لم تكن جديدة من حيث الاستدلال بل كان موافقاً لبعض العلماء في بعضها ، وبعضها الآخر لم يوافقه أحد فيها فباتت من جديده. فالذين وافقوه أو بالأحرى الذين قلدهم وتوافقت شواهده مع شواهدهم، هم: ابن المعتز في بديعه الذي يسبق ابن أبي الإصبع من حيث الزمن ، فقد استدل بشاهد قرآني في كتابه "البديع"[2] كان نفس الشاهد الذي استدل به ابن أبي الإصبع وهو الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾[3]، كذلك استدلال آخر لهما من القرآن الكريم الآية في قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [4] .

ومن الشواهد القرآنية المسبوق إليها في نفس الباب[5] من قبل أبي هلال العسكري الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾[6]، أيضاً الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾[7].

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الاستعارة، ص17.

(2) ينظر كتاب البديع، لابن المعتز، باب الاستعارة، ص3.

(3) سورة الإسراء، الآية 24.

(4) سورة مريم، الآية 4.

(5) ينظر كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، ص299.

(6) سورة الحاقة، الآية 11.

(7) سورة الأعراف، الآية 154.

وممن سبقه أيضاً كان قد استدل بما في كتاب ابن أبي الإصبع من شواهد ففي العمدة في محاسن الشعر في موضوع الاستعارة[1] كان هناك شاهد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [2]، أما من الذين كانوا بعده، وكان ضمن شواهده المستدل بها من القرآن الكريم وقد توافق معه في النقل هو الخطيب القزويني في كتابه "الإيضاح" قسم الاستعارة[3]، والشاهد القرآني هو الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [4]. مثال آخر لذلك التقليد في نقل الشواهد لابن أبي الإصبع في باب الطباق[5] أو المطابقة عند بعضهم، فمن ضمن الشواهد التي استدل بها ابن أبي الإصبع وهي كثيرة جداً في بابه هذا شاهد منها اتفق فيه مع بعض علماء البلاغة أمثال: أبي هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" في المطابقة[6] ففي هذا الباب تغزر الشواهد المتنوعة ومن ضمنها شاهد مشترك بينهما وهو الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[7]، أيضاً في هذا الشاهد كان الاستدلال به من طرف ابن منقذ في كتابه "البديع" وذلك في باب طبقات التطبيق[8]، في المقابل هناك من كتبَ واستدل بالشواهد الكثيرة في نفس الباب ولم تتوافق شواهد مع شواهد ابن أبي الإصبع أمثال السكاكي في مفتاحه باب المطابقة[9] وابن رشيق استدل به في عمدته[10]، وهذا دليل على عدم تقليده لهما، كذلك فإن القزويني الذي جاء بعده قد توافق شاهد من

(1) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني ، 228/1.

(2) سورة الأعراف، الآية 154.

(3) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص288.

(4) سورة مريم، الآية 4 .

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، باب الطباق، ص31.

(6) ينظر كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، ص340.

(7) سورة النجم، الآيات من 43-45.

(8) ينظر البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، ص36.

(9) ينظر مفتاح العلوم، للسكاكي، ص533.

(10) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، ج5/2.

شواهد المطابقة عنده[1] لشاهد من شواهد ابن أبي الإصبع في الاستدلال من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2] فلم تتفق شواهد ابن أبي الإصبع مع شواهد كل الذين سبقوه بل الأمر نسبياً، وفي باب التشبيه[3]، أيضاً استدل ابن أبي الإصبع بشواهد قرآنية وفيرة إنما شاهد قرآني منها كان موجوداً ضمن شواهد التشبيه عند عبد القاهر الجرجاني في فصله الخاص بالتشبيه[4]، وما يتعلق به والشاهد هو الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[5].عندما كان هذا الشاهد مُستَدَلاً به عند الجرجاني وهو الأسبق لابن أبي الإصبع فتكرر الشاهد نفسه مع وجود غيره من الشواهد غير المكررة دلَّ هذا على سبق الجرجاني إليه ، ثم عند أبي هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" باب التشبيه[6] في شاهد قرآني مشترك الاستدلال فيه بين أبي هلال العسكري وابن أبي الإصبع في كتابه[7] شاهد قرآني من الآية في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾[8] فهذه الآية مُستدَلٌ بها كشاهد في هذا الموضع، وعند ابن الأثير في فصل التشبيه[9] شاهد مُشتَرك الاستدلال بينه وبين ابن أبي الإصبع[10] في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا

(1) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص334.
(2) سورة الأنعام، الآية 122.
(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التشبيه، ص58.
(4) ينظر أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، ص85.
(5) سورة الجمعة، الآية 5.
(6) ينظر كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، ص262.
(7) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشبيه ص61 .
(8) سورة الأعراف، الآية 176.
(9) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، 380/1.
(10) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ، باب التشبيه ص60 .

مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٖۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ﴾[1] شاهد آخر مُشتَرَك بين ابن الأثير في كتابه[2]، وبين ابن أبي الإصبع في كتابه[3] الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾[4] ففي الآيتين تشبيه شديد الوضوح لهذا كان الاستدلال بهما محققاً، ويجسد الموضوع تجسيداً بلاغياً.

والأمثلة للأبواب التي جرى فيها هذا النوع من النقل أو التقليد والاشتراك إن صح التعبير، فالأمثلة كثيرة جداً، وقد اكتفيتُ بهذا القدر من التوضيح والإشارة إلى مسألة تقليد الشواهد وتوظيف المؤلف لها بالشكل المناسب ، يبقى الأمر موضوعاً بين التقليد والاتفاق في البحث والاستدلال ، الذي قد يكون بغير قصدٍ أو عمد –والله أعلم– فالمهم أن هذا التقليد بما سُمي قد وقع فعلاً وأدلته في الكتب البلاغية التي تطرقتُ إليها.

(1) سورة النور، الآية 35.

(2) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، 380/1.

(3) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التشبيه ص58 .

(4) سورة النور، الآية 39.

المطلب الثاني

شواهده من حيث التجديد والتكرار .

أولاً – شواهده من حيث التجديد :

رغم أن كثيراً من شواهد ابن أبي الإصبع كانت من غيره إلا أنه لا يخلو الأمر من وجود بعض الجديد في الشواهد في مباحث علم البديع في كتابه "بديع القرآن"، ومن هذا الجديد في شواهده هو الشاهد القرآني الذي استدل به ابن أبي الإصبع هو الآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾[1]. كما في باب المدح بما يشبه الذم[2] في كتابه "بديع القرآن" الذي لم يستدل فيه من القرآن الكريم إلا بشاهدٍ واحدٍ ومن الشعر لم يستدل بشيءٍ منه، وقد عبر عن هذا الباب ابن أبي الإصبع ضمن كلامه عنه قائلاً: "ولهذا لم أجد منه إلا آيةً واحدة"[3] يعني في القرآن الكريم، وفي الحقيقة عند النظر إلى بعض المراجع البلاغية اتضح أنه لم يُسبَق إلى الاستدلال بهذا الشاهد القرآني مِمَّنْ سبقه، فابن المعتز مثلاً تطرق في كتابه "البديع" إلى هذا الباب[4] وذكر شواهداً ولكنها ليست قرآنيةً بل من الأبيات الشعرية في المقابل ابن أبي الإصبع شاهده الذي استدل به هو شاهد قرآني واحد ولم يذكر في هذا الباب شاهداً شعرياً واحداً، ولهذا لم يشتركا في شاهد هذا الباب.

وأبو هلال العسكري لم يذكر في كتابه هذا الباب أساساً، أما ابن رشيق القيرواني ذكر المديح[5] بهذه الصفة فقط، ومع ذلك كانت شواهده كلها شعرية ولم يكن بينها شواهد من القرآن الكريم ، ومن جهة أخرى فإن الذي استدل بنفس الشاهد الذي

---

(1) سورة المائدة، الآية 59 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب المدح بما يشبه الذم، ص49.

(3) المصدر نفسه ، والصفحة ذاتها .

(4) ينظر كتاب البديع، لابن المعتز، ص62.

(5) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، 110/2.

استدل به ابن أبي الإصبع من القرآن الكريم هو الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح باب المدح بما يشبه الذم[1]. والقزويني جاء بعد ابن أبي الإصبع فلا يمكن أن يكون ابن أبي الإصبع قد قلد القزويني أو حتى سار على خطاه في هذا الشاهد أو في غيره من الشواهد الأخرى بل على العكس فمن المحتمل أن يكون القزويني هو المُقلِّد بحكم فارق الزمن لكلٍّ منهما وعدم معاصرته له.

أما باب حسن التضمين[2] عند ابن أبي الإصبع لم تكن شواهده كثيرة أساساً بل قليلة جداً وهي شواهد قرآنية ولم يذكر الشعر أبداً في بابه هذا، ومن شواهده القرآنية التي استدل بها من القرآن الكريم الآية في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾[3] فالذين سبقوا ابن أبي الإصبع من علماء البلاغة لم يذكروا هذا الشاهد في كتبهم كلها بل بعض الذين ذكروه لم يستدلوا في شواهدهم بالآيات القرآنية فيه بل كانت شواهدهم كلها أبياتاً شعرية، ومن هؤلاء ابن المعتز في بديعه باب حسن التضمين[4] استدلاله كان بالشعر وهذا الشعر لم يذكره ابن أبي الإصبع في هذا الباب، وابن المعتز لم يستدل بالآيات القرآنية في بابه هذا على عكس ابن أبي الإصبع الذي كان شاهده في بابه هذا من القرآن الكريم، أيضاً ابن منقذ في بديعه باب التضمين[5]، لم يكن يذكر شاهداً قرآنياً واحداً في هذا الباب ولكنه أكثر من الشواهد الشعرية على خلاف ابن أبي الإصبع، ثم ابن الأثير في باب التضمين[6] ذكر بعض الشواهد القرآنية في هذا الباب فمن جهة نوع الشاهد فهو متفق مع ابن أبي الإصبع ولكنه يخالفه في الاستدلال بذكر الشاهد نفسه الذي استدل به ابن أبي الإصبع وبهذا يخالفه من جهة أخرى أو المطابقة في الشاهد ذاته فاستدلال ابن أبي الإصبع لهذا الشاهد

---

(1) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، باب المدح بما يشبه الذم، ص367.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب حسن التضمين، ص52.

(3) سورة المائدة، الآية 45.

(4) ينظر كتاب البديع، لابن المعتز، ص64.

(5) ينظر البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، باب التضمين، ص249.

(6) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، باب التضمين، ج323/2.

استدلال منفرد بين هؤلاء فابن الأثير كان مكثراً من الشواهد الشعرية فحسب، وفي باب التوشيح[1] من كتاب ابن أبي الإصبع الذي كان له فيه جديد من الشواهد فقد كانت شواهده فيه قليلة لم تتعد آيتين ولم يكن هناك شواهد شعرية عنده، فمما استدل به من القرآن الكريم في كتابه هو الآية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2].

فمن الذين ذكروا الشواهد القرآنية والشعرية في هذا الباب أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين باب التوشيح[3] وعلى الرغم من إكثار أبي هلال العسكري لتلك الشواهد إلا أنه لم يذكر تحديداً الشاهد القرآني الذي استدل به ابن أبي الإصبع في مثل هذا الباب، وأسامة بن منقذ في بديعه باب التوشيح[4] لم يكن ضمن شواهده المستدل بها شاهد واحد من القرآن الكريم، ولهذا لا يكون ابن أبي الإصبع متفقاً في نقل الشاهد مع ابن منقذ بل كانت شواهده كلها شعرية في هذا الباب فلهذا لا يمكن تقليده لعدم الاشتراك في الشاهد أما صاحب المثل السائر فشواهده لنفس الباب[5] كانت قليلة جداً وهي متمثلة في بعض الأبيات الشعرية فقط، ولم يكن في شواهده آيات قرآنية فلهذا هو الآخر لا يكون متفقاً مع ابن أبي الإصبع في نقل الشواهد لأنه ارتكز في نقله للشواهد على الشعر فقط، وابن أبي الإصبع ارتكز في نقله للشواهد في هذا الباب على الآيات القرآنية فقط وبهذا لا يكون قد قلده بل استدل بما لم يستدل به الطرف الآخر كما سبق.

أيضاً في باب المذهب الكلامي[6] كمثال آخر لجديد الشواهد عند ابن أبي الإصبع في هذا الباب، فمن حيث وجوده كنوع هو عند بعض علماء البلاغة موجود ضمن أبواب البديع عندهم، ولكن من حيث نقل الشواهد فيه فإن ابن أبي الإصبع نقل في

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التوشيح، ص90.

(2) سورة آل عمران، الآية 33.

(3) ينظر كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، باب التوشيح، ص425.

(4) ينظر البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، باب التوشيح، ص89.

(5) ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، باب التوشيح، ج340/2.

(6) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب المذهب الكلامي، ص37.

كتابه "بديع القرآن" شواهد قرآنية كثيرة، وعقب مخالفاً لقول ابن المعتز في كتابه عنه: "وهذا باب ما أعلم أني وجدتُّ في القرآن منه شيئاً"[1]. فرد عليه ابن أبي الإصبع قائلاً: "وزعم أنه لا يوجد منه شيء في القرآن، والكتاب الكريم مشحون به"[2]، ولهذا فقد استدل ابن أبي الإصبع في هذا الباب الكثير من الشواهد القرآنية دون الشعر، ومن هذه الآيات المستدل بها آيةٌ في قول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [3]، وآية أخرى في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[4]، فابن المعتز هو من الذين تكلموا عن هذا الباب في كتابه "البديع" باب المذهب الكلامي[5] ولكنه لم يكن في كلامه عنه أي شاهد قرآني فهو لم يوافق بذلك ما استدل به ابن أبي الإصبع، بل كانت شواهده من الشعر. كذلك صاحب الصناعتين تكلم عن المذهب الكلامي[6] وهو الآخر لم يكن موافقاً في شواهده لشواهد ابن أبي الإصبع لأنه لم يستدل بالشواهد القرآنية كما فعل ابن أبي الإصبع، وأنه كان مستدلاً بالشعر، وابن أبي الإصبع لم يكن كذلك ولهذا كان ابن أبي الإصبع منفرداً في شواهده لهذا الباب. في المقابل جاء من بعد ابن أبي الإصبع وهو الخطيب القزويني الذي تكلم عنه في هذا الباب عن هذا المذهب الكلامي[7] فكانت شواهده قرآنية وشعرية والذي استدل بشواهد قرآنية منها شاهد نقله ابن أبي الإصبع وهو الآية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[8]. فيكون القزويني بهذا قد نقل من شواهد ابن أبي الإصبع في كتابه .

---

(1) كتاب البديع، لابن المعتز، ص53.

(2) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص37.

(3) سورة الأنعام، الآية 83.

(4) سورة الروم، الآية 27.

(5) ينظر كتاب البديع، لابن المعتز، ص53.

(6) ينظر كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، ص461.

(7) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، باب المذهب الكلامي، ص360.

(8) سورة الروم، الآية 27.

إذاً هذا الاستشهاد بهذه الآية القرآنية هو شاهد قرآني كان ابن أبي الإصبع مستدلاً به وهو الأسبق زمناً من القزويني، وهذا لا يدل على صفة التقليد لابن أبي الإصبع بل على العكس فهو يثبتُ له السبق في هذا الاستدلال لا للقزويني لأن القزويني جاء بعد ابن أبي الإصبع .

فمما سبق يتضح لي أن ابن أبي الإصبع كان في إيراده لشواهده البلاغية يتخذ الشكل أو الأسلوب البلاغي الصرف متعدد التناول، وأن له نقلاً للشواهد في مباحث علم البديع من كتابه "بديع القرآن"، التي هي نفسها منقولة عن بعض علماء البلاغة السابقين له، وهذا قد يعد تقليداً منه لهم أو توافقاً لهم في النقل فقط، ومن النادر أن أجد في كتابه ما يدل على أنه نقل ممن سبقه إلا ما بينتُ آنفاً – والله أعلم– ولكن مع هذا التوافق كثيراً ما أراه يزيد على سابقيه في الاستدلال بالشواهد لاسيما القرآنية منها، ومن جهة أخرى فإن لهذا المؤلف جديداً في نقل الشواهد والاستدلال بها ففي مواضع كثيرة والتي اكتفيتُ ببعضٍ منها كأمثلة تدل على أنه اجتهد في النقل للشواهد القرآنية لاسيما التي انفرد بنقله لها من الكتاب العزيز ولم ينقلها غيره من السابقين له ولم يسبقوه إليها فحُسبتْ له من جديد النقل على الأرجح.

إذاً ابن أبي الإصبع كان له تقليد أو بالأحرى اشتراك في نقل الشواهد من جهة، ومن جهة أخرى له جديد في النقل للشواهد، وعلى كلٍّ فالوجهان يُعدّان اجتهاداً علمياً.

ثانياً _ مسألة التكرار في الشواهد عند ابن أبي الإصبع :

1– مسألة التكرار في الشواهد عند ابن أبي الإصبع ليس بأمرٍ فاقم في كتابه ، إنما التكرار في مواضع قليلة من مباحثه ، فقد بلغ عدد الشواهد القرآنية المكررة عشرين شاهداً قرآنياً في كتابه على وجه الخصوص ، وكان ذلك واضحاً في مباحث عدة من كتابه، وأسوق أمثلةً لذلك توضيحاً لا حصراً، فقد استدل المؤلف بآيةٍ قرآنيةٍ في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾[1] في شواهد

(1) سورة البقرة، الآية 16 .

باب الاستعارة[1] وضمن الشرح والاستدلال كرر ابن أبي الإصبع هذا الشاهد ضمن شواهد باب الطباق[2] فاستخدام الشاهد في الموضوع الأول كان في موضوع الاستعارة والثاني كان في الطباق، أي أن الاستخدام كان لشاهد واحد في موضوعين مختلفين، تكرار ثانٍ في الشواهد كما في باب التجنيس[3] استدل المؤلف بشاهد قرآني وهو الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾[4] أيضاً تكرر هذا الشاهد القرآني في باب آخر من أبواب مباحث علم البديع وهو باب المساواة[5] كذلك هذا التكرار للشاهد في نوعين مختلفين من أنواع البديع، حيث إن الأول وهو التجنيس فيه تشابه الألفاظ والحروف وأحياناً المعنى معاً، وفي الثاني وهو المساواة المتضمن في تساوي اللفظ مع المعنى في الآية ، مثال آخر لتكرار الشواهد وذلك في باب المذهب الكلامي[6] فشاهده المُستخدَم في هذا الباب كان آيةً قرآنية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ﴾[7] فعمد المؤلف إلى استخدام هذا الشاهد ثانيةً أثناء شرحه وتوضيحه في باب بديعي آخر وهو باب الالتفات[8] وفي كل باب يخوض المؤلف في شرح يختلف عن سابقه بما يناسبه من الغرض البلاغي، أيضاً وجه آخر من التكرار الذي وقع فيه المؤلف في شواهده مع الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[9]، ذلك في باب المساواة[10] فتكرر هذا

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب الاستعارة ص19.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الطباق ص22.

(3) ينظر بديع القرآن ، ربن أبي الإصبع المصري ، باب التجنيس ص28.

(4) سورة الشورى، الآية 40.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب المساواة ص81.

(6) ينظر المصدر نفسه ، باب المذهب الكلامي ص40.

(7) سورة الكوثر، الآيتان 1، 2.

(8) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الالتفات ص44.

(9) سورة هود، الآية 44.

(10) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب المساواة ص80.

الشاهد بالتحديد في باب الإبداع[1] ، مثال أخير لمسألة التكرار في الشواهد عنده مع باب المساواة[2]، وفي هذا الموضوع كان التكرار في شاهدين من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾[3] والشاهد الثاني في الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[4] والتكرار هنا كان في باب الإبداع[5]، وفي هذا الباب أيضاً كان التكرار في الشاهدين معاً، بل إنه كررهما أكثر من ذلك في هذين الموضوعين المختلفين، فهذا النوع من التكرار للشواهد في كتاب "بديع القرآن" الذي فرضه المؤلف على نفسه ويبدو أن الضرورة العلمية تطلبت ذلك .

2 – بالنسبة لشواهد الأحاديث النبوية ، فإنه لا يوجد فيها أيُّ تكرار يُذكَرُ فيما بحثّتُ في مباحث كتابه .

3 – أما عن التكرار في الشواهد الشعرية في المباحث البديعية عنده ، فهو لم يكن سوى بيتين فقط في كتابه ، فالأول منهما كان بيت شعر للشاعرة الخنساء (الكامل) :

أوْلَى فأوْلَى أنْ يساويَه ** لَوْلا جلالُ السِّنِّ والكِبَرِ [6]

وذلك في باب جمع المختلفة والمؤتلفة[7] فتكرر فيه هذا الشاهد في كتابه، أما الثاني فكان تكراراً في الشاهد الشعري في باب النوادر[8]،وهو بيت شعر لأبي تمام(الطويل):

فو الله ما أدري أأحلامُ نائمٍ ** أَلَمت بنا أَم كان في الركب يُوشَعُ[9]

---

(1) ينظر المصدر نفسه ، باب الإبداع ص340.

(2) ينظر المصدر نفسه ، باب المساواة، ص80.

(3) سورة هود، الآية 38.

(4) سورة هود، الآية 37.

(5) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص341.

(6) ديوان الخنساء ، تحقيق عبد السلام الحوفي ، ص56 .

(7) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب جمع المختلفة والمؤتلفة ص129 .

(8) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب النوادر ص233 .

(9) شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية، ص178.

فذلكما ما كان من تكرار في الشواهد الشعرية في مباحث كتابه ، وهذا العدد من الأبيات الشعرية المكررة يُعدُّ قليلاً بالنظر إلى الشواهد القرآنية المكررة ، ومع ذلك فإن أمر التكرار في الشواهد لم يشكل العيب الواضح والمُخِل في مضمون مباحث بديعه بقدر ما أضفى صفة الإكثار من الشواهد، وما قد يُثارُ من تساؤلٍ عن ذلك التكرار في الشواهد .

والجدير بالاهتمام أن المؤلف فتح المجال للنقد بأن يتغلغل عندما اختار عنوان كتابه "بديع القرآن" الذي يبعث في النفس الإمعان في النظر وعقد الروابط بين العنوان والمضمون بأنه لا يخرج في دراسته عن حدود ألفاظ القرآن الكريم وعلومه، لاسيما البديع في القرآن الكريم، وقد كانت أغلب مباحث كتابه تحوي استدلالات من الآيات القرآنية، ولكنني وجدتُ في كتابه مباحث عدة لم يستدل فيها المؤلف بأَيَّةِ آيَةٍ من آيات الذكر الحكيم – وقد بينتُ ذلك سابقاً– وفي المقابل كان يستدل فيها بكثير من الشعر، وهذا قد يخالف المبدأ الذي جعله يسمي كتابه بهذا الاسم، ولو أنه ركز في كل مبحث على الاستدلال بالشواهد القرآنية، وأعارها الاهتمام الأكبر قدر المستطاع؛ لكانت قيمة المبحث البلاغية أكبر وأكثر إقناعاً، ثم استعان بالقدر اليسير بالشعر إن لزم الأمر لتنويع الأسلوب في الشرح، ولإحداث التأثير والتشويق، أمَّا وأن يكون العنوان كذلك ويكون الاستدلال بالشواهد في بعض مباحث كتابه من الشعر فقط، فهذا يخالف هدف الدراسة ويفتح باباً للنقد، وخروجاً من هذا على وجه التقريب أن يلجأ إلى استخدام بعض الشعر مع كثرة الشواهد القرآنية التي ينبغي أن تكون، لأنها المقصود بالدراسة وعليها قامت.

فمُجْمَلُ القول عن شواهد ابن أبي الإصبع في كتابه أنها كانت متنوعة، وشاملة لأغلب الأنواع البديعية فيه إلا جزءاً منها لم يكن كذلك ، كما أنها حَوَتْ على صفة التقليد والتجديد والتكرار، ولكن التجديد فيها الغالب الذي لم يُسبَق إليه من قبل، مع كثرتها التي غطت مباحث كتابه مُستوفِيةً إياها بالتوضيح، وإزالة الغامض في بعض المسائل منها، حتى ظهرت على الصورة التي في كتابه .

المبحـــث الرابـــع

الأثر الفني للشواهد في إيصال الفكرة .

الأثر الفني للشواهد في إيصال الفكرة :

بشيءٍ من الإيجاز يمكنني هنا أن أبين هذا التصوير الفني لبعض مباحث علم البديع في كتاب "بديع القرآن" بعرض بعض الأمثلة للأنواع البديعية في تلك المباحث كما يلي:

من الشواهد البلاغية المُستدَل بها التي قدم لها ابن أبي الإصبع شرحاً وتفسيراً في بعض الأحيان على ما يبدو واجتهاداً منه ، وفي بعض الأحيان الأخرى ينقل من بعض التفاسير المعروفة، كما يلي توضيحه ، وكان لها تأثير في النفوس والمشاعر ما يثير الفضول والتأمل، ودهشة العقول ما كان في باب التمام[1]، على سبيل المثال ما أتى به المؤلف ابن أبي الإصبع من تفسير من عنده ولم ينسبه لأحد غيره، واستدل به في كتابه عند الاستشهاد بآيَةٍ من آيات الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾[2] فذكر ابن أبي الإصبع في شرح معنى التمام في الآية الكريمة هو أن في الآية تتميم أول وتتميم ثانٍ مثلاً: في الآية الكريمة من قوله: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تتميم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ تتميم ثانٍ، وبهذين التتميمين تم معنى الكلام[3]. بناءً على شرح ابن أبي الإصبع فإن هذا الكلام كما في الآية الكريمة السابقة متمم لبعضه البعض وهذه بلاغة تؤدي بمعانيها إلى إحداث التأثير في النفس والعاطفة مما يثير الانتباه إلى التأمل والتفكير، فقد ظهر تصوير الذي يعمل صالحاً سواءً أكان ذكراً أم أنثى فإن الله سبحانه وتعالى قد أعد له حياةً طيبةً وذلك من الآية في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ﴾[4] وهذا تصوير فني في تركيبه ، وله تأثير في مغزاه .

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب التمام ص46.

(2) سورة النحل، الآية 97.

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص46.

(4) سورة النحل، الآية 97.

وفي باب آخر تكلم ابن أبي الإصبع فيه مستشهداً بآية قرآنية تحمل الكثير من المعاني والعبر والتذكير وتدعو إلى التدبُّر في خلق الله تعالى، وهذه الآية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[1] وذلك في باب التخيير[2] فقد أتى المؤلف بتفسير من عنده لهذه الآية عندما أشار إلى الجزء الأول من الآية بأنه خطاب للمؤمنين دون غيرهم، لأن الله سبحانه ذكر العالم بأجمعه في قوله: "السماوات والأرض" فذكر المؤلف مسألة ما في العالم من أسرار، ومن الآيات الدالة على قدرة الله على كل شيء، وعلى أمر تقديم التصديق بذلك، ثم أشار إلى الجزء الثاني من الآية وهو" لقوم يوقنون " فوضح فهم الإنسان وتدبره في الخلق مما يزيده يقيناً بقدرة الله على كل شيء، وكذلك معرفة اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها وتصريف الرياح، وانبات النبات وعيش الحيوان، وكل ذلك يقتضي رجاحة العقل فأشار ابن أبي الإصبع إلى الجزء الثالث من الآية وهو " آيات لقوم يعقلون " فكان شرحه مُفصَّلاً في الآية كلها[3]. ولذلك أراد المؤلف إثارة انتباه المتلقي والدعوة إلى التفكر في مَلَكُوت السماوات والأرض والإيمان بقدرة الله سبحانه على الخلق، وكان استشهاده بهذه الآية فيه حرص واهتمام بموضوعها العميق، وأن أثرها في نفس الإنسان قوي، لأنها خاطبت النفس والعقل والمشاعر لذات الشخص المؤمن المتدبّر، وهذا الاستشهاد والشرح المطول من المؤلف فيه فنية عالية، ورقيٌّ في الأسلوب لإيصال الفكرة، وقد استطاع الوصول إلى ما هو ناتج عن الموضوع والأسلوب وهو التأثير الفعّال في المشاعر الإنسانية. وفي باب القسم[4] الذي قدم فيه ابن أبي الإصبع بشواهد من القرآن

(1) سورة الجاثية ، الآيات من2_ 5.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب التخيير ص234.

(3) ينظر المصدر نفسه ، باب التخيير ص234 ، 235 .

(4) ينظر المصدر نفسه ، باب القسم ص112.

الكريم، فاستدل فيه بكثير من تلك الشواهد، منها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾[1] ولم يأتِ بتفسير من غيره من المفسرين في هذا المقام ، ولا حتى تفسير منه لهذه الآيات القرآنية إلا بالشيء اليسير كالإشارة إلى ما كان من زَلِيخا مع يوسف عليه السلام ، أو إلى كيفية استحكام شغفها به[2]، مع أن ابن كثير أتى في تفسيره بمعنى موجز ومختصر في معنى هذه الآية فقال: "أي فاحشة"[3]. والآية في قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[4] كذلك في معنى هذه الآية لم يقدم ابن أبي الإصبع تفسيراً مفصلاً إلا بعضَ الإشارات ، ولكن ما نقله ابن كثير عن بعض العلماء في قولهم في معنى هذه الآية ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ هو: "**تقول الآن تبين الحق وظهر وبرز**"[5]، والآية في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾[6] في معنى هذه الآية –والله أعلم– عند ابن كثير هو: "تقول إنما اعترفتُ بهذا على نفسي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع فلهذا اعترفت ليعلم أني بريئة"[7]. فهذا التفسير الموضح لمعنى الآيات السابقة لم يقدمه ابن أبي الإصبع عند استدلاله فهو يتيح للقارئ والسامع فرصة التأمل والتدبر، أيضاً اختيار المؤلف لهذا النوع البديعي في مقامه وتدعيمه بالاستدلال بهذه الشواهد القرآنية يدعو إلى الموقف بالتحليل البلاغي بأن يجسد ذلك بلاغياً ومحاولة تقريب تلك المعاني المخفية مع ظاهر الكلام لإحداث التأثير في النفس وبالفعل فإن النفس الحاملة

---

(1) سورة يوسف، الآية 25.

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري ، باب القسم ص112.

(3) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 569/2.

(4) سورة يوسف، الآية 51.

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 576/2.

(6) سورة يوسف، الآية 52.

(7) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 576/2.

للمشاعر الإنسانية من شأنها أن تهتز وتتأثر بما يدور حولها من كلام وأمثال لاسيما وإن كان الأمر يتعلق بتأثيرات كلام الله عز وجل.

فالمعاني السابقة المتوصل إليها من الآيات الكريمة إذا ما كان النظر واقع صلبها فإن الملاحظ من الموضوع أنه يشد بقوة ذلك راجع إلى الخطاب الموجه والحديث المثار إزاء كيفية التعامل مع المشكلات والبحث عن المخارج والحلول لها لاسيما وأنه ذلك كان ما بين جنسي ذرية آدم (عليه السلام)، " الذكر والأنثى " وما يصحب العمل من عقاب أو ثواب من الله سبحانه وتعالى وذلك متعلق بالشخصية والأدب والأخلاق والخوف من العقاب، فمضمون هذا الموضوع حقيقةً يدعو إلى الانتباه والاهتمام وعدم الإهمال من خلال التدقيق بالنظر في بعض كلمات الآيات مثال ذلك: كلمة جزاء، وسوء، والحق، وراودته عن نفسه، وأني لم أخنه بالغيب، فكل هذه الكلمات لها قيم فنية مجتمعة مع بعضها مصورة في ذلك حجم الموضوع ونوعه وهذا طبعاً يقود إلى إحداث التأثير في النفس ويثير الدهشة والتأمل وإثارة العواطف الإنسانية سلباً وإيجاباً وبذلك يتم ظهور الصور البلاغية المختلفة لها.

أيضاً في باب الرمز والإيماء[1] أحاول أن أبين الجانب الفني لهذا النوع البديعي من جهة الشعر وتأثيره في النفوس وغرضه التصويري البلاغي الذي كان في الرمز، فقد استدل المؤلف هذه المرة بشعر الشاعر النابغة الذبياني[2] فقال في الرمز (البسيط):

فَاحْكُم كحُكْمِ فَتاةِ الحَيّ إذ نَظَرَتْ ** إلى حَمامٍ سِراعٍ وارِدِي الثَّمَدِ[3]

يَحُفُّه جانِباً نِيقٍ ويَتْبَعُهُ ** مِثْل الزُّجاجةِ لم تُكْحَل من الرَّمَدِ

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب الرمز والإيماء ص321.

(2) هو: زياد بن معاوية بن ضبابي الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة : شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، عاش طويلاً، توفي سنة 18 ق.هـ، ترجمته في الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ج157/1، وجمهرة أنساب العرب ، لابن أحمد الأندلسي، ص253، والأعلام، للزركلي، 54/3 ، وجواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، لأحمد الهاشمي، 350/1 .

(3) ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه حمدوطمَّاس ، دار المعرفة، بيروت،ط1 ، 1424هـ، 2003م، ص36.

قالــتْ: ألا ليتَمــا هــذا الحَمــامُ لنــا ** إلـــى حمامَتِنـــا ونصـــفَه فَقَـــدِ

فكمَّلـــتْ مائـــةً فيهـــا حَمَامتُنـــا ** وأســرعتْ حِسْــبةً فــي ذلــك العَــدَدِ

والمعنى الذي قصده الشاعر هو أن فتاة الحي هي زرقاء اليمامة والثمد هو الماء القليل شتاءً ويجف في الصيف والنيق الجبل، ومثل الزجاجة: أي عيناه صافية، والفقد: أي فقد حسب[1]. وهذه مجموعة إيماءات جاء بها الشاعر مُستخدِماً ألفاظاً في غير معانيها الأصلية ، جسّدها في صور بلاغية مُرمَّزة ورائعة ، وذلك لإيصال فكرته الموصوفة للمُتلقّي. مُعبّراً عنها بأبيات شعرية جميلة .

فأسلوب الشاعر النابغة كان مُحمَّلاً بترميز عدة الحمام التي كانت قد رأتها الزرقاءُ وتلك العدة كما يقول ابن أبي الإصبع: هي ستٌ وستون حمامة، وبإيمائه الشاعري ورموزه الكتابية أخفى تلك العدة للحمام ، ولم يشر إليها بصريح الدلالة ، بل فضَّلَ بأسلوبه الخاص أن يرمّزَ دلالتها بالرمز لعدتها المقصودة تلك[2]. أتى المؤلف بهذا الشاهد الشعري فشرحه وبسّطه خلال كلامه بتفسير بسيط من عنده ، فمثل هذه الإيماءات والإشارات في الكلام تعكس للناظر والمتلقي المفهومَ الغامضَ الذي يدفع إلى الفضول للباحثِ عن المجهول لِيَعْلَمَه، وهذا بدوره يضفي على صورة النص البلاغية سِمةَ التأثير في النفس ، ويشبع القلوب اللاهفة للميول، بل يجعل ذلك لافتاً للنظر، وأستشفُّ من هذه الأبيات الشعرية المُرمَّزة والمُشار إليها إظهار الصور البلاغية المختلفة ومن الشاعر كالتشبيه في كلمة "كحكم فتاة الحي" وكلمة "مثل الزجاجة"، وكذلك الكناية المصورة في النص وهي كناية عن قوة النظر والبصيرة وحضور البديهة من خلال "إذ نظرت إلى حمام" إلى آخر الكلام في "نصفه فقد" و "وأسرعتْ حِسْبةً"، كما أنه لم يُعْلَم فحوى ألفاظ هذه الأبيات التي على شكل ألغاز مبهمة إلا بعد تعليل وتحليل ابن أبي الإصبع والشاعر لها، وإلّا فلَمْ تُعْلَم معاني وإشارات ألفاظها، وهذا يدل على أهمية الإلغاز في معاني الكلم، والترميز في ألفاظه ،

(1) ينظر ديوان النابغة الذبياني ، ص36 .

(2) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص322.

والإشارة في تركيب الكلام لإضفاء رونق التعبير فيه ، وبصمة الاهتمام في زيادة الانتباه والتأمل في النصوص.

وأوجّه النظرَ قليلاً إلى باب المناقضة[1] لزيادة فهم الصورة الفنية بما يفيد التناقض في الكلام كاستدلال ابن أبي الإصبع بشعر النابغة الذبياني في ذلك التناقض فقال (الوافر):

فإنك سوف تحلُمُ أو تناهي ** إذا ما شبْتَ أو شابَ الغُرابُ[2]

فقد جاء به المؤلف كشاهد ثم أتى له بشرح من عنده لتفسير غوامضه وخفاياه، ولم ينقل معانيه من شروح غيره .

فتعليق ابن أبي الإصبع على هذا البيت أنه ربط حُلماً بحُلم ، الأول المُخاطَب بالشيب وهذا ممكن الوقوع، والثاني شيب حيوان طائر وهو الغُراب وهذا من باب المُستحيل، وكل ذلك كان مقصوداً بذاك الشيب للغراب عندما عبر الشاعر في بيته بعبارة "إنك سوف تحلم" وبما قال: "إذا ما شبت أو شاب الغراب" بمعنى ، كأنه أراد القول بتعبيره مخاطباً أنك لا تحلم حتى يشيب الغراب، ومن المسلم به في ذلك أن الغراب حيوان طائر بطبيعته أنه لا يشيب ، والنتيجة أن الحلم هنا بالتخاطب أنك لا تحلم أبداً، ثم أتى ابن أبي الإصبع بمقارنة بين بابين " المناقضة "، وباب "نفي الشيء بإيجابه" فكانت النتيجة أن هذا الباب لا يحوي لفظ النفي ولا الإيجاب، وباب نفي الشيء بإيجابه لم يكن فيه شرط ولا معنى شرط [3]. فالمؤلف يبدو وكأنه متأكد من ذلك المعنى، مع أن العرب " يقولون: طار غُرابُ فلانٍ إذا شاب رأسه ، والغراب: قَذالُ الرأس، يقال: شاب غُرابُه أي شعرُ قَذالِه "[4] . فمن أول وهلة يظهر المعنى للبيت كما

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب المناقضة ص323.

(2) ديوان النابغة الذبياني، ص21 ، وفي بديع القرآن بلفظ "وأنك" ص323. فهذا يعدّ اختلافاً في رواية المؤلف عن رواية ديوان صاحب الشعر .

(3) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص323، 324.

(4) لسان العرب المحيط ، لابن منظور ، 969/2 .

قال المؤلف، ولكنني أعتقد أن الشاعر كان مراده لما قاله العرب وذلك لتداول هذا المعنى آنذاك وهذا الأقرب .

إذاً فالصورة الفنية التي تضمنتها كلمات هذا البيت أنها أثارت التخيلات الذهنية الواسعة لما كان من حوار أدبي مُجسَّد بين شيب الرجل وشيب الغراب ، وفي ذلك صورة بلاغية مُجسَّدة في استعارة فنية في الاستخدام الحسن في حقيقة شيب الرجل واستحالة شيب الحيوان، وهذا الاستخدام اللفظي كان في شطرين من البيت وهذا يقود إلى التناقض الذي يثير الشعور بالتأمل والتفكُّر، كما أن الغرض البلاغي من ذلك هو إبراز صورة اللفظ المستعار، وجعلها في صورة جميلة تدعو إلى الاهتمام للحوار المُنعقَد بين الطرفين لإقناع المتلقي.

ولَعَلّي أتطرق قليلاً إلى شعر المؤلف في كتابه "بديع القرآن" باب القسم[1] الذي قال فيه بعض الشعر ويحتمل شيئاً من التأمل والتأثير العاطفي فقال(الطويل):

أجُـــودُ لِعِلْمـــي أنّ جُـــودِي يسُـــرُّها ** لتحمـــدَني وهـــي الحقيقـــةُ بالحمـــدِ[2]

تبيَّنـــتُ منهـــا أنهـــا تعشَـــقُ النَّـــوى ** فأبديتُ من عِشق النّوى فوقَ ما عِنْدِي

فقد أتى المؤلف بهذين البيتين من غير شرح يذكر ، ولا تحليل يفيد القارئ في فهمهما واستيعابهما .

فأعتقدُ أن المؤلفَ اختار لنفسه الموضوع في شعره هذا، موضوعاً عاطفياً لا يخلو بتاتاً من التأثير في النفس ، لاسيما إذا كانت الكلمات جياشة مُخاطِبة العواطف المُصابة بالقَبُول، ولاشك أن هذا التغلغل الوجداني لا يخلو هو الآخر من مُخاطَبة القلوب قبل أيَّةِ مشاعر أخرى، وهذا الميل هو تصرف مؤثر فعلاً من صاحبه ، فتبدو العاطفة في شعره من خلال الكلمات كما في "أجود وهو العطاء" ، "والحقيقة وهي الواقع"، و"وتعشق وهي التَعلُّق ودرجة من درجات الحب" وكلمة "عندي" أي أنه طرف في الموضوع أو الحوار الأدبي المُثار، لاسيما وأن الشاهد في ذلك عند المؤلف عندما

(1) ينظر بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع المصري ، باب القسم ص114.

(2) المصدر نفسه، والصفحة ذاتها.

كانت إشارته بخصوص معاني الآيات القرآنية التي استشهد بها قبل إتيانه بالشعر، التي تَقُصُّ قصةَ يوسف –عليه السلام– مع زَلِيخَا وما دار بينهما (القصة) ثم الحديث انساق مع المؤلف حتى ذكر شعره، وكأنه قصد ذلك الموقف العاطفي في كتابته لغرض إيصال فكرته ، وهذه هي فنية الشواهد البلاغية وتأثيرها على النفوس والعواطف، والغرض البلاغي هنا يظهر من خلال صور الكناية والجناس لإبراز الصور مع حبكة الحوار المُجسَّد لإحداث الإقناع فيكون الشاهد قد أصاب الغرض البلاغي.

أيضاً في بعض شعر الخنساء باب جمع المختلفة والمؤتلفة[1] بعض وجوه التأمل عندما قالت في أخيها (الكامل):

جـــارَى أبَـــاهُ فـــأقْبَلا وهمـــا ** يتَعَـــاوَران مُـــلاءَةَ الفَخـــرِ[2]

وهمـــا وقـــد بَـــرَزا كأنهمـــا ** صَـــقْران قـــد حَطّـــا إلـــى وَكْـــرِ

حتّـــى إذا لَـــزَتْ القلـــوبُ وقـــد ** لَـــزّت هنـــاك العـــذرَ بالعـــذرِ

وعَـــلاَ هُتـــافُ النـــاس أيّهمـــا ** قـــال المجيـــبُ هنـــاك: لا أدرِي

بَرقَـــتْ صـــحيفة وَجـــه والـــدِه ** ومضَـــى علـــى غُلَوَائِـــه يَجْـــرِي

أوْلَـــى فـــأوْلَى أنْ يُســـاويَه ** لَـــوْلا جَـــلالُ السّـــنّ والكِبـــرِ

فالمؤلف لم يأت بشرح مفصَّل لهذه الأبيات ولكنه أتى بقصد الخنساء من هذه الأبيات ، فمن الشرح أن شطر البيت "يتعاوران مُلاءة الفخر" من جهة البلاغة "فهو أبدع استعارة وأبلغ عبارة"[3]. فظهرت القيمة الفنية في استخدام الألفاظ استخداماً حسناً يليق بالموقف المُجسَّد للحوار الذي صوره وتخيله لقصدٍ أراده فحاكاه بالشكل الذي رآه

---

(1) ينظر بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، باب جمع المختلفة والمؤتلفة ص127.

(2) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص55، ويروي لفظ ملاءة الحضر، وملاءة الخضر، والملاءة بالضم الربطة، والجمع مُلاء، المصدر نفسه والصفحة ذاتها. وفي بديع القرآن ، لابن أبي الإصبع ص127 بلفظ " الحُضْر " . وهذا يعد اختلافاً في رواية المؤلف عن رواية ديوان صاحب الشعر .

(3) ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص55 .

فنّياً، فقال ابن أبي الإصبع إن الخنساء قصدت من هذه الأبيات الشعرية "المساواة في الفضل بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الولد"[1].

فالشاعرة استخدمت ألفاظاً لها وقع على قلب السامع ، ذلك لأنها صوّرتْ الحوار بين الابن وأبيه أو بالأحرى مقارنة الأول بالثاني ذلك في مقدار وجوه الخير وصفات الحسن ، فصّورت الاستعارة في "يتعاوران ملاءة الفخر". والتشبيه في " كأنهما صقران"، والكناية في "جارى أباه"، وصوّرت الجناس في " لزت القلوب، وقد لزت هناك"، "العذر بالعذر"، فالوجوه البلاغية في النص عديدة لاسيما وأن الخنساء عُرِفَتْ بشعرها لأخيها باستعراض الصفات له والمواقف، والغرض هو تصوير الحوار تصويراً بلاغياً فنياً يبعث في النفس التأثير والتشويق بأسلوب أدبي.

إذاً مما سبق يتبين لي أن شواهد ابن أبي الإصبع البلاغية في كتابه "بديع القرآن" من حيث واقعها وكيفية إتيانها وعرضها كما تم توضيحه أنفاً أنه حاول تقديم صورة بلاغية مُؤدّاها وصف المواقف والمشاهد الأدبية في صور بلاغية متعددة، والغرض من ذلك إحداث التأثير وكسب تأييد العواطف والأحاسيس ، وذلك من شأنه أن يُظهِر القيم الفنية للنصوص ورفع السِتَار عن الحوار الأدبي ، وبهذا استطاع المؤلف تحقيق الهدف البلاغي بتنويعه لتلك الشواهد وبأساليب مختلفة من خلالها إبراز شخصيته الأدبية والعلمية ، وخياله الواسع ، وطريقة عرضه الجميلة ، ووصفه للمواقف، ونسقه لكل مبحث بأمثلة بقدر مناسبة الحال فيه ، وتطبيقه للصور البلاغية كان تطبيقاً فنياً رائعاً، مُظهِراً قِيَمَها الظاهرة والباطنة ، وتوضيح التأثيرات البلاغية المباشرة وغير المباشرة ، كما سبق إلا في بعض المباحث البديعية له لم تكن مُستوفَيةَ التقديم والتأثير كبقية المباحث ، ومع ذلك استوفى القدرَ الكبير منها تحليلاً وتعليلاً، وذلك لتقديم الأمثلة لعمله في كتابه دراسة تحليلية على تلك المباحث، وبدوري قدمتُ بعض الأمثلة لبعض المباحث البديعية في كتابه كنماذج للدراسة لا الحصر، وذلك بغية التوضيح وتحاشي الإطالة والتطويل.

. ومن خلال استعراض الشواهد وأحوالها ومنهجه فيها تبين لي ما يلي :

---

(1) بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، ص127.

1 – بلغ عدد شواهد ابن أبي الإصبع في كتابه أكثر من خمسين وثمانمائة شاهدٍ في مباحث كتابه بين شواهد قرآنية، وشواهد الأحاديث النبوية، وشواهد شعرية .

2 – بيان عدة مسائل في البحث منها تنوع شواهده بين استقائها من علماء قبله ، وبين تجديده بإتيان شواهد جديدة من عنده وتكرار بعضها في دراسة بعض أبواب البديع ، وتحديد نقاط اتفاقه أو اختلافه مع غيره في بعض المواضع ، وقد تم إيضاح ذلك في البحث .

3 – دراسة طريقة إيراده للشواهد في كتابه فهو في مواضع يذكر الشاهد كاملاً، وأحياناً يذكره ناقصاً وأحياناً أخرى يأتي بالشاهد منسوباً وفي نادر الأحيان يذكر شواهده بصفة مجهولة ، كما يميل المؤلف في بعض المواضع إلى شرح شواهده وموضوعاته، وفي بعضها يكون مُوجِزاً، فطريقة إيراده كانت متعددة الأوجه والأساليب .

4 – دراسة شواهده من الناحية الفنية وتأثيرها في النصوص، وذلك من حيث النظر إلى أوجه التوافق من عدمه في مسألة إتيانها وموضوعها من جانب اللياقة الأدبية والتأثير في المشاعر الإنسانية إزاء المُتلقّي، كذلك دراسة مسألة تَنَاسُب الشاهد والموضوع البديعي نفسه لمعرفة مدى درجة توفيق المؤلف في اختياره لهما معاً .

الخاتمـة

رصدتُ فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

أهم النتائج التي خلص إليها البحث

بعد مُعايشةِ مسيرة ابن أبي الإصبع ودراسة كتابه "بديع القرآن" أوصلنا البحث إلى بعض النتائج منها :

1- أثبتَ البحثُ أن شخصية المؤلف قد اتسمت بنزعتها البلاغية، وأنها ذات صفة محررة ومحللة للنصوص بل مخترعة لبعض أنواع البديع، كما أنها خدمت البديع ببعض المؤلفات البلاغية وهي تحرير التحبير وبديع القرآن والخواطر السوانح، ضمن مؤلفات أخرى لم تُعنَى بعلم البديع وأنه انفرد بتأليف كتابه "بديع القرآن" في علم البديع.

2- إن نشأة البديع وتطوره قد مرت بمراحل عدة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، وقد استقل علم البديع عن علوم البلاغة الأخرى في القرن السابع الهجري وتعددت أنواعه المختلفة .

3- اتفاق بعض علماء البلاغة في أعدادٍ محددة من الأنواع البديعية المبتكرة، واختلافهم في كثير منها، فالأمر كان ما بين اتفاق في بعضها عدداً ومسمىً واختلاف في بعضها ويعود ذلك إلى الرأي الخاص لكل منهم.

4- أسهم ابن أبي الإصبع إسهاماً واضحاً في علم البديع، فمن خلال عمله في كتابه "بديع القرآن" أنه حصر الأنواع البديعية في مائة وثمانية أبواب من الأنواع البديعية .

5- أثبت ابن أبي الإصبع أربعة عشر نوعاً من البديع لم يسبق إليها ممن تناولوا البديع بالبحث والاستقصاء .

6- تنوعت شواهد ابن أبي الإصبع فأتى بشواهد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر العربي وتميزت شواهده القرآنية بالوفرة .

7- كانت أغلب شواهده الشعرية منسوبة إلى أصحابها ، والقلة منها جاءت دون عزو.

8- تراوحت شواهده بين التقليد والتجديد حيث استعان بشواهد غيره أحياناً ، وأخرى يأتي بشواهد من عنده .

9- أورد شواهد قرآنية في تناول مسائل البديع من اثنتين وثمانين سورة ، بينما لم يرد بأي شاهد من بقية السور القرآنية الأخرى وهي اثنتان وثلاثون سورة رغم أن هذه السور مليئة بالشواهد القرآنية البلاغية التي تخدم كتابه .

10- من العلماء الذين تأثر بهم ابن أبي الإصبع الزمخشري وقدامة وابن رشيق وأسامة بن منقذ ، ومن أشهر من تأثر بابن أبي الإصبع السيوطي .

11- حاول ابن أبي الإصبع إظهار مواطن الإعجاز البلاغي، وكشف أسرار بلاغية، كما عمل على إظهار جماليات النصوص المختلفة من خلال التركيبات اللفظية وعلاقتها بالمعاني .

ومن هنا أدعو إلى دراسة كتب تراثنا في جميع المجالات عامةً ، وكتب التراث البلاغي بخاصة ، دراسة نقدية تحليلية ، للتعريف بها وبمناهجها واعطائها مكانتها بين التآليف في كل المعارف والعلوم .

ولا أدَّعي أن بحثي هذا حقق درجة الكمال فالكمالُ لله وحده ، ولكنّي أزعمُ أنني حاولتُ أن أنقل شيئاً ، فحمداً لله أن وفقني لإتمام هذا العمل ، فهو المُوفِّقُ والهادي إلى طريق الصواب ، أسأل الله أن يكون في ميزان الحسنات ، إنه سميع مجيب .

وأخيراً أرجو أن أكون قد وُفِّقتُ فيما أصبو إليه فإن كان ذلك فبفضل من الله وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولتُ جهدي ، والحمد لله أولاً وأخيراً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث ...

قائمة المصادر والمراجع

أولاً _ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، وهي الرواية نفسها التي اعتمدها المؤلف في كتابه .

ثانياً _ الكتب :

-	الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1997م.
-	أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1422هـ-2001م.
-	أسرار البلاغة في علم البيان، للإمام عبد القاهر الجرجاني، صححه وعلق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، مصر.
-	الأسلوب دراسة نقدية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، أحمد الشايب، المطبعة الفاروقية، الإسكندرية، مصر ، 1358هـ- 1939م.
-	إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1963م .
-	إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، القاهرة، مصر ، 1346هـ.
-	إعجاز القرآن ومنهج البحث عن التميز، محمد إبراهيم شادي، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة، مصر، 1426هـ-2005م.
-	الإعجاز والإيجا، لأبي منصور الثعالبي النيسابوري، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق، سوريا،ط1، 1422هـ-2001م.
-	الأعلام، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، ط15، 2002م.
-	الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبعة والنشر، القاهرة ، مصر.

-	الإيضاح في علوم البلاغة، للإمام الخطيب القزويني، اعتنى به وراجعه محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1424هـ-2004م.
-	إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت،1413هـ، 1992م.
-	البحر المحيط في التفسير، لمحمد أبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، للشيخ زهير جعيدة ، طبعة جديدة، 1412هـ-1992م.
-	البداية والنهاية ، لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان، ط1، 1966م .
-	البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988م.
-	البديع، لعبد الله بن المعتز، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس، اغناطيوس كرا تشقو فسكي ، دار المسيرة، بيروت، لبنان،ط3، 1402هـ-1982م.
-	البديع ،لأبي العباس عبد الله بن المعتز، تقديم وشرح وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط1 ، 1410هـ ، 1990م .
-	البديع في علم البديع، ليحيى بن معطي، تحقيق ودراسة محمد مصطفى أبو شوارب، راجعه مصطفى الصاوي الجويني، ط1 ، دار الوفاء للطباعة، الإسكندرية، مصر، 2003م.
-	البديع في نقد الشعر، لأسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، ومراجعة إبراهيم مصطفى، الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، 1380هـ-

	1960م.
-	بديع القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة،ط1، 1957م.
-	البديع المصطلح والقيمة، عبد الواحد علاَّم، الناشر مكتبة الشباب، مصر، سنة 1989م.
-	البديع وإعجاز القرآن، محمد أحمد عثمان ، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ، مصر،ط1، 1411هـ-1991م.
-	بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة ، مصر، ط17، 1426هـ-2005م.
-	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، ط2، 1979م.
-	البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ، مصر، ط3، 1965م.
-	البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم البديع، بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط4 ، 1996م.
-	البهاء السُّبكي وآراؤه البلاغية والنقدية، عبد الفتاح لاشين ، دار الطباعة المحمدية، بالأزهر، القاهرة،ط1، 1389هـ-1978م.
-	البيان والتبيين، للجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ، لبنان .
-	تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، السيد يعقوب بكر ، دار المعارف ، القاهرة، مصر،ط2 ، 1977م.
-	التاريخ الأيوبي والمملوكي، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، مصر، 2006م.

-	تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، لأبي حاتم بن حبَّان البُستي، تحقيق بوران الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1408هـ-1988م.
-	تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر، ط1، 1418هـ-1998م.
-	تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار المعروف بتاريخ الجبرتي، للشيخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، ضبط وتصحيح ووضع الحواشي إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1417هـ-1997م.
-	تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1369هـ، 1950م.
-	تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1427هـ-2006م.
-	تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لابن أبي الإصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، مصر.
-	تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، دار الطباعة المحمدية بالأزهر، مصر، ط1،1403هـ-1983م.
-	التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان ، محمد أبو موسى ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ليبيا، ط1، 1398هـ ، 1978م .
-	تفسير الجلالين بهامش المصحف الشريف بالرسم العثماني، لجلال الدين محمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه، بعناية لجنة

	التصحيح بها، مصر 1342هـ.
-	تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق إبراهيم محمد الجمل، دار القلم للتراث، القاهرة، مصر.
-	تفسير القرطبي ، تحقيق محمد الحفناوي ، محمود حامد ، طبعة دار الحديث، القاهرة ، مصر، ط2 ، 1416هـ، 1996م .
-	تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، وبحواشيه أربعة كتب، رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ-2003م.
-	تلخيص المفتاح المعاني والبيان والبديع، للخطيب القزويني جلال الدين، كتب حواشيه وقدم له ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،لبنان،ط1 ، 1423هـ-2002م.
-	توضيح البديع في البلاغة، محمد محمد طه هلالي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر،ط1، 1997م.
-	جمهرة أنساب العرب، لأبي حزم الأندلسي، راجع النسخة وضبطها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1421هـ-2001م.
-	جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد الهاشمي، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط29 ، 1403هـ-1983م.
-	جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1428هـ-2007م.
-	حاشية العالم الشيخ مخلوف المنياوي، على شرح العلامة أحمد الدمنهوري، لمتن الإمام الأخضري المُسمَّى بالجوهر المكنون في

	المعاني والبيان والبديع، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى لصاحبها مصطفى البابي الحلبي وأخويه، مصر، 1315هـ.
-	الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي،ط1، 1365هـ.
-	حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق بدر الدين حاضري، محمد حمامي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سوريا،ط2، 1419هـ-1998م.
-	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصفهاني الشافعي، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، لبنان، 1423هـ-2002م.
-	الحماسة البصرية، لصدر الدين بن الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب،ط3 ، 1403هـ-1983م.
-	خزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر بن حجة الحموي، دراسة وتحقيق كوكب دياب، دار صادر، بيروت، لبنان،ط1 ، 2001م.
-	الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ، لابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة لعبد الحميد علي حسين، مصر، 1960م.
-	دراسات في تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، سحر السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006م.
-	دراسات نقدية في الأدب الحديث والتراث العربي، أنس داود، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا.
-	الدرر الكامنة في أبناء المائة الثامنة، للإمام شهاب الدين بن حجر العسقلاني، تحقيق وتصحيح عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان،ط1 ، 1418هـ ، 1997م .

-	دلائل الإعجاز في علم المعاني، للإمام عبد القاهر الجرجاني، صحح الأصل الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، تصحيح وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .
-	ديوان ابن الرومي، شرح أحمد حسن بسبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط3 ، 1423هـ- 2002م.
-	ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، 1957م.
-	ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري المسمى بالتبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1418هـ-1997م.
-	ديوان الأحوص الأنصاري، جمع وشرح وتحقيق محمد نبيل طريفي، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط1، 1422هـ-2001م.
-	ديوان امرئ القيس، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، 1423هـ-2002م.
-	ديوان البحتري، عني بتحقيقه وشرحه حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، 1963م.
-	ديوان بشار بن برد، تقديم وشرح وتكميل محمد الطاهر بن عاشور، علق عليه محمد رفعت فتح الله، محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1369هـ-1950م.
-	ديوان الحطيئة ، برواية شرح السكيت ، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،ط3 ، 1424هـ ، 2003م .
-	ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت.

–	ديوان زهير بن أبي سلمى، كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
–	ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه صلاح الدين هادي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1388هـ-1968م.
–	ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار القلم ، بيروت، لبنان .
–	ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار القلم ، بيروت لبنان ، بدون سنة طبع .
–	ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه اميل بديع يعقوب، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت،ط2، 1416هـ-1996م.
–	ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1986م.
–	ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه حمد وطمَّاس، دار المعرفة، بيروت،ط1 ، 1424هـ-2003م.
–	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الششيني، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م.
–	سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ-1982م.
–	سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني ، دار المعارف ، الرياض ، السعودية،ط1 ، 1412هـ ، 1992م .
–	سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1411هـ-1991م.

–	سير أعلام النبلاء ، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق محب الدين العمروي، دار القلم، بيروت ، لبنان .
–	شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لشهاب الدين أبي الفرج بن عماد الحنبلي، دراسة وتحقيق عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت ، لبنان .
–	شرح أشعار الهذليين، صنعة أبي سعيد الحسن بن السكري، حققه عبد الستار أحمد فرَّاج، راجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة ، مصر .
–	شرح ديوان أبي تمام، ضبطه وشرحه الأديب شاهين عطية، دار الكتب العلمية،ط3 ، 1424هـ–2003م.
–	شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، شرح الإمام زكرياء يحيى التبريزي الشهير بالخطيب، عالم الكتب، بيروت ، لبنان .
–	شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه وقدم له، علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1993م.
–	شرح ديوان الفرزدق، ضبط وشرح إيليا الحاوي، الشركة العالمية للكتاب،ط2 ، 1995م.
–	شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، لصفي الدين الحلي، تحقيق نسيب نشاوي، دار صادر، بيروت،ط2 ، 1412هـ–1992م.
–	شرح مقامات الحريري، لأبي محمد القاسم الحريري البصري، قدم له وأشرف على تصحيحه، صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1414هـ–1994م.
–	الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة ، مصر، ط2، 1421هـ ، 2001م.
–	الصبغ البديعي في اللغة العربية، أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، 1388هـ–1969م.

-	الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3 ، 1404هـ، 1984م.
-	صحيح البخاري ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبطه وشرح ألفاظه ورقمه وخرج أحاديثه ووضع فهارسه، مصطفى ديب البغا، مؤسسة الخدمات الطباعية، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م.
-	صحيح بن حبان، لمحمد بن حبان التميمي البستي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2 ، 1414هـ-1993م.
-	صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، محمد فؤاد عبد الباقي، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ط1 ، 1417هـ-1996م.
-	صفة الصفوة ، للإمام أبي الفرج بن الجوزي، حققه محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد روّاس خلقه جي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1405هـ-1985م.
-	الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين محمد السخاوي، ضبط وتصحيح عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 1424هـ ، 2003م.
-	طبقات الشعراء، لابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، 1375هـ-1956م.
-	العبر في خبر من غبر ، لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، حققه وضبطه أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
-	العقد الفريد ، لأبي عمر بن عبد ربه الأندلسي ، شرح وضبط وتصحيح وترتيب الفهارس أحمد أمين ، أحمد الزين ، إبراهيم الأبياري

	، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، 1982م .
-	علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار، دار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع، السعودية، مصر، ط2.
-	علم البديع رؤية جديدة، أحمد أحمد فشد، مطبعة الجمهورية، الإسكندرية، مصر ، ط2، 1999م.
-	علم البديع نشأته وتطوره من ابن المعتز حتى أسامة بن منقذ، عبد الرزاق أبو زيد زايد، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1977م.
-	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ ، 2004م.
-	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر، ط1 ، 2006م .
-	عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، لبدر الدين العيني، دار الفكر ، بيروت ، لبنان،ط2 ، 1422هـ ، 2002م .
-	عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، محمد عبد القادر حاتم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1383هـ-1963م.
-	فتح البارئ بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث ، القاهرة، مصر،ط2 ، 1987م .
-	فوات الوفيات والذيل عليها ، محمد بن شاكر الكتبي ، دار صادر ، بيروت، لبنان ، 1974م .
-	في البلاغة العربية علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية،

	بيروت، لبنان ، 1404هـ ، 1985م.
-	في رياض البديع القرآني وكلام العرب، محمد السيد البدوي المرسي، جامعة الأزهر، المنصورة، مصر، 1417هـ-1997م.
-	فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، عبدالرؤوف المناوي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 2006م .
-	قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، حققه ورتبه وأكمله وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4 ، 1983م.
-	الكامل في التاريخ ، للعلامة أبي الحسن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، منشورات محمد بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط3 ، 1998م .
-	الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد، تحقيق عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1 ، 1419هـ-1999م.
-	كتاب التعريفات ، علي بن محمد الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، بيروت، لبنان ، 1978م .
-	كتاب الحيوان، للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، مصر، ط2، 1385هـ-1965م.
-	كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، الناشر محمد مصطفى زادة، 1355هـ-1936م.
-	كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، حققه مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،ط2، 1984م.
-	كتاب طراز الحلة وشفاء الغلة، للإمام أبي جعفر شهاب الدين الرعيني

	الغرناطي، شرح الحلة السيرا في مدح خير الورى، للإمام شمس الدين بن جابر الأندلسي، تحقيق رجاء السيد الجوهري، مؤسسة، الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1410هـ-1990م.
-	كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي العلوي، مراجعة وضبط جماعة من العلماء، مكتبة المعارف، الرياض، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1400هـ-1980م.
-	كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، للشيخ بهاء الدين السُّبكي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1422هـ-2001م.
-	كتاب الوافي في العروض والقوافي، صنعه الخطيب التبريزي، تمهيد عمر يحيى، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1407هـ ، 1986م.
-	كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، للعجلوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط3 ، 1408هـ، 1988م.
-	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للعلامة مصطفى بن عبد الله الحنفي المعروف بحاجي خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ-1992م.
-	الكواكب السائرة بمناقب أعيان المئة العاشرة، للشيخ نجم الدين الغزى، حققه جبرائيل جبُّور، دار الثقافة، الناشر محمد أمين دمج وشركاه، بيروت ،لبنان.
-	لب اللبان في تحرير الأنساب، للعلامة جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، أشرف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1991م.

–	لسان العرب المحيط، للعلامة ابن منظور، معجم لغوي علمي، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت ، لبنان .
–	مآخذ الخطيب على السكاكي، إعداد أحمد عبد الجواد محمد عكاشة، إشراف محمد عبد الرحمن الكردي، رسالة ماجستير مركونة، القاهرة، مصر، 1398هـ–1978م.
–	المبسط في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، محمد طاهر اللادقي، مراجعة إبراهيم محمد طاهر اللادقي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ، 1426هـ–2005م.
–	متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبَّار بن أحمد الهمذاني، تحقيق عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، 1969م.
–	المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ، 1416هـ–1995م.
–	مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أبو العباس بن تيمية الحراني ، تحقيق عامر الجزار ، أنور الباز، دار الوفاء، ط2 ، 1421هـ ، 2001م .
–	محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، للراغب الأصبهاني، هذبه واختصره إبراهيم زيدان، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ–1986م.
–	مختصر كتاب مجمع الأمثال، للميداني، اختصار وتقديم، أحمد سويلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، سنة 2008م.
–	مدارس دمشق في العصر الأيوبي، حسن شميساني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،ط1 ، 1983م.
–	مروج الذهب ومعادن الجواهر ، للمؤرخ أبي الحسن علي المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط5، 1983م .

–	المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار القلم، بيروت، لبنان،ط1 ، 1408هـ.
–	المسند، للإمام أحمد بن حنبل، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 1416هـ-1995م.
–	المطول شرح تلخيص المفتاح، لسعد الدين التفتازاني، ومعه حاشية العلامة السيد الشريف الجرجاني، تصحيح وتعليق أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ- 2004م.
–	معاني القرآن، لأبي زكرياء يحيى الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ-1983م.
–	معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، 1947م.
–	معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لأبي عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ، 1991م.
–	معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط2، 1390هـ-1970م.
–	معجم البلاغة العربية ، بدوي طبانة، منشورات جامعة طرابلس، ط1، 1395هـ-1975م.
–	معجم الشعراء الجاهليين، عزيزة فوال بابتي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ، 1998م.
–	معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ، 2006م .
–	معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف اليان سركيس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر .

-	مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي، حققه وقدم له وفهرسه عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1420هـ-2000م.
-	مقامات بديع الزمان الهمذاني أبى الفضل أحمد الحسين بن يحيى ، قدم لها وشرح غوامضها الشيخ محمد عبده ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2 ،1424هـ ، 2003م .
-	مقدمة ابن خلدون ، للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ، دار الأمين للنشر والتوزيع .
-	مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1421هـ-2000م.
-	من روائع البديع في القرآن الكريم، أحمد عبد المجيد خليفة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2002م.
-	منهج البحث وتحقيق النصوص، يحيى وهيب الجبُّوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط1 ، 19936م.
-	المنهل الحديث في شرح الحديث، عبد العال أحمد عبد العال، موسى شاهين لاشين، مراجعة وضبط سعيد محمد اللحَّام، عالم الكتب، بيروت، لبنان ، 1421هـ-2001م.
-	الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط5 ، 1987م.
-	مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لأبي العباس أحمد المغربي، تحقيق خليل إبراهيم خليل، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م.

–	الموطـأ، للإمـام مالـك بـن أنـس، تحقيـق محمـود بـن الجميـل، مكتبـة الصفا، القاهرة، مصر، ط1، 1422هـ–2001م.
–	النجوم الزاهرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة ، جمـال الـدين أبـي المحاسـن الأتابكي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ، مصر .
–	نزهة الأنظـار فـي عجائـب التواريخ والأخبـار، محمـود مقديش، تحقيـق علـي الـزواري، محمـد محفوظ ، دار الغرب الإسـلامي، بيـروت، لبنـان، ط1، 1988م.
–	نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة مَنْ ولى مصر من الملوك، الحسن بـن أبـي محمـد العباسـي الصـفدي، تحقيـق عمـر عبـد السـلام تـدمري، المكتبـة العصـرية، صـيدا، بيـروت، لبنـان، ط1 ، 1424هـ، 2003م.
–	نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر،ط3 ، 1398هـ ، 1978م .
–	نقد النثر، لأبـي الفرج قدامـة بـن جعفر، ترجمـة عبـد الحميـد العبـادي، لطه حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، 1402هـ–1982م.
–	نهايـة الإيجـاز فـي درايـة الإعجـاز، للإمـام فخـر الـدين الـرازي، تحقيـق أحمـد حجـازي السـقا، دار الجيـل، بيـروت، المكتـب الثقـافي، القـاهرة، مصر، ط1، 1412هـ–1992م.
–	نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4 ، 1978م
–	هديـة العـارفين أسـماء المـؤلفين وآثـار المصـنّفين مـن كشـف الظنـون، لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان .
–	الـوافي بالوفيـات ، لصـلاح الـدين بـن أيبـك الصـفدي ، تحقيـق أحمـد الأرنـاؤوط ومـن معـه ، دار إحيـاء التـراث ، بيـروت ،لبنـان ، 1420هـ،

	2000م .
–	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، 1971م .
–	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 1983م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	1
الفصل الأول التعريف بالمؤلف والكتاب	
المبحث الأول– التعريف بابن أبي الإصبع المصري	5
المطلب الأول	6
أولاً– اسم المؤلف ومولده	6
ثانياً– نشأته	7
ثالثاً– عصره	8
المطلب الثاني	11
أولاً– تعليمه	11
ثانياً– مشايخه	11
ثالثاً– تلاميذه	12
رابعاً– معاصروه	12
المطلب الثالث	13
أولاً– مؤلفاته	13
ثانياً– مكانته العلمية	19
1– ابن أبي الإصبع الشاعر	19
2– ابن أبي الإصبع الأديب	21
3– ابن أبي الإصبع بليغ وباحث في الإعجاز القرآني	24
ثالثاً– وفاته	27

المبحث الثاني– التعريف بكتاب بديع القرآن	29
المطلب الأول– مضمون كتاب بديع القرآن	30
المطلب الثاني– نسبة الكتاب إلى المؤلف	34
المطلب الثالث– قيمة الكتاب العلمية	35
المطلب الرابع– زمن تأليف الكتاب	36
المطلب الخامس– سبب تأليف الكتاب	37
الفصل الثاني مفهوم علم البديع ونشأته وتطوره ومسيرة التأليف فيه	
المبحث الأول– مفهوم علم البديع ونشأته وتطوره إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث	41
المطلب الأول– مفهوم علم البديع	42
- البديع لغةً.	42
- البديع اصطلاحاً	43
المطلب الثاني– نشأة علم البديع	45
أولاً– البديع ونشأته في العصر الجاهلي.	45
ثانياً– البديع في القرآن الكريم	50
ثالثاً– البديع في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.	53
رابعاً– البديع من كلام وخطب بعض الصحابة رضي الله عنهم.	55
خامساً– البديع في أقوال وشعر بعض حكماء الأعراب	57
سادساً– البديع في العصر العباسي.	59
– القرنان الرابع والخامس الهجريين	63
– القرن السادس الهجري	66
– القرن السابع الهجري	66

المطلب الثالث– تطور علم البديع إلى ما بات يعرف به في العصر الحديث	70
– القرن الثامن الهجري	71
– القرنان التاسع والعاشر الهجريين	73
– العصر الحديث	75
مرحلة البديعيات	78
المبحث الثاني – مسيرة التأليف في علم البديع إلى زمن ابن أبي الإصبع	87
المطلب الأول – بداية مسيرة التأليف في علم البديع	88
المطلب الثاني – رواد التأليف المتخصص في هذا الفن	90
أولاً– ممن كان تأليفه في البديع مستقلاً	90
ثانياً– الذين ألَّفوا في علم البديع مضمناً مع فصول مؤلفات أخرى	94
المبحث الثالث– التأليف في بديع القرآن الكريم	99
المطلب الأول– الكتب التي أُلّفت في بديع القرآن الكريم قديما وحديثاً	100
أولاً– الكتب التي أُلّفت فيه قديماً	100
ثانياً– الكتب التي أُلّفت في بديع القرآن حديثاً	102
المطلب الثاني– أولاً– كتب جاء الحديث عن بديع القرآن الكريم فيها عرضاً	104
ثانياً– كتب أُلفت حديثاً في البديع ولم ترتكز على بديع القرآن	105
المطلب الثالث– موقف العلماء من الشعراء الذين أكثروا من هذا الفن في شعرهم ، ودور علم البديع في الأسلوب.	108
أولاً– موقف العلماء من الشعراء الذين أكثروا من هذا الفن في شعرهم.	108
ثانياً– دور علم البديع في الأسلوب.	111
المطلب الرابع– ذاتية أو عرضية الحسن في البديع. ومسألة تقسيمه إلى لفظي ومعنوي.	116

أولاً– ذاتية أو عرضية الحسن في البديع.	116
ثانياً– مسألة تقسيم البديع إلى لفظي ومعنوي	120
الفصل الثالث كتاب بديع القرآن	
المبحث الأول– مفهوم البديع عند ابن أبي الإصبع ، وإسهاماته العلمية في هذا العلم.	130
المطلب الأول– مفهوم علم البديع عند ابن أبي الإصبع المصري	131
المطلب الثاني– إسهامات ابن أبي الإصبع في علم البديع	135
المبحث الثاني– منهجه وأسلوبه في مؤلفات علم البديع	147
المطلب الأول– المنهج الذي اتبعه ابن أبي الإصبع في مؤلفات علم البديع	148
أولاً– منهج ابن أبي الإصبع في كتابه تحرير التحبير	148
ثانياً– منهج ابن أبي الإصبع في كتابه الخواطر السوانح	151
ثالثاً– منهج ابن أبي الإصبع في كتابه بديع القرآن	152
المطلب الثاني– بيان تناوله للقضايا البلاغية في كتابه بديع القرآن	157
المطلب الثالث– أسلوبه في عرضه للقضايا	165
المطلب الرابع– بيان ترتيبه لمباحث علم البديع في كتابه	170
المبحث الثالث– مصادره في مباحث علم البديع في كتابه ومسألة التأثير والتأثر	174
المطلب الأول– مصادر ابن أبي الإصبع في مباحث علم البديع	175
المطلب الثاني– موازنة بين ابن أبي الإصبع والسكاكي والخطيب القزويني (نموذجاً) منهجاً وأسلوباً	181
أولاً– منهج وأسلوب السكاكي	182
أولاً– منهجه	182
ثانياً– أسلوبه	185

ثانياً– منهج وأسلوب الخطيب القزويني	186
أولاً– منهجه	186
ثانياً– أسلوبه	192
المطلب الثالث– مسألة التأثير والتأثر	196
الفصل الرابع الشواهد في كتاب بديع القرآن	
المبحث الأول– بيان شواهد ابن أبي الإصبع من حيث نوعها وعددها	209
– الشاهد – تعريفه وأهميته	210
المطلب الأول– بيان الشواهد القرآنية وعددها في كتابه .	211
أولاً– الشواهد القرآنية في كتاب بديع القرآن .	211
ثانياً– عدد الشواهد القرآنية في كتاب بديع القرآن .	217
المطلب الثاني– بيان شواهد الأحاديث النبوية وعددها في كتابه.	218
أولاً– شواهد الأحاديث النبوية في كتابه .	218
النوع الأول– شواهد الأحاديث المنسوبة إلى السنة (الصحيحة)	218
النوع الثاني– شواهد الأحاديث غير المنسوبة إلى السنة (الضعيفة)	219
ثانياً– عدد شواهد الأحاديث النبوية في كتابه .	220
المطلب الثالث– بيان الشواهد الشعرية وعددها في كتابه (شواهد معزوّة ، شواهد مجهولة) .	221
أولاً– الشواهد الشعرية في كتابه .	221
النوع الأول– الشواهد الشعرية المنسوبة إلى أصحابها .	221
النوع الثاني– الشواهد الشعرية غير المنسوبة إلى أصحابها .	225
شواهد شعرية من نظم المؤلف .	227
ثانياً– عدد الشواهد الشعرية في كتاب بديع القرآن .	229
المبحث الثاني– منهجه في إيراده للشواهد في مباحث كتابه	231

– منهجه في إيراد الشواهد وتوثيقها .	232
أولاً– منهجه في إيراد الشاهد القرآني في كتابه .	232
ثانياً– طريقة إيراده لشواهد الأحاديث النبوية كشواهد بلاغية في كتابه .	234
ثالثاً– طريقة إيراد الشواهد الشعرية في كتابه .	235
رابعاً–طريقة إيراده للشواهد من حيث التبسيط والتعقيد (مباشرة وغير مباشرة)	238
خامساً– مسألة الاقتصار على نوع من الشواهد دون غيرها في بعض مباحث كتابه .	240
سادساً– مسألة التزاوج في الشواهد في المبحث الواحد عنده .	242
سابعاً– مسألة العيوب أو الأخطاء في شواهد كتابه .	242
المبحث الثالث– الاتباع والتجديد في الشواهد وتوثيقها من المصادر.	245
المطلب الأول– شواهده من حيث التقليد والاتباع .	246
المطلب الثاني– شواهده من حيث التجديد والتكرار .	250
أولاً– شواهده من حيث التجديد .	250
ثانياً– مسألة التكرار في الشواهد عند ابن أبي الإصبع .	254
المبحث الرابع– الأثر الفني للشواهد في إيصال الفكرة .	258
الخاتمة .	269
– أهم النتائج التي خلص إليها البحث .	269
– قائمة المصادر والمراجع .	271
– المحتويات .	289